

الكتبة وجاهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 6 - Issue 65 - June 2004

مجلة شهرية، العدد الخامس والستون، السنة السادسة، يوليو ٢٠٠٤، الثمن عشرة جنيهات

تأجيل الإصلاح دعوة للمجهول ! / أحمد كمال أبوالمجد
نوؤ: الوجه الآخر للإرهاب / سلامة أحمد سلامة
مصر والإسلاميون الجدد / مازن النجار
لماذا قامت الحرب ؟! / هانز بليكنس
الخيبة !! / قوامس باورز





أكثر من
٢٠٠٠ مصري
بيخدموك من القلب

موبينيل

شبكة المحمول الأولى في مصر

أبو غريب.. الوجه الآخر للإرهاب

هذا الاتجار، ما لمسته من نقاعس عالمي واستخدا، يضرسه قول لاويصيه: بأن الضعف، ضعف النظام الدولي أو ضعف الشعوب هو الذي يفرض طاعة القوة... حيث تراجع الإعلام الأمريكي عن القيام بدوره، والتزمت معظم الدول الأوروبية الحليفة فيما يعرف بالعالم الديمقراطي الحر، الصمت والدنشة. بل وحين سعت أمريكا إلى استصدار قرار من مجلس الأمن، يتجسد أمام بعد عام، يعنى قواتها العسكرية المشاركة في مهام باسم حفظ السلام، من أى التزام بالاتفاقيات الدولية، ومن المحاكمة بسبب جرائم الحرب، بل يتبرده المجلس في منحها هذا الاستثناء الغريب الذي لم تله قوات أى دولة أخرى تشارك في عمليات عسكرية لحفظ السلام.

ولم يقف الأمر عند حد التواطؤ الدولي، وانتشار حالة من الخوف والجنون اجتاحت الدول الأوروبية الحليفة، بعد أن هدت واشنطن بالخاذ إجراءات انتقامية سياسية واقتصادية ضد الذين حلفائهم، فرنسا وألمانيا. لم تقرب القوتين همتما بأنهما تشلان أوروبا القديمة، وتعجزان عن مواكبة روح العصر والنظام العالمي الجديد الذي تقوده واشنطن، بل إن نزعات التطرف والاستعلاء بالقوة التي ميزت سلوك الحافظين الجدد في إدارة بوش، أخذت تتصاعد إلى شكل من أشكال إرهاب القوة العظمى في الحالف الدولي على لسان راسمفيلد وولوفويتز وبيرل وغيرهم، ترجع لقولة أن التاريخ يصنعه الأقوياء، وأن من حق الصفوة الحاكمة أن تقود شعوبها إلى ما فيه مصلحتها حتى ولو كان بأساليب الخداع والتشليل؛ وهو ما يعتبر نوعاً من طغيان الألفية.

وتحقق ذلك فعلاً باستخدام أكثر أساليب الخداع والتشليل الإعلامي وسبل الأذئاب اللعينة، واستخدام شبكات التليفزيون التي تسير على إنتاج وتطوير تكنولوجيا المعلومات في العالم، للوصول إلى أهداف ملقولة غامضة في ثوب أيديولوجيا دينية متعصبة يصعب سبر أغوارها، وتخدم الخدع التحالف الصهيوني (السبحي، والكركي الصناعي العسكري في أوساط شعب أمريكي يتمسك بالأسلحة وحسن التنية، بسبب المنزلة في حدود قارة صامرة بالرخاء والثراء والاكتفاء الذاتي، ولعل هذا ما حدا بإدارة بوش إلى

العالمى الجديد الذي يتشقق مع الرؤى الأمريكية وأهدافها ومصلحتها وتصورها للعالم.

لم تظهر تجليات هذا النزوع الأمريكي إلى استخدام القوة في فرض إرادتها السياسية والعسكرية على العالم، إلا في عهد إدارة الرئيس بوش. وهو ما دعا كثيراً من المحللين الغربيين إلى التساؤل الآن، وفي ضوء الانهيار الأخلاقي والطبقية المتوسطة، التي حملت ظل يعتمد بقيمه ويمادله في الحرية والعدالة بعد فضائح جرائم التعذيب في العراق، وتورط قيادات سياسية وعسكرية في جرائمهم، عما إذا كانت القيم والمبادئ التي أتبنتها إدارة بوش فيما يسمى بحربها ضد الإرهاب، هي التي أسهمت في تشكيل الحالة العقلية والنفسية للسلطة العسكرية الرأشة؟ الإجابات التي يجمع عليها معظم المحللين هي أن إدارة الرئيس بوش التي ولدت من رحم صهيونية دينية

محافظه، لها جذور ضاربة في الحرب الأهلية الأمريكية، هي أن هذه الإدارة لم تخف منذ البداية احتقارها للنظام المؤل القائم، وللدور الدولي الذي لعبه المجتمع، واستأنتها الشديدة بالقانون الدولي ومعاهداته ومواقفه، فاعتبرتة قيوداً على السيادة الأمريكية. وفي كل الأحوال علناً يقف في وجه المصالح الأمريكية والدفاع عنها... حتى قبل وقوع أحداث سبتمبر ٢٠٠١.



ومن هنا لم تشوع في حرب أفغانستان عن ضمن أسرى التناحور. عدة طلائين والقاعدة إلى أحد جري، وضمو في معازل حوالية، دون تحقيق ضاربة عرض الحائط بالاتفاقيات جنيف، واختلت لهم مصطلحات غير معروف هو «القاتلون الأعداء» الذين لا تطبق عليهم قوانين أسرى الحرب ولا أوليات العدالة الأمريكية.

وقد شجع واشنطن على المضى في

طبعي، يصبح عندما عادة ثانية لا ترى فيه غرابة ما دام قد ولدت في ظله ولم تخبر وضعا غيره. (انظر حال الأمة العربية).

هل يقدم هذا تفسيراً لما نراه الآن من انصراف الأجيال الجديدة في المجتمعات العربية عن العمل السياسي، وعزوفها عن تحمل المسؤولية والمشاركة في العمل العام، وشيوع حالة من اليأس بين النخب المثقفة والطبقة المتوسطة، التي حملت في مرحلة سابقة رؤية التطوير والتحديث وانضلت من أجل الحرية والاستقلال؟ بل هل يقدم تفسيراً لما تشكو منه مجتمعات غربية، أوروبية وأمريكية، من شيوع حالة من الاسترخاء السياسي وعدم المشاركة في العملية السياسية إلا

بسنسب متدنية تكشف عنها معدلات التصويت في الانتخابات العامة، بفضل ما من رخاء اقتصادي وحقوق اجتماعية أزلت كثيراً من الفوارق بين الطبقات، وحوالت الصراع الاجتماعي إلى منافسة اقتصادية في ظل رأسمالية متوحشة، واحتكارات استمارية عملاقة غائرة للنفار؟

إن ظاهرة الطغيان في القرون الوسطى وما تلاها هي عصر الثورة الصناعية، كانت أكثر ارتباطاً بالحاكم الفرد أو الأمير أو الديكتاتور (نايليون، بسمارت، هنتر، موسوليني، ستالين، فرانكو في العالم الثالث لا بعد ولا حصر لهم)، ولكنها في عصر الثورة التكنولوجية والتشويق الاقتصادي والعسكري باتت أكثر ارتباطاً بالموتة وبالنخب الحاكمة فيها والقوى السياسية المؤثرة بحكم الثروة ومستوى التعليم وغيرها من العناصر، وهو من نتائج التطور الخطير الذي فرضته الحرب العالمية الثانية، وما أعقبها من نهاية الحرب الباردة، والتهيار موازين القوى بين المعسكر الشرقي الشيوعي بزعامة روسيا، والمعسكر الغربي الرأسمالي بزعامة أمريكا، وتحويل أمريكا في غضون ذلك إلى عملاق عسكري واقتصادي وتكنولوجي... بأسره مطوحات هائلة في قرض اليهاكس أميركيتا، Pax Americana، النظام

لحدا، تخضع الشعوب للطغيان والخداع بصورة وأشكاله المختلفة، دولةً وأفراداً، ديمقراطيات وديكتاتوريات، شمالاً وجنوباً، شعوباً متحضرة ثالث حظها من الديمقراطية والحرية وأخرى متخلفة ما زالت تتخبط في ظلمات الفقر والتخلف؛ وكيف يمكن أن تتجاوز قيم الحضارة والتقدم على نحو ذريع وبالسعة الجارفة التي تهاوت بها سعة ومكانة أقوى دولة في العصر الحديث خلال أسابيع بل خلال أيام، فوجدت نفسها فوق قهوة بركان ثائثرت حممه في أرجاء العالم، بلعنها أعداؤها، وبترها منها أصداؤها وحلفاؤها، ويجعل الخزي والغار أبها؟

في واحد من أعرق النصوص التي حفظتها الأدبيات السياسية من القرون السادس عشر، وهو القرن الذي ولد فيه أين دي لاويصيه، صاحب هذا النص الذي ترجمه وقدم له بالعربية الدكتور مصطفى صفوان. إذ شهدت فيه أوروبا طفرة ثقافتها من عدم إلى الوجود، ومن ظلمة العصر الوسيط إلى النور، ومهدت للثورة الصناعية واتساع التبادل التجاري والحضاري والثقافي، وظهرت النظريات السياسية في الحكم والحقوق المدنية ومبادئ العدالة والحرية والمساواة، يتحد لاويصيه في مقاله «العربية السبوية» عن ظاهرة الطغيان في حياة الشعوب، وكيف يمكن أن ترى الملايين من البشر يحتملون أحياناً طاعة فرداً واحداً أو طغيان أقلية أو طغيان دولة بعينها. وكيف تتحول السيادة اللبئية على استغلال الإنسان للإنسان إلى تكريس طغيان نظام أو دولة... وهو ما نراه يحدث الآن في فتيان قوى عظمى في الولايات المتحدة الأمريكية على جميع الأصعدة، عسكرياً واقتصادياً وسياسياً وإعلامياً وثقافياً وتكنولوجياً.

يقدم لاويصيه تفسيراً لذلك يقول فيه: إن ضعفنا نحن البشر كثيراً ما يفرض علينا طاعة القوة، ونحن محتاجون إلى وضع الرءاء في الإرجاء مادام أن نملك دائماً ألا نكون الأقوى. الشعوب في رأي لاويصيه، هي التي تترك القيود تكبلها، أو قل إنها تكبل نفسها بنفسها مادام خلاصها مرهوناً بالثقت في قوتها سيدها، طاعة كان أو دولة أو نظاماً، الناس مفطورون على حب الحرية. ولكن الاستعصاء متى دخل وخضع له جيل من الأجيال، استسلمت له الأجيال التالية استسلامها لوضع



الانذاح في الدعوة إلى ضرورة تغيير النظام، التي لا تعرض عنها بالقوة، وتقسيم العالم إلى دول طيبة وأخرى شريرة (فلس التفسير التي تستخدمها القاعدة وإن بألفاظ أخرى)، وإلى دمع بعضها بأنها جزء من محور الشر لأنها تمتلك أسلحة دمار شامل تهدد المصالح الأمريكية. ومن ثم فلابد من القضاء عليها، وكانت تلك هي المقدمات التي استخدمت في الحرب ضد العراق، وفي تزوير الأدلة والبراهين على وجود أسلحة دمار شامل بغيتها النظام العراقي، وفي الضغط على فرق التفتيش الدولية التابعة للأمم المتحدة ولوكالة الطاقة الذرية لتزيف الحقائق خدمة أهدافها، إنها نفس العقلية الإرهابية التي لا تحسب على إرهاب بن لادن والظواهرى.



وفي إطار هذه الحملة المبكرة، التي بدأت بالأكاذيب وكان لابد أن تتكشف بالأكاذيب والتفقيطات والانتهاكات التي تكشف فضائلها في دهاليز سجن أبو غريب، كان من الضروري أن تختلف لغة الخطاب الأمريكي إلى العالم، فهناك شعوب وأمم، هي بحكم ثقافتها وتراثها النشئي المختلف، لا تعرف معنى الديمقراطية والحرية وهي شعوب والفة في بحر التطرف والدماء والتعصب، لن تجدى معها غير القوة وإرادة أنظمتها السياسية من الحكم، وهي أدنى شأنًا وأحرى أن تعامل معاملة الشعوب المريضة التي لن يصلح حالها إلا بالتدخل الخارجى... لتقوم نظم الحكم فيها، وتطعيمها، والنهوض باقتصادياتها، وشكين المرأة وتحريرها... وهو ما انعكس بجلده في كتابات المفكرين الأمريكيين الذين وصمو ثقافة هذه الشعوب بأنها ثقافة إرهابية، يمكن أن تستمد خارج التاريخ وتجتث من جذورها، وظهرت لهذا السبب مشروعات «الشرق الأوسط الكبير»، وداوى الإصلاح المفروض من الخارج.

والإد هنا من الإشارة إلى ما صاحب هذا التوجه من صعود نشوء الماركيز العسكري الصناعى، الأمريكى الراسالى على السياسات الأمريكية، وسيطرته شبه الكاملة على صناعات الطاقة والبتترول والصناعات الاستراتيجية الكبرى مثل

القضاء وحرب الكواكب... وقد أصبح هذا المركب بأمواله وبرعايته وجماله هي دوائر الحزوين الرئيسيين، ودوائر صنع القرار وجماعات النفوذ والمصالح اليهودية وغير اليهودية، من القوى العوامل الحاسمة في تحديد نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية الأمريكية. ومن ثم كانت تلك الفكرة الجهنمية التي اكتشفت عندما سقطت الأستار عن فضائل التعذيب في السجون الأمريكية في العراق وغيرها، وهي تشفي، مغالين مدنيين، في الأنشطة مخبرانية وفي عمليات التعذيب والمهام الخاصة. وهؤلاء في الأغلب من خدموا الجيش الأمريكى والمخابرات، أو يخفون في الوقت نفسه لآى نظم أو لوائح تلزمهم بقواعد الاشتباك العسكري، وتستمدحى مساءاتهم في حالة ارتكاب انتهاكات وجرائم، فهم الأداة المثلى لعقلية تؤمن بالجمهورية المتطرفة.

وهي التفسير المسبب الذي نشره سيمور هيرش في مجلة «نيويوركر»، عن البرنامج السرى الذى وضعه رامسفيلد، لإرثاء الهجوم على أفغانستان، وتحلل فيه من القيود القانونية والأدوات العملياتية بغية تشكيل قوات خاصة من عبور حدود أى دولة عند الضرورة، واستجواب المعتقلين في محتجزات خاصة، وإعطاء السيطرة كاملة للمخابرات الأمريكية على السجون والمعتقلين بشكل يسهل عملية استجوابهم... أما ما يتعلق بأن شأنا من أشكال الانحراف الإجرامى والعقلية السادية والتزوع السرى إلى ممارسات إرهابية مدونة قد جلبت الضحايا العسكرية والسياسية الأمريكية، واستقر أسلوباً ممولاً به في حرب العراق، وكانت الصدمة والرعب، عند الكشفه تعادل الصدمة والرعب، التي انطلقت في أعقاب تجارب سبتمبر ٢٠٠١، وأصبحت وأصبح العالم أمام إرهاب أكبر، ثماره صدمة عظيمة أمام إرهاب أصغر، تدرتته شرارة مضملة من تطهير أصولية محدودة العدد والعتاد، أنشأتها ودرستها أجهزة المخابرات الأمريكية بديها.

التساؤل من موقف العالم العربى من هذه التحولات المساوية الكبرى، من القضاء وحرب الكواكب... وقد أصبح هذا المركب بأمواله وبرعايته وجماله هي دوائر الحزوين الرئيسيين، ودوائر صنع القرار وجماعات النفوذ والمصالح اليهودية وغير اليهودية، من القوى العوامل الحاسمة في تحديد نتائج الانتخابات الرئاسية والتشريعية الأمريكية. ومن ثم كانت تلك الفكرة الجهنمية التي اكتشفت عندما سقطت الأستار عن فضائل التعذيب في السجون الأمريكية في العراق وغيرها، وهي تشفي، مغالين مدنيين، في الأنشطة مخبرانية وفي عمليات التعذيب والمهام الخاصة. وهؤلاء في الأغلب من خدموا الجيش الأمريكى والمخابرات، أو يخفون في الوقت نفسه لآى نظم أو لوائح تلزمهم بقواعد الاشتباك العسكري، وتستمدحى مساءاتهم في حالة ارتكاب انتهاكات وجرائم، فهم الأداة المثلى لعقلية تؤمن بالجمهورية المتطرفة.



الإرهاب الأصولى إلى الإرهاب الأمريكى الذى يعيث في الشرق الأوسط فسادا وتدميراً، لا جدوى منه ولا غناء فيه... فاندول العربية مازالت مجبولة على ردود الفعل، وليس من المتوقع أن تسفر القصة عن توجهات جديدة.

ولكن يا ترى كيف يمكن أن ينتهى هذا الانحراف الخطير في سلوك أكبر قوة في العالم؟ وإلى أى حد سوف تتزايد موجات العنف والفضى والعوان، الذى تتسع دوائره في الشرق الأوسط والمنطقة العربية، على نحو يعرض العالم كله للخطر؟

إن لتعمل الشعوب والحكومات الأوروبية في مواجهة السياسات الأمريكية الانفرادية، ومعارضتها المستراية على مستوى الأحزاب والقوى السياسية، قد لا يكفي بحد ذاته لحمل الولايات المتحدة الأمريكية على التراجع، سياسات جديدة وتشارك بها أخطاها، وتوقف حالة الضياع الأخلاقي الذى هن ضمير الشعب الأمريكى وضمير العالم: مما حدا بواحد من أكثر العقليين الأمريكيين الذين أيدوا وساندوا مشاريع الحرب التي قادتها إدارة بوش في أفغانستان والعراق، توماس فريدمان، إلى التساؤل بجديّة عما إذا كانت هناك أدنى فرصة للنجاح في تغيير النظام في العراق بدون تغيير النظام الأمريكى ذاته؟



والإجابة على ذلك تأتي في احتماليين: الأول، أن تعترف أمريكا بأخطائها، وتتخلص بوش من عوائده التكن رجوعاً لهذه السياسات ومارسوها بكل روعة وسرية، من أجل استرداد بعض مكانتها الضائعة، وهو ما قد يقتضى التخلص من رامسفيلد ومعاديه في البنتاجون من المصور والمدافعين عن المصالح الإسرائيلية في الإدارة، ومعاكسة بعض كبار المفكرين في المؤسسة العسكرية الأمريكية... والتراجع عن المخططات

الأمريكية في العراق وتشكين الأمم المتحدة من تحمل المسؤولية في نقل السلطة إلى العراقيين والسحاب القوات الأمريكية، وتشكيل قوة دولية تتولى الإشراف على الأمن خلال فترة الانتقالية.

وهو احتمال لن يحدث... لأن معناه أن يقدم بوش على ما يشبه الانتحار السياسى ويشهد أى فرصة لإعادة انتخابه. وأغلب الظن أن تواصل الإدارة الأمريكية سياسة الهروب إلى الأمام، بتقديم موعد الانسحاب ونقل السلطة أو الدخول في مواجهات عنيفة مع الشعب العراقي والمقاومة الشعبية.

الثاني، أن تستمر فكرة التخطيط والاضطراب والفضى في العراق، وهو ما سوف يؤدي إلى سقوط بوش في الانتخابات الرئاسية القادمة، وفي كلا الاحتمالين، فإن أوضاع المنطقة لتأثر بأسوأ الواقع، ليس فقط بالنسبة للأوضاع الخارجية للدولة العربية، ولكن أيضاً على أوضاعها الداخلية.

وكما بدأت السحب تتكاثر في أفق إدارة الرئيس بوش، فالتأكد أن حليفه الرئيسى وتابعه المحض لى بيرلر رئيس وزراء بريطانيا أصبح يواجه عاصفة شديدة وضعت في مهب الريح، وأصبح الحديث عن البديل له في قيادة حزب العمال حديثاً مفتوحاً جهير الصوت في دوائر يكون خارجة.

ربما يكون هذا التطور هو أفضل ما يمكن أن يحدث على المدى الطويل لو فطحت انتخابات الرئاسة القادمة بوش وإدارته في قمامة التاريخ، ولكن على المدى القصير فإن المحلل يمكن في قدرة الشعب العراقي على استمرار المقاومة، في أمريكا وبريطانيا بالذات، من أنها وقعت ضحية خداع منهجى منظم من جانب الحكومات التي اختارتها وأسلمت لها قيادها، وهذا هو الفرق في النهاية بين شعوب نشأت في أحضان الديمقراطية وقد تنفضت لفترات اختراق وتضليل، ويغضب قدرتها على الحكم السليم، ولكنها لا فقد قدرتها على مقاومة الطغیان واستعادة زمام المبادرة، وتمتلك الآلية الديمقراطية لإحداث التغيير عن طريق صناديق الاقتراع، وبين شعوب أخرى لم تزل تؤمن بأن طاعة الحاكم وأولى الأمر من طاعة الله، ولا تملك غير الطاعة والرجاء والدماء والاستسلام!!!

محمد السماك



**العنف يكون جريمة عندما يتعمد
الحاق الأذى بالضحية بصورة مباشرة،
أي عندما تكون الضحية هي الهدف أولاً وأخيراً،
أما الإرهاب فيستخدم العنف أداة
ليس لإلحاق الأذى بالضحية**



جهاز الاستخبارات البريطانية حول ثورة الشريف حسين ضد الأتراك. وجاء في هذه البرقية الوثيقة، كما وردت في كتاب تاريخ الشرق الأوسط الحديث للكاتب الإنجليزي ديزموند ستوبارت، «إن ثورة الحسين في الحجاز ستكون مفيدة لبريطانيا لأنها تتماشى مع الأهداف الحالية، تحطيم الكتلة الإسلامية، والتغلب على الإمبراطورية العثمانية وتمزيقها. أما الدول التي ستقام لتخلف الأتراك فستكون غير ضارة بما كنا كانت تركيا قبل أن تصبح آلة في يد الألمان. بل إن العرب هم أقل استقراراً من الأتراك، فإذا أحسنت معالجتهم ظلوا في حالة تفرق سياسي، فالاتحاد صغيراً متحداً عاجزاً عن الاتحاد».

إن هذا النوع من الإرهاب السياسي، أي الإرهاب الذي يتوخى إعادة تركيب منطقة ما كالشرق الأوسط، وإعادة رسم جغرافيتها السياسية، وبالتالي التلاعب بمصير شعوبها تحقيقاً لمصالح قوى خارجية، هو الذي يولد الإرهاب العاكس، أي الإرهاب الذي يتوخى التحرير وممارسة السيادة الوطنية.

من هنا تبدو مشاريع الشرق الأوسط الجديد، والشرق الأوسط الكبير استمراراً لخدمة قديمة في التعامل مع هذه المنطقة من العالم، أي إعادة رسم جغرافيتها السياسية والتلاعب بمصير شعوبها، الأمر الذي لا بد أن يؤدي إلى ردود فعل لن يكون مفاجئاً أن تطلق عليها صفة الإرهاب.



إذا كان كل ضحايا العمل الإرهابي هم حكماً من الأبرياء، فإن بعض ضحايا العمل الإرهابي المصالح قد يكونون من الأبرياء أيضاً. ضحايا هذا الخطأ حتى إذا كان شاملاً لا يصحح بطلاناً حتى ولو كان محدوداً، إلا أن الصحيح كذلك هو، أن الإرهاب بكل أشكاله وإن كان الظالمون به، هو عمل لا إنساني ولا أخلاقي، إلا أنه مع الأسف أصبح قاعدة ثابتة من قواعد لعبة الأمم.

يقول الكاتب الأمريكي آرثر كوستلر في كتابه: «ظلم العظماء»، أن تاريخ الإنسانية يصنعها قائلون لا مصلحة شخصية لهم في ارتكاب جرائمهم. في عام 1910 اغتال واحد من هؤلاء القتل الرئيس الأمريكي ويليام ماكينلي.

■ على الرغم من أن ظاهرة الإرهاب تراقق حياة الإنسان منذ نشأته الأولى (قاييل وهابيل) فإنها لم تتبلور كعامل من العوامل المؤثرة في صناعة القرار السياسي إلا في عام 1943 عندما وظفها بعض فلاسفة الثورة الفرنسية أمثال روبسبير وسان جيس وكونوت وغيرهم على نطاق واسع. فقد عرفت الفترة من عام 1943 حتى يوليو 1994 بعهد الإرهاب أو عهد الرعب، ولم خلالها قطع رؤوس 40 شخص بالمقصلة واعتقل 300 شخص آخر. وموما كان عدد سكان فرنسا لا يزيد على 17 مليون نسمة¹.

منذ ذلك الوقت لم نغب هذه الظاهرة عن أي فترة من فترات المسيرة التاريخية المعاصرة للإنسان. ورغم أن ممارستها تكاد تصبح تقليداً من تقاليد العمل السياسي، إلا أن ربط الإرهاب بالجريمة كان ولا يزال موضع جدال فقهي وقانوني وسياسي داخل الأمم المتحدة وخارجها على حد سواء.

الجريمة، الإرهاب، الكفاح المسلح، الثورة، تلك عناوين تبدو مترابطة ومتداخلة رغم تمايز كل منها في معناه وفي استراتيجيته، وفي عقيدته، وفي هدفه، إلا أن محورها جميعاً أو القاسم المشترك بينها هو العنف. فالعنف يكون جريمة عندما يتعمد إحقاق الأذى بالضحية بصورة مباشرة، أي عندما تكون الضحية هي الهدف أولاً وأخيراً.

أما الإرهاب فيستخدم العنف أداة ليس لإلحاق الأذى بالضحية، إنما لتوظيف الأذى في ممارسة ضغط معذوي على جهة أخرى أو على شخص آخر.

إنه لتكليف تلجأ إليه عادة جماعة ضمنية لإحقاق الدولة، ضد جماعة معادية لها تتمتع بقوة أكبر، وذلك من أجل تحقيق هدف سياسي تعجز عن تحقيقه بوسائل أخرى. من هنا لا تطلق عادة صفة الجرم السياسي على الإرهاب، فالجرم يتعمد قتل أو إلحاق الضرر بضحية محددة إما انتقاماً، أو لأى سبب شخصي آخر. أما الإرهاب فإنه غالباً ما يجهل ضحيته، وغالباً ما يعرف أن ضحيته ربة، إلا أنه غالباً ما يؤمن بأن الإساءة إلى هذه الضحية البريئة هي المطريق الوحيد لتوصيل رسالة إلى المجرم يرتكب جريمة حسابه

الخاص. أما الإرهاب فيعتبر نفسه جندياً مكلفاً بمهمة شريفة، لا تلحق إدانته بها أي عار أو ترجيح، بل على العكس فهو يعتبر أداؤه عملاً بطولياً يذهله باحتلال موقع مرموق، أو فكرى خالده في مجتمعه.

منذ مطلع الستينيات فقط بدأت دراسة الإرهاب مادة مستقلة في موضوع العنف السياسي. وقد تطلب ذلك التمييز ليس فقط بين الجريمة والعنف، أو بين العنف والإرهاب، إنما بين الإرهاب والكفاح المسلح والثورة. فالعمل الثوري قد يكون إرهاباً وقد يكون عنفاً، وقد يكون الاثنين معاً، وقد لا يكون شيئاً من ذلك، هو لا يكون عنفاً عندما لا

يهدف إلى إيذاء ضحاياه المباشرين، وهو لا يكون إرهابياً عندما لا يهدف إلى الضغط على ضحايا غير مباشرين. إنه أداة تغيير تستخدم العنف والإرهاب معاً. إن طبيعة العلاقة بين الضحية والطرف الثالث هي التي تحدد صفة العمل العنفي إرهابي، أو جريمة².

من أجل ذلك يطرأ الإرهاب والعنف السياسي قضايا سياسية معقدة وقضايا أخلاقية أشد تعقيداً، ولا يمكن معالجة هذه القضايا إلا من خلال تركيز معاداة سياسية - اجتماعية - سيكولوجية - أمنية متكاملة. لذلك أن توقع الإرهاب، والوقاية منه، ودفع الفعل عليه، عملية متداخلة ومتكاملة بإحكام.

التعرق على دوافع العمل الإرهابي، والانتفاخ عليها ومعالجتها، هي أقل كلفة من كبتها وتجاهلها حتى تصل إلى درجة الانفجار؛ والتعرق على سيكولوجية الإرهاب من قرب يوفّر فرصاً أفضل

العمل السياسي!

الم تلجأ الصين إلى الإرهاب لتستعيد حريتها ووحدتها ومن ثم لتعيد بناء شخصيتها من خلال ما سمي بالثورة الثقافية حتى تمكنت الآن من أن تصبح دولة نووية كبرى وأن تطلق مركبة مأهولة إلى الفضاء الخارجي؟
إن للإرهاب رواداً ومنظرين اقتضت أضرارهم حركات سياسية تدوين بأديان مختلفة.

فخلال الحملة التي شنتها الكنيسة الكاثوليكية ضد الهراطقة، قبل سبعة قرون تقريباً، سأل جندي أحد الأساقفة المقاتلين في جبال الألب: «كيف يمكن تمييز الكاثوليكي عن الهرطوقي؟» فرد الأسقف بقوله: «اقتلهم جميعاً، فإن الله يعرف ما يريد».

وما العمليات الإرهابية التي بدأت في نيويورك وواشنطن في سبتمبر ٢٠٠١، ثم انتقلت إلى دول عربية وإسلامية من السعودية إلى المغرب ومن الجزائر إلى باكستان وتركيا، سوى مظهر آخر من مظاهر نظرية «اقتلهم جميعاً فإن الله يعرف ما يريد».

لا يعرف التاريخ قائداً سياسياً عمل بقلوب السيد المسيح «من فريك على خدك، الأيمن فأدر له الخد الأيسر». ولكن شمة لائحة لامتناعية من الفسادة السياسيين الذين يعملون بموجب نظرية فريدريك هاكر التي يقول فيها: «افضل لنا ان نرهب الآخرين من ان يرهبنا الآخرون».



اتهام الإسلام بالارهاب

ترافق اعتماد مبدأ مكافحة الإرهاب باعتباره ركناً من أركان السياسات الخارجية في الولايات المتحدة والاتحاد الروسي وبريطانيا والهند والمجموعة الأوروبية وسواها، مع اعتبار الظاهرة الإرهابية أولاً على أنها ظاهرة عربية، (منذ حوادث اختطاف الطائرات الإسرائيلية إلى الأردن)، ثم على أنها ظاهرة إسلامية (منذ نشوب الثورة في إيران وخاصة بعد الاعتداء على مبنى التجارة الخارجية الدولية في نيويورك، أولاً في عام ١٩٩٣ ثم في سبتمبر ٢٠٠١)، ومع أن إسرائيل هي أول من مارس القرصنة الجوية في المنطقة العربية (الاعتداء على مطار بيروت، ديسمبر ١٩٦٨، إسقاط الطائرة المدنية الليبية في سينا ٢١

والهاجنا والأرجون اليهودية، قامت إسرائيل في عام ١٩٦٨، وبالإرهاب تستمر وتوسع، وهل يغير الإرهاب استقلت الولايات المتحدة عن بريطانيا؟ وهل يغير الإرهاب توحدت في دولة واحدة من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي؟

سرايفو مما أشعل نار الحرب العالمية الأولى التي سقط فيها أكثر من عشرة ملايين إنسان، ليس الإرهاب مجرد عمل عنف عشوائي لا هدف له ولا نتيجة، فبالإرهاب اضطرت بريطانيا لانسحاب من أيرلندا الجنوبية وبالإرهاب الذي مارسه عصايات الشترن

وفي عام ١٩٦٣ اغتال آخر الرئيس جون كينيدي، وبين عامي ١٩٨٠ و ١٩٠١، تمكن أمثال هؤلاء من اغتيال إمبراطورة النمسا ورئيس جمهورية فرنسا، وملك إيطاليا ورئيس حكومة إسبانيا، وفي عام ١٩١٤ اغتال ومثني صربي ولي عهد النمسا وزوجته في مدينة



لأن الإرهاب شيء، والكفاح المسلح شيء آخر، فإن الأمم المتحدة حرصت على تأكيد هذا التمايز مشرعة حق الكفاح المسلح من أجل تقرير المصير، أو تحرير أرض محتلة، أو استرجاع استقلال مفتقد



[الأمم المتحدة ١٩٧٢ - من تقرير
اللجنة الخاصة حول الإرهاب الدولي]

لقد حرم ميثاق الأمم المتحدة استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في ميدان العلاقات الدولية. وزد هذا التحريم في عدة مواد من الميثاق سيما في الفقرة الأولى من المادة الأولى، إلا أن الميثاق أجاز استخدام القوة أو التهديد بها في حالتين أساسيتين :

الحالة الأولى : الأمن الجماعي وما يتطلبه من إجراءات عسكرية (كما ورد في المادتين ٤١ و ٤٢ من الميثاق)، وخاصة إذا فشل مجلس الأمن الدولي في التصدي لعملية خرق للأمن الدولي.

الحالة الثانية : الدفاع الشرعي عن النفس (كما ورد في المادة ٥١ من الميثاق). وحق الدفاع عن النفس يمكن أن تقوم به الدولة المتهدي عليها منفردة أو بالتعاون مع مجموعة من الدول تحت مظلة مجلس الأمن الدولي، ولم يحدد ميثاق الأمم المتحدة مفهومه للأعمال التي يعتبر أنها تهدد السلم الدولي، إلا أن الجمعية العامة وافقت في عام ١٩٤٨، على القرار ٣٧٥ الذي يتضمن إعلاناً بحقوق الدول وواجباتها. تنص المادة التاسعة من هذا الإعلان على أن من واجب كل دولة الامتناع عن اللجوء إلى القوة أو التهديد بالقوة في سياساتها القومية. كما أن من واجب كل دولة الامتناع عن خرق حرمة أراضي أية دولة أخرى أو تهديد سلامتها أو انتهاك القانون والنظام الدوليين، وحظر المادة العاشرة من الإعلان تقديم المساعدات لأي دولة لا تحترم مضمون المادة التاسعة، مع الاستفهام هل يحترم هذه المواثيق الدولية حتى في حدها الأدنى. يحدد قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، رقم ٣٣١٦ (١٩٧٤) تعريف العدوان في لمبادئ مواد. وبموجب هذا القرار يعد عدواناً :

١. استخدام القوة المسلحة ضد السيادة الإقليمية أو الاستقلال السياسي لدولة أخرى. (من ثوابت السياسة الإسرائيلية).

٢. اجتياح (لقيم تابع لدولة أخرى وضمه، أو احتلاله). (الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان وفلسطين).

٣. هضم القوات المسلحة التابعة لدولة ما إقليم دولة أخرى. (وهو ما تفعله إسرائيل بصورة مستمرة عن لبنان منذ مطلع عام ١٩٦٦، وهو ما فعلته حتى الولايات المتحدة مع ليبيا في عام ١٩٨٦). ٤. قيام القوات المسلحة لدولة ما بغزو دولة أخرى (الاجتياح الإسرائيلي لمصر في ١٩٥٦ وللمرسورية والأردن

العدد الخامس والسبعون - يونيو ٢٠٠٤ م

مكان بعيد عن حقيقة الإسلام، باسم الدفاع عن الإسلام نفسه. ويمثل هذا الابتعاد في عدم احترام هذه الجماعات للتفسيرات السلمية والموضوعية لكل من الشريعة والفقه الإسلاميين.

أما فيما يتعلق بحدود الحرب وحدود الثورة وفق فاسم مشترك مع العنف فإن المفهوم القديم لمفردة (الجهاد) التي تمتلك محتوى إيمولوجياً (اشتقاقياً) عريقاً، فهو يتضمن معنى الجهد الذي يبذله ضد الذات أو ضد الآخرين، وهو مفهوم نحر عليه القرآن، ويكتسب قدسيته من التحديد القرآني له. وقد دمجت بعض البلدان الإسلامية، أو هي زاولت بين مفهومي الجهاد والثورة، وذلك عبر ممارستها السياسية والعسكرية للحرب العادلة. وفي هذه الحالة، يكون مفهوم الثورة متضمناً

لمعنيين دالين :
فقيماً يشير الأول إلى التفسير الإجماعي الحاصلين في الجني السياسية - الاقتصادية، الاقتصادية، يدل الثاني على إحياء القيم الأخلاقية والمعنوية وتنقيتها وتطهيرها، وعلى هذا المستوى، يمكن للثورة أن تكون فعلاً عنيفاً، ولكن يتوجب على هذا الفعل احترام الشروط الشرعية داخل عاليتها، أو تحقيق توافق مع الشريعة والفقه الإسلاميين.

موقع الأمم المتحدة

ممن الإرهاب :

«يعود نشوء الإرهاب السياسي إلى أعمال القمع التي مارستها الأنظمة الاستعمارية والعنصرية والأجنبية ضد الشعوب التي تناهض من أجل تحريرها وحقوقها المشروعة في تقرير مصيرها واستقلالها وفي عالمها الأساسية الأخرى».

في صورة تحمل، علامة مسجلة، إذا جاز التعبير، أبرزتها سياسات بلدان معينة أو ممارسات بعض من الحركات التي ينشئ تحت لوائها أعضاء يكون مصهرهم الأيديولوجي هو الإسلام. فمن الواضح بأن هذه السياسات والممارسات قد ساعدت على تكوين انطباع لدى الرأي العام الغربي مؤداه بأن الإسلام دين ينطوي على قدر معين أو أكيد من العنف الذي يمكن استخدامه من الإفادة منه داخل اللعبة السياسية، وبخاصة في الجبهات التي يعتبر الانخراط فيها قضية عادلة.

وينبغي التمييز فيما إذا كانت هذه الممارسات، سواء العنيفة منها أو العنيفة الإرهابية، ملتزمة بالتطبيق الصحيح للشريعة الإسلامية أو لا. ففي هذه الحالة، توجد بالطبع تفسيرات متباينة، لأن بعض الحركات الإسلامية، أو بعض الأفراد الإسلاميين، يمارسون لمعاً من العنف يثبتون وطولان، كما يبدو لي، مع الشريعة الإسلامية في مستواها النصي الواضح والطبيعي، أو من حيث إقرارها بالعنف شرط أن يمارس من أجل قضية عادلة يقرها الدين الإسلامي، بينما تبدو بعض الممارسات العنيفة وكأنها تجاوزت الحدود. إن مثل هذه الممارسات تنحزم داخل الفعل العنفي، مبررة نفسها وفق تفسيرات حسنة ومقولة للشريعة الإسلامية ذاتها بركبتها الأساسية :

القرآن والحديث النبوي، وتقودنا هذه الحاشية إلى وضع تناقض، فنقرره ممارسات المجموعات والأفراد الذين يطبقون الإسلام وفق أسلوب متطرف. فمن خلال معرفتي البسيطة بالفقه الإسلامي، أرى أن مثل هذه الجماعات تقف في ممارستها في

- فبراير ١٩٧٢) فإن الإعلام الأمريكي والأوروبي، ورغم ادانة الأمم المتحدة لتلك الجرائم، لم يصف ما قامت به إسرائيل بأنه إرهاب إسرائيلي أو يهودي.

ولم تظهر سوى إدانات خجولة في الإعلام الغربي للمجازر الإسرائيلية التي ارتكبت أثناء غزو لبنان ١٩٨٢ و ١٩٨٣، أو لما سبقها من مجازر داخل فلسطين (دير ياسين والقبية والقدس وغيرها) ومصر (بحر البقر) حتى تونس.

ويصرف النظر عن أسباب وأهداف بعض العمليات الإرهابية، فإن الإعلام الغربي لا يقول مثلاً عن أعمال الجيش الإسرائيلي بأنها إرهاب ياباني أو يودي، ولا يقول عن أعمال منظمة العمل المباشر، بأنها إرهاب فرنسي، أو كاثوليكي، ولا يقول عن أعمال بارديمانهوف بأنها إرهاب ألماني أو بروتستانت، إلخ.. ولكن هذا الإعلام نفسه يتصيد أي حادث أمني ليتحدث بتطويل وتركيز عما يسميه الإرهاب الغربي أو الإرهاب الإسلامي

قاصداً من وراء ذلك ليس إدانة الإرهاب كإرهاب، إنما تشويه الإسلام كدين وطعن القضايا العربية العادلة في الصميم. في كتابه «الإسلام والحرب»، يطرح رئيس مركز الأبحاث الاستراتيجية في جامعة السوربون جان بول شارنييه Jean Paul Charney نظرية يقول فيها :

«يتضمن الإسلام (شأنه شأن كل الأديان والمفلسات الكبرى، باستثناء تلك المنبثقة عن الفكرة الجوهرية للإسلام المنبثقة عن الفكرة الجوهرية للإسلام (الأبدى) خصوصاً دينية تعود إلى الحقبة الكلاسيكية في التاريخ الإسلامي، النصوص سعت إلى تحديد وتعريف الشروط التي تحفز المسلمون وتوكلهم الدخول في حالة حرب أو بشكل أكثر سعة وتحديداً : الشروط القضائية بممارسة العنف الشرعي والجزء دينا من جهة، ودرجة هذا العنف الذي يمكن ممارسته وفق حدود الشريعة الدينية التي لا تستطيع تجاوزها، حتى عند انخراطها في حرب أو ثورة ما، من جهة أخرى.. ويصمد هذا الأمر إلى الأذهان نظرية الفقيه اعظميين حول الحرب البيرة التي قال بها في الأدبيات المسيحية Justified War.

إن الإسلام إذاً، ليس دين حرب بحد ذاته، بل هو معظم الأديان والمفلسات الكبرى، فقبل الحرب، مضطراً أو كارها لها. بيد أن هذا القبول يتم ضمن حدود حالات يحسمها بقهرها الشرع الديني الذي يخصص أصول الحرب شرعية ما تكون حرباً عادلة. أما الصورة الشائعة في البلدان الأوروبية، وفي العالم الغربي عن الإسلام،



تشجيع تنظيم القوات غير النظامية أو العصابات المسلحة، بما في ذلك المرتزقة للأغراض على إقليم دولة أخرى. وكذلك وجوب الامتناع عن تنظيم أعمال الحرب الأهلية أو الأعمال الإرهابية في دولة أخرى، أو التحريض عليها أو المساعدة أو المشاركة فيها أو قبول تنظيم نشاطات في داخل إقليمها تكون موجهة إلى ارتكاب مثل هذه الأعمال، عندما تكون الأعمال المشار إليها في هذه الفقرة منطوية على تهديد باستعمال القوة أو على استعمالها.

وتضمن إعلان تدعيم الأمن الدولي الصادر بقرار الجمعية العامة رقم ٢٧٣٤ في الدورة نفسها في ١٦ ديسمبر ١٩٧٠ في فقرته الخامسة ما يلي: «تتبع جميع الدول عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها ضد الوحدة الإقليمية والاستقلال السياسي لدولة أخرى، ولا يجوز احتلال دولة ما بالقوة أو الاستيلاء عليها أو على جزء منها نتيجة استخدام القوة، وإن مثل هذا الاستيلاء لا يعترف بشرعيته قانوناً، وعلى كل دولة الامتناع عن تنظيم ومساعدة أعمال الإرهاب الموجهة ضد دولة أخرى».

وبعد انتهاء الحرب الباردة وارتفاع الولايات المتحدة عرش النظام العالمي الجديد، تبلورت معادلات أمنية جديدة، وقامت مؤسسات قضائية دولية جديدة لحاكمه ومعاقبه مجرسي الحرب والمعتدين على السلام العالمي وعلى حقوق الإنسان. ولقد طرحت أمام المحكمة الدولية التي شكلها مجلس الأمن الدولي لحاكمه مجرسي الحرب في البوسنة أسئلة حول تعريف الحرب العادلة، متى تكون العمليات الحربية عمليات بطولية ومتى تكون عمليات إجرامية وحشية ومتى يكون الحافز إلى الحرب أخلاقياً وقيماً ومتى تكون مجرد استجابة لمصالح ومكاسب مادية؟

الردع الاستباقي للإرهاب:

تنتقل أهمية الإجابة عن هذه الأسئلة بوجهها المتعددة من دخول الشرق الأوسط مرحلة تشتمل محاولات التسوية السياسية بين إسرائيل والدول العربية. وهي مرحلة تحتم تقرير ما إذا كانت الجرائم التي ارتكبت خلال الحروب العربية - الإسرائيلية سيتم تجاوزها وإغفالها، أم أنه لا بد من تصفية ذلها، بمحاكمة إبطالها بدءاً بمجازر المرحلة ودير ياسين والقصبة في فلسطين في عام ١٩٤٨،

لا يعرف التاريخ قائدًا عمل بقول المسيح «من ضريك على خدك الأيمن فأدر له الخد الأيسر». ولكن ثمة لائحة لامتناحية للقادة يعملون بموجب «أفضل لنا أن نرهب الآخرين من أن يرهبنا الآخرون»



سياسية واقتصادية واجتماعية للإرهاب؛



١ - من الأسباب السياسية: سيطرة دولة على دولة أخرى (الاستعمار) - التمييز العنصري. - استخدام القوة ضد الدول الضعيفة.

٢ - التدخل في الشؤون الداخلية لدول أخرى. - الاحتلال الأجنبي (كلمياً أو جزيئياً) - ممارسة القمع والعنف تهجير أو لسيطرة على شعب معين.

ب. من الأسباب الاقتصادية: عدم التوازن في النظام الاقتصادي العالمي. - الاستغلال الأجنبي للموارد الطبيعية للدول النامية.

ج. من الأسباب الاجتماعية: انتهاك حقوق الإنسان (الاعتدال أو السجن أو الانتقام) الجوع والحرمان والبؤس والجهل. - تجاهل معاناة شعب ما يتعرض للاضطهاد.

تدمير البيئة. سبق هذه الدراسة صدور عدة قرارات من الجمعية العامة للأمم المتحدة تدعو إلى الامتناع عن ممارسة الإرهاب أو تشجيع الإرهابيين وحمايتهم. ففي الدورة الخامسة والعشرين صدر من الجمعية العامة القرار رقم ٢٦٧٥ الخاص بإعلان مبادئ القانون الدولي بشأن العلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقاً لخلق الأمم المتحدة الذي نص على وجوب الامتناع عن تنظيم أو

إفراذ وبالتعاون مع الدول الأخرى وكذلك مع هيئات الأمم المتحدة المعنية بالأمر في القضاء التدريجي على الأسباب الكامنة وراء الإرهاب الدولي. مطالبات جميع الدول بالوفاء بالتزاماتها وفقاً للقانون الدولي بالامتناع عن تنظيم أعمال الحرب الأهلية أو الأعمال الإرهابية في دولة أخرى أو التحريض عليها، أو المساعدة أو المشاركة فيها، أو قبول تنظيم نشاطات في داخل إقليمها تكون موجهة إلى ارتكاب مثل هذه الأعمال.

٣ - مناشدة جميع الدول التي لم تفعل ذلك أن تنضم إلى الاتفاقية على الفاعلة المتعلقة بجوانب مختلفة من مشكلة الإرهاب الدولي والتي سبق الإشارة إليها.

٤ - حث جميع الدول على التعاون بصورة أوثق خاصة عن طريق تبادل ما يتصل بالموضوع من معلومات متعلقة بمنع ومكافحة الإرهاب الدولي، وإبرام معاهدات خاصة أو تضمين المعاهدات الثنائية المناسبة أحكاماً خاصة، ولا سيما فيما يتعلق بتسليمهم أو محاكمة الإرهابيين المولدين.

٥ - أن تدرس الجمعية العامة ضرورة إبرام اتفاقية أو اتفاقيات دولية إضافية تقوم على جملة ما تقوم عليه على مبدأ تسليم أو محاكمة ومكافحة أعمال الإرهاب الدولي التي لم تشملها بعد اتفاقيات دولية مماثلة أخرى. ٦ - تولى الجمعية العامة ومجلس الأمن من أجل الإسهام في القضاء على الأسباب الكامنة وراء الإرهاب الدولي ومشكلة الإرهاب الدولي، اهتماماً خاصاً لجميع الحالات بما في ذلك الاستعمار والعنصرية والحالات التي تنطوي على الاحتلال الأجنبي، أي الحالات التي قد تدفع إلى الإرهاب الدولي.

حددت دراسة اللجنة الفرعية أسباباً

في عام ١٩٦٧، ولبنان في عام ١٩٧٨ و ١٩٨٢. احتلال إيران للجزر العربية الثلاث طنط الكبرى وطنط الصغرى وأبو موسى التابعة لدولة الإمارات العربية).

وأجارت الأمم المتحدة - تحت شعار حق الدفاع عن النفس - للدولة المعتدى عليها استعمال القوة لرد العمل العدواني الذي تعتبره المنظمة الدولية جريمة بحق السلام الدولي. واستعمال القوة مجاز كذلك للشعوب المغلوبة على أمرها، والتي تناضل من أجل تقرير مصيرها والحصول على استقلالها وممارسة حريتها، كما ورد في المادة السابعة من الإعلان.

في الأساس، ليس صحيحاً أن الإرهاب يقتل قضائياً عادلة. ولكن الصحيح هو أن الظلم والقهر والاستبداد هي التي تقود إلى الإرهاب عندما يعجز أصحاب القضايا العادلة من الدفاع عن حقوقهم بوسائل أخرى.

في أعقاب حادث المدينة الأوبلية في ميونخ ١٩٧٢، اقترح الأمين العام للأمم المتحدة على الجمعية العامة دراسة الإجراءات الدولية الواجب اعتمادها لمكافحة الإرهاب.

وقد تجاوبت الجمعية العامة مع الاقتراح ولكنها حرصت على ضرورة التركيز في الدراسة على أسباب الإرهاب ووقاؤه. ووضعت الجمعية صنواً للدراسة ينص على:

١ - تدابير لمنع الإرهاب الدولي الذي يعرض للخطر أو يودي بأرواح بشرية أو يعرض الحريات الأساسية للخطر. ودراسة أسباب مختلف أشكال الإرهاب وأعمال العنف التي تكمن في البؤس والإحباط والإحسان بالظلم واليأس، والتي تدفع بعض الأفراد إلى إزهاق أرواح بما في ذلك أرواحهم. من أجل إحداث تغييرات جذرية.

٢ - المنع من أن الهدف من وراء هذا العنوان الذي قد يكون الأطول لأي مشروع دراسة هو البحث في الأسباب وليس في القابض فقط.

شكلت الجمعية العامة لجنة من ٣٥ عضواً لإعداد الدراسة. بدأت اللجنة أعمالها في عام ١٩٧٢، وانتهت في عام ١٩٧٩، حيث قدمت تقريرها إلى الدورة ٣٤ في فبراير من ذلك العام.

وبعد أن تبنت الجمعية العامة تقرير اللجنة الفنية، أصدرت التوصيات «الآلية»

١ - إدانة جميع أعمال الإرهاب الدولي التي تعرض للخطر أرواحاً بشرية أو تؤدي بها أو تهدد الحريات الأساسية. حث جميع الدول على الإسهام،



الإسلام ليس دين حرب

بل هو، كمعظم الأديان والفلسفات

الكبرى، يتقبل فعل الحرب، مضطراً أو كرهاً لها.

بيد أن هذا القبول يتم ضمن حدود

حالات خاصة يقرها الشرع



اغتيال الوسيط الدولي (السويدي) الكونت برنادوت وأحد مؤسسي عصاية الهاجانه الإرهابية، هو الذي مثل إسرائيل في مؤتمر مدريد في عام ١٩٩١ بصفته رئيسا للحكومة. فاجرائم التي ارتكبتها بيجن وشامير لا تقل فظاعة ووحشية عن الجرائم التي ارتكبتها كاراديتش وملايتش. ومع ذلك فقد عوقب كبيراء الصرب وكريم كراي إسرائيل إلى حد منح بيجن. مشاركة مع السادات . جائزة نوبل للسلام بعد التوقيع على معاهدة السلام.

ويحفل سجل رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق إسحق رابين بالجرائم الجماعية ليس فقط من خلال دوره العسكري في حرب ١٩٦٧ ولكن من خلال دوره في ميديلايا التي كان يتزعمها إيهال ألون. وهو، مثلاً، يظل عملية نسف الباخرة قاتلة التي كانت تنقل أسلحة ومعدات عسكرية إلى منظمة أرجون المناهضة للتلخاخ. ولا شك في أن رئيس الحكومة الإسرائيلية الحالي الجرانل شارون هو أكثر المسئولين الإسرائيليين سفكاً للدماء حيث ارتكب العديد من المجازر في فلسطين ومصر ولبنان.

تبرز أهمية المقارنة بين الجرائم الإرهابية التي ارتكبت في البوسنة وذلك التي ارتكبتها إسرائيل من خلال لائحة الاتهامات التي اعدها رئيس المحكمة الدولية غولستون حول الجرائم التي ارتكبت في البوسنة ضد الإسرائيلية وهي تدور حول المحاور التالية:

• الاغتصاب، الذي تعرض الشيخ مصطفى البربرلي لثقت خطفته الشقيق الإسرائيلية من منزله في مدينة بعلبك اللبنانية للاغتصاب أثناء أسره، كما أعلن ذلك أمام المحكمة الإسرائيلية التي لم تجد ما تدنيه سوى أنه ضد الاحتلال الإسرائيلي للبنان.

• المجازر الجماعية، وفي هذا الشأن نجد أن سجل المجازر التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية في عام ١٩٤٨ في فلسطين، و ١٩٤٦ في مصر ١٩٧٦ في الضفة الغربية وغزة، ١٩٨٢ في لبنان، لا تقل وحشية عن المجازر التي ارتكبتها الصرب في سراييفو وسبيرنتشكا وغوراجة وغيرها من المدن الإسلامية في البوسنة.

• استعمال القنابل العنقودية ضد المدنيين. إن سجل العمليات العسكرية الإسرائيلية حافل باستخدام القنابل العنقودية خاصة في جنوب لبنان. كانت القذائف المسماة الإسرائيلية تنهمر على قرى الجنوب والبلاغ الغربي وقد جمعت شظايا من المسامير كدليل مادي

بيحكم الإرهابين المجرمين الذين ارتكبوا هذه الجرائم؟ وكيفية.. ومتى؟ وقبل ذلك كله هل سيفتح سجل المحاكمة؟ وهل ستطالب الدول العربية بوجوب فتحها؟ وهل سيتحرك مجلس الأمن الدولي ذاتها كما حدث بالنسبة لبوسنة، فيبادر إلى تشكيل محكمة دولية خاصة للنظر في الجرائم الإسرائيلية بحق الإنسانية؟ (أم أن ملفات الجرائم سوف تطوى كشرط من شروط التسوية؟) إذا حدث ذلك بالفعل فإن ذاكرة الشعوب التي تعرضت للقتل والتكليس ستبقى متحفرة للأنتقام عند أول مفصل من مفصلات التحولات التاريخية المقبلة... كما حدث مراراً بين شعوب البلقان.



من أجل ذلك استبعد كبيراء الصرب رادوفان كاراديتش والكونو ملايتش عن محاكمات السلام التي جرت في دايتون بالولايات المتحدة. وكان من شروط عقد اتفاقية السلام إيجادهما كذلك عن أي منصب وعن أي دور سياسي أو أمثو إلى حد إدارة في دولة البوسنة الاتحادية المستقلة أو حتى في الدولة الصربية الجديدة.

وطبعاً استثنيت إسرائيل من هذه الشروط والنوعاء. فمنحاجيم بيجن أحد مجرمي الحرب وزعيم عصاية شترن الإرهابية (والذي كان مطلوباً للعدالة في بريطانيا بتهمة الإفراء على عملية نسف فندق الملك داود في القدس في عام ١٩٤٨) هو الذي فاوض ووقع مع الرئيسين السابقين أنور السادات ويحيى كارتز على معاهدة السلام الصربية. الإسرائيلية في حديقة البيت الأبيض بواشنطن في عام ١٩٧٩ كما أن إسحق شامير يظل جريمة

مرورا بمجزرة مدرسة بحر البقر وقتل الجنود الصريين المسلمين وفنهم أحياء في مقابر جماعية قرب العريش في عام ١٩٦٧. مرورا بمجزرة مخيمى صبرا وشاتيلا في بيروت في عام ١٩٨٢ أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان. ومن ثم مجزرة قانا في جنوب لبنان ١٩٩٤. وما يتلوها حتى اليوم من مجازر في غزة ومدن الضفة الغربية (جنين - رام الله - نابلس - بيت لحم).

أكدت محاكمات نورمبرج التي جرت إثر هزيمة ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية ريثما لأول مرة في التاريخ الحديث أن ثمة جرائم ضد الإنسانية: وأنه يجب محاكمة أبطال هذه الجرائم وإدانتهم. وطرحته هذه المحاكمات أسئلة أخلاقية مستحدثة حول ما إذا كان يجوز تبرير ارتكاب جرائم ضد الإنسانية تنفيذاً لأوامر من سلطة عليا. كما طرحت أسئلة أخلاقية ودستورية حول شرعية سلطة الدولة وهي في حالة حرب.

وعندما بدأ انتشار السلاح النووي واستحدثت نظرية الردع النووي، طرح موضوع شرعية استخدام سلاح الدمار التامثل في الصراعات السياسية، أو شرعية إنتاجه وتطويره كرادع ضد استخدامه من طرف عدو محتل أو محتتمل. وهو ما يطعن اليوم أيضاً على العلاقات بين الدول العربية. وكلها دول غير نووية. مع إسرائيل التي لم تعد ثمة شك في أنها تملك ترسانة نووية كبيرة. (اعترافات الخبير النووي الإسرائيلي مرديخاي فاشنولون الذي اختطف من بريطانيا إلى إسرائيل وحكم عليه بالسجن بعد إدانته بكشف أسرار عسكرية).

كل الجرائم الكبرى التي ارتكبت ضد الإنسانية والتي لم يحاكم المسئولون عنها ولم يعاقبوا بسبب ما تقرفته لديهم، توالف فيما بعد من خلال سلسلة من الجرائم الماثلة التي ارتكبت كردات فعل انتقامية على غرار ما جرى في البلقان منذ العام ١٩٧٠ وحتى اليوم وعلى فترات متقطعة. أما الجرائم التي عوقب مرتكبوها كما حدث في ألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية فقد أدت إلى عدم تحويل المجرمين بحق الإنسانية إلى أبطال قوميين، وبالتالي ساهم في قيامهم في احتواء ردات الفعل وأخذ جبهة الرعية في الانتقام. جزء من الفضل في قيام تعاون الماني-فرنسي، الذي يشكل قاعدة الوحدة الأوروبية الحديثة، في الانتشار روح الوفاق التي أطلقتها معاقبة المجرمين في نورمبرج وإدانة مبادئهم الفاشية على



لقد تحمّل العالم العربي - الإسلامي وزر الاتهام الأمريكي الجماعي بالإرهاب. وتحمّل وزر شن الحرب على الإرهاب على قاعدة هذا الاتهام، وها هو يتحمّل وزر فشل هذه الحرب واستمرار الإرهاب



لقد تحمّل العالم العربي - الإسلامي
وزر الاتهام الأمريكي الجماعي بالإرهاب.
وتحمّل وزر شن الحرب على الإرهاب
على قاعدة هذا الاتهام، وها هو يتحمّل
وزر فشل هذه الحرب واستمرار الإرهاب.
فالعدوان على أي إنسان بركه هو عدوان
على الإنسانية جميعها. وترويع أي
مدينة آمنة سواء كانت الرياض أو
نيويورك أو الدار البيضاء، هو ترويع لكل
مدينة في العالم ولكل مدينة عربية
وإسلامية. من هنا وجوب اعتماد مبدأ
الحرب الشاملة على الإرهاب.

وعندما ارتفع في الولايات المتحدة
السؤال الإلهام بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١:
لماذا يكرهونها؟، طلع المستشرق الأمريكي
برنارد لويس (أساتذة التاريخ في جامعة
برنستون ومؤلف ٢٠ كتاباً معظمها في
الإسلام والشرق الأوسط) بنظرية
معاكسة. تكبر نظريته من جهة أولى
كرؤية المسلمين للحرب على أساس أن
الولايات المتحدة هو عالم ناجح ومتنصر
، وتطرح نظريته من جهة ثانية سؤالاً
آخر ليؤكد عليه وهو لماذا لا يخافونا ولا
يكرهونا؟.

وعلى أساس هذين الأمرين يقول
لويس إن غياب عامل الخوف من الغرب
هو الذي أدى إلى تحول الكراهية إلى
الإرهاب. وبالتالي فإن القضاء على
الإرهاب يتطلب في المرحلة الأولى تخفيف
العالم العربي، الإسلامي. لقد كان برنارد
لويس من منطرى احتلال العراق على
قاعدة وجوب التخلي عن مبدأ الاحتواء
Doctine of containment، واعتماد مبدأ
المواجهة المباشرة confrontation الذي قاله لويس -
ويجوز بعد البداية يتم تخفيف وإرهاب
العالم العربي الإسلامي. وتشهير الشرق
اللايسط مع طريق غرس بذور
الديموقراطية فيه وبالقوة. وقد أصبح
مبدأ قوس عملياً الأساس الذي قامت
عليه السياسة الأمريكية بعد ١١ سبتمبر
٢٠٠١ مياضرة^(١).

أمور أساسيان تبدلأ بعد الحرب
الباردة.

الأمر الأول أن الإرهاب حل محل
موسكو كمدو على للولايات المتحدة.
الأمر الثاني هو أن الولايات المتحدة
أصبحت القوة العالمية الكبرى الوحيدة
بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وسقط
يعنى الأمر أن الولايات المتحدة في
مواجهة العدو الجديد ليست مضطرة
إلى اعتماد مبدأ الاحتواء بل إنها مدعوة
إلى، بل ومحاكمة، باعتقاد
مبدأ المواجهة للاحاق

قدم إلى المرجعيات الدولية. وفي عام
١٩٨٢ استحدثت إسرائيل إنشاء حصار
بيروت القنبلة الضاربة التي لم يسبق
استخدامها إلا في التجارب العسكرية.
• احتجاز المدنيين كرهائن. وهنا
أيضاً نجد أن القوات الإسرائيلية
احتجزت عدداً كبيراً من المدنيين كرهائن
للمساومة عليهم سواء في الضفة
الغربية وغزة أو في الجنوب والبقاع
الغربية اللبنانيين.

• إقامة مسكرات الاعتقال. لا شك
في أن أشهر وأكبر مسكرات الاعتقال
التي أقامتها إسرائيل هي في لبنان هو
مسكر أنصار (نسبة إلى قرية في جنوب
لبنان أقيم المسكر بالقرب منها) ومعتقل
البيام.

في القوات الإسرائيلية والمليشيات
الحلجية المتحالفة معها في القسم المحتل
من جنوب لبنان اعتقلت عناصر من قوات
الأمم المتحدة لصلصة التي أرسلت إلى
لبنان في عام ١٩٨٨ بموجب القرار ٤٢٥
الصادر عن مجلس الأمن الدولي والذي
نص على وجوب انسحاب القوات
الإسرائيلية دون قيد أو شرط. ولعشرات
من عناصر هذه القوات الذين قتلوا في
الجنوب فهو بذلك المقتولين للاحتواء
الإسرائيلييين، ومجزرة قانا الشهيرة
وقعت في مركز ثقل قوات الأمم المتحدة
لجأ إليه الفريزيون اللبنانيون للاحتواء
فيه من القصف الإسرائيلي الذي
استهدف قراهم. لذلك فقد تقارير الأمم
المتحدة نفسها، واعتادوا إسرائيليين
المكتورة بأن القوات الدولية لم تكن
مقصودة أو الإصابات القاتلة التي
وقعت حدثت خطأ^(٢).

وتكسفي الإشارة إلى الحصار
التجويبي الذي تواجبه مدن الضفة
الغربية وغزة بما في ذلك حصار الرئيس
الفسطاطي في بيت لحم بحيث تحولت
هذه المدن إلى مسكرات اعتقال جماعية
الهم أن تصنيف العراق التي شكل
مجلس الأمن الدولي على أساسه
الحكمة الدولية لحاكمه مجرمي الحرب
في البوسنة يمثل نوعاً الجرائم التي
ارتكبتها القوات الإسرائيلية أيضاً مع
ذلك يحاكم المصريون وتقدم جوائز
للملأ إلى الإسرائيلييين؟

تداعيات ١١ سبتمبر ٢٠٠١:

بتاريخ الحادي عشر من سبتمبر
٢٠٠١ تعرضت الولايات المتحدة إلى عمل
إرهابي لا سابق له في تاريخها. إذ هجم
ضحيته حوالي ثلاثة آلاف شخص في
حدث سقوط برجى التجارة الخارجية

حربها على الإرهاب. تحولها إلى الحرب
على العراق بحجج وأهية لا تحترم سوى
مصلحة إسرائيل واستراتيجيتها في
تقسيم المنطقة إلى دويلات طائفية
ومذهبية وعرقية. وأدت إدانتهما
المثالية للإسلام بالإرهاب وسوء
معاملة رعاياها المسلمين إلى تراجع
العاطف معها وإلى انحصار الالتزام
بالتصام معها. بل إن هذا السلوك
أضعف الاعتدال واستنفر التطرف.
وزاد إدانتهما بلة فشلها في وضع حد
للاحتياج الإسرائيلي للضفة الغربية
وغزة وتطبيقاتها الجرائم ضد الإنسانية
التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية. كذلك
أنه في الوقت الذي كانت القوات
الأمريكية تتجاهل الجرائم ضد الإنسانية
القوات الإسرائيلية تتجاهل الجرائم ضد
الفلسطينية. أو البقية الباقية من هذه
الجن والمخيمات. وكان من الصعب، بل
من المستحيل تجاهل التكامل في حيث
الاجتياحين ليس فقط من حيث
التقسيم الأمريكي - الإسرائيلي، بل
وفوق ذلك، من حيث أن هذا التقسيم
يستهدف ظلماً العرب والمسلمين. ولعل
الجريمة التي وقعت في الرياض ثم في
الدار البيضاء كانت ثمرة من ثمار هذا
الفشل التدرج. ونخشى أن لا تكون
الشعرة الأخيرة.



هالأيدي العابثة قد تصرف أي مدينة
أخرى. لذلك أن الدين لم يحترمو حرمة
المكان لن يتورعوا عن استهداف أي مكان.
من هنا فإن الحرب على الإرهاب لا يمكن
أن تنجح إلا إذا كانت حرباً مشتركة. وإذا
كانت قد فشلت حتى الآن فلا أن الولايات
المتحدة خاضعة منفردة وألوسيو خاطئ
أدى إلى صلب المزيد من الزيت على نار
الإرهاب.

في نيويورك، إضافة إلى تدمير جزء كبير
من مبنى وزارة الدفاع (البنيناجون) في
واشنطن.

أدى هذا الحادث الإرهابي إلى رد فعل
أمريكي اتخذ أنباء استباقية تمثل
في:

١. اعتماد «مبدأ بوش» (الرئيس
الأمريكي) الذي يقول بالحرب الوقائية
والمبررة «Justified & Preventive war»
٢. تجاوز الأمم المتحدة مؤسسة
وميثاقاً عندما تتعارض مواقفها مع
سياسة الولايات المتحدة ومصالحها.
٣. احتلال القوات الأمريكية
لأفغانستان وإسقاط نظام الطالبان.
٤. احتلال العراق وإسقاط نظام
حزب البعث بقيادة صدام حسين.
٥. اتهم الإسلام بالإرهاب في الإعلام
الأمريكي، وفي سلوك الإدارة الأمريكية.
٦. فرض قيود على حركة تنقل
المسلمين والحرب داخل الولايات المتحدة.
٧. التضييق على ممارسة الحريات
العامية في قاعدة الأمن أولاً.

في الأساس فإن الحرب على الإرهاب
ضرورية وواجبة الوجوب خاصة بعد العمل
الدعواني الذي تعرضت له نيويورك
وواشنطن في ١١ أيلول، سبتمبر ٢٠٠١.
وسبب هوية المجرمين الذين ارتكبوا ذلك
العوان المثل، فقد كان يتعين أن تكون
حرباً إسلامية - غربية مشتركة وحراً
عربية. أمريكية منسقة ضد الإرهاب. غير
أن الفطرة الأمريكية أتت إلى نقل العالم
العربي - الإسلامي من دور الشريك
المفترض منطقياً في الحرب إلى دور
القمم بلا منطق. وذلك من خلال وصف
الإرهاب بأنه إرهاب إسلامي افترأه
وتطليل. وبدلاً من أن يكون العالم العربي
في خندق واحد مع الولايات المتحدة ومع
العالم الغربي كحلفاء الإبراهيميين، تعاملت
واشنطن مع العالم العربي وكأنه «فص
جوانتانامو كبير».

كرس فشل الولايات المتحدة في

الهزيمة بالإرهاب ومن ثم لفرض تغييرات جذرية في القيم والمفاهيم التي تشجع معتقد أناعلى الإرهاب وتدعو له. ويرى لويس أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتبنا موقفيها المزعجة له على عرش النظام العالمي الجديد ما لم تتمكن من إلحاق الهزيمة بالإرهاب وبالتالي من تحقيق هذه التغييرات البنوية في المجتمعات العربية - الإسلامية.

حتى عام ١٩٩٤ تم اختطاف ٤٠ طائرة كورية، وكان المختطفون يستبدلون كالفاتحين في المطارات الأمريكية. كانت الولايات المتحدة تريد تجريد كويا (فيدا كاسترو) من أسلحتها الجوية، ولذلك شجعت ومولت عمليات الاختطاف، وحرضت على إحراق الطائرات المختلفة في المطارات الأمريكية، أو تفكيكها وبمبها قلع غبار لشركات الطيران المحلية الأمريكية.

المبادرة الثانية تمثلت في مؤتمر دولي عقد في شرم الشيخ بمصر ١٩٩٨ دعت إليه الولايات المتحدة وحضره الرئيس السابق بيل كلينتون والرئيس حسني مبارك في جانب عدد من المسؤولين العرب والدوليين، إضافة إلى رئيس حكومة إسرائيل السابق يهودا باراك والرئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات. تبنت المؤتمر وثيقة لمكافحة الإرهاب، إلا أن هذه الوثيقة سقطت في أول تجربة تعرضت لها في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وفي مطلع فبراير ٢٠٠٤ عقد مؤتمر آخر في بالي بالندونيسيا (حيث وقع حادث إرهابي في أكتوبر ٢٠٠٢ ذهب ضحيته ٢٠٢ قتيل معظمهم من الأسرانيين) ١٢ منظمة ممثلون من ٣٣ دولة آسيوية. وقد أجمع المجتمعون على إنشاء مجموعة عمل لجميع الأدلة وتنسيق معلومات الشرطة وتشجيع تبادل المتهمين بالإرهاب وتحسين التنسيق بين أجهزة الشرطة في دول متعلقة آسيا - المحيط الهادئ. ودعا إلى تحسين الإجراءات الأمنية في مجال الطيران البحرية ووقف تهريب الأموال إلى المنظمات الإرهابية وحظر تسرب المواد التي تدخل في إنتاج الأسلحة الكيميائية والنووية. كما اتفقوا على إنشاء أطر قانونية وتبادل المعلومات لمحاربة الإرهاب وتبنيها الأموال. ولا بد من الانتظار لمعرفة النتائج العملية لهذا التوافق الجديد.

المبادرة الثالثة اتخذتها الأمم المتحدة في عام ١٩٩٢ في أعقاب حادث ميونيخ الذي أودى بحياة عدد من الرياضيين الإسرائيليين الذين كانوا يشتركون في دورة الألعاب الأولمبية. جاءت المبادرة أساساً من الأمين العام للأمم المتحدة ودعت إلى إصدار دواخل حول الإجراءات الدولية لمكافحة الإرهاب. تبنتها الجمعية العامة على النحو الذي أقرنا إليه سابقاً. مع الأسف لم تحترم الدواخل

وفي عام ١٩٩٨ قامت إسرائيل بغارة على مطار بيروت الدولي قذمت وأحرقت جميع طائرات الأسطول الجوي المدني اللبناني التي كانت جاثمة على أرض المطار وعددها ١٣ طائرة.

الآن وبعد الفصل الإرهابي الذي استهدف واشنطن ونيجوروك والذي أصاب الكرامة الأمريكية في الصميم، لا يد من التساؤل كيف يمكن التصدي لهذه الحالة الخطيرة التي يواجهها العالم. للإجابة على هذا السؤال لا بد من الإضارة إلى أنه جرت ثلاث مبادرات مختلفة ومتباينة - المبادرة الأولى قامت بها الولايات المتحدة منضرة بواسطة قواتها العسكرية قبل ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ومهدت : غزو جازاندا ١٩٨٢

• قصف ليبيا ١٩٨٦

• القحام عاصمة بنما واعتقال رئيسها ١٩٨٩

• احتلال أفغانستان بتفويض من الأمم المتحدة ومشاركة من حلف شمال الأطلسي ٢٠٠٢

• احتلال العراق بالتحالف مع بريطانيا ومن ثم بمشاركته عدة قوى أخرى - وإسقاط النظام واعتقال رئيسه وكبار أركانها - ٢٠٠٣ - دون العودة إلى الأمم المتحدة.

لقد تبنت الإدارة الأمريكية برئاسة الرئيس جورج بوش نظرية برنارد لويس^(١) التي يقول فيها إنه يمكن فرض ثقافة سياسية على أي مجتمع بالقوة العسكرية. وكانت إسرائيل قد تبنت هذه النظرية التي طرحها لويس لأول مرة في معهد دايان في إسرائيل في عام ١٩٨٠، الأمر الذي شجعها على غزو لبنان في العام ١٩٨٢، ورغم الفصل الذي منيت به إسرائيل في لبنان، فإن الولايات المتحدة تتخذ من هذه النظرية لبراساً لها في احتلال العراق اليوم. فالاحتلال يربط العرب وفرض ثقافة سياسية جديدة يستأصل الإرهاب من جذوره الفكرية الإسلامية.

لم يكن ملف الإرهاب الدولي يحتاج إلى هذا الحادث المروع الذي تعرضت له الولايات المتحدة حتى يصبح الشغل الشاغل للعالم كله سياسياً وعسكرياً وثقافياً، وحتى نادياً. ذلك أن ملف الإرهاب يتنمى في أذرع المنظمات الدولية صامداً بعد عام إلى كل حادث إرهابي دون أن تتخذ قرارات ومواقف حاسمة سواء لصدمة تعريفة أو لجهة تحديد كيفية التعامل معه، أو حتى لجهة مماثلة كل مرتكب الإرهاب بالمثل.

الإرهاب ليس اختراعاً عربياً، ولا هو دعة إسلامية. إنه ظاهرة ناضرة ومترعة من مظاهر الاضطراب السياسي في العصر الحديث. ومع تطوير التقنية تطور العمل الإرهابي، ففي عام ١٩٥٦ أدمعت السلطات الفرنسية على اختطاف طائرة مدنية ترعب العلم العربي وعلى منتهى خمسة من قادة الثورة الجزائرية. بينهم أحمد بن بل كانوا في طريقهم من الرباط إلى تونس لحضور مؤتمر مشترك فيه ممثلون من الحكومة الفرنسية نفسها لمبحث عن حل للقضية الجزائرية. وقد احتفظت فرنسا بقيادة الثورة أسرى لديها حتى استقلال الجزائر في عام ١٩٦٢. ذلك كان حادث القرصنة هذا أول حادث من نوعه تقوم به دولة كبرى.

بعد عامين وبالتحديد في ١/١٣/١٩٥٨، نظمت الولايات المتحدة حادث اختطاف طائرة كورية مما أدى إلى مصرع ١٧ شخصاً. وخلال الفترة من ١٩٦٠

الدولية حتى في هذا الألفى. فالولايات المتحدة تدعمتحتلاليبريوطانيا أثناء حربها ضد الأرئنتين (١٩٧٠)، ووبريوطانيا قدمت المساعدة للولايات المتحدة أثناء قصفها لليبيا (١٩٨٦) ثم تحالفت معها في الحرب على العراق ٢٠٠٢. ورغم الحق الإسرائيلي للقانون الدولي بالاعتداء على لبنان واحتلال جزء منه وتدمير عاصمته في عام ١٩٨٢. ورغم احتلال إسرائيل لكل فلسطين وارتكاب المجازر الجماعية بحق الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وغزة، ورغم احتلالها مرتفعات الجولان السورية خلافاً لقراري مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ و٣٣٨، فإن المساعدات العسكرية والاقتصادية التي تتدفق على إسرائيل من عدة دول وخاصة من الولايات المتحدة تجعل خطأ بربانيا تصاعداً.

مراحل التصدي للإرهاب

يمكن تقسيم استراتيجية مكافحة الإرهاب إلى مرحلتين أساسيتين : مرحلة ما قبل الحرب المباشرة، وقد فشلت لأسباب سياسية عدة أهمها : أولا : الخلط بين مفاهيم الإرهاب والعنف والكفاح المسلح.

ثانياً : قدرة المنظمات المسلحة على التكيف مع الإجراءات الأمنية التي كانت تتخذ لدفعها.

ثالثاً : ممارسة بعض الدول الكبرى للإرهاب السياسي (الاجتياح السوفياتي لأفغانستان) (الاجتياح الأمريكي لجزائرا) ونما والتورط العسكري في لبنان وليبيا والحرب على العراق في عام ١٩٩١ بعد غزو الكويت).

رابعاً : وجود مساحة دالة من السلامة توفرها الصراعات الدولية بين الشرق وحلف واسو من جهة والغرب وحلف شمال الأطلسي من جهة ثانية.

ولعل أوضح مثالين هما الدمع السوفياتي في فيتنام في حربها التحريرية ضد الولايات المتحدة، والدمع الأمريكي لأفغانستان في حربها التحريرية ضد الاتحاد السوفياتي.

في ضوء هذه الواقع لم تؤد المحاولات الدولية لمكافحة الإرهاب والعنف المسلح إلى أية نتيجة فعالة مما حمل كلا من الرئيس المصري حسني مبارك والرئيس السوري الراحل حافظ الأسد على اقتراح عقد مؤتمر دولي بإضراف الأمم المتحدة لوضع اتفاقية جديدة لحل محل حل الانشاقات القائمة، وتتضمن تعريفاً محدداً للإرهاب ومن ثم لتهامات الدول في معالجة أسبابه والتصدي له.

العدد الخامس والسبعون - يونيو ٢٠٠٤ م

التزاعات المسلحة في العالم

عدد الصراعات المسلحة	توقعها	تاريخها
١٠	محدودة	١٩٩٩
٩	أقل من ألف قتيل في المجموع	٢٠٠٠
٢٣	متوسط	١٩٩٩
١٢	أقل من ألف قتيل في العام الواحد	٢٠٠٠
١٤	واسعة	١٩٩٩
١٢	أكثر من ألف قتيل في العام الواحد	٢٠٠٠

• يبلغ عدد النزاعات المسلحة في العالم بين عام ١٩٩٩ و ٢٠٠٠، ١١١١ نزاعاً منتشرة في ٤٤ مرقع.

كتاب الزاوية



١ - حياتي

أحمد أمين

في الثلاثين من مايو الماضي، مرت الذكرى الخمسون لوفاة الدكتور أحمد أمين رائد الدراسات الإسلامية في العصر الحديث الذي أرخ للحياة العقلية والفكرية للإسلام في سلسلة مؤلفاته الشهيرة التي قال عنها طه حسين: «من ألف فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام أبقى على الأيام من أن يدركه الموت».

ولد أحمد أمين في حي الخليفة بالقاهرة عام ١٨٨٦ ميلادية، وكان أبوه مدرساً في الأزهر وفي مدرسة الإمام الشافعي وإمام مسجد ، فتأثر بولعه بالكتب وبقوة عاطفته الدينية. كما تأثر بجماعة الحارة القاهرية الصميعة التي نشأ فيها. وقد تنقل أحمد أمين في تعليمه بين الكليات التقليدية ومدرسة أم عباس الابتدائية بنظامها الحديث، ثم بين الدراسة الدينية الخالصة بالأزهر إلى مدرسة القضاء الشرعي التي أنشأها الإمام محمد عبده برعاية سعد زغلول باشا لتقوم بتدريس الثقافة الدينية والثقافة اللغوية الأدبية إلى جانب الثقافة القانونية المصرية والثقافة العلمية الحديثة. فتفهر به طريقه من الأزهر إلى القضاء الشرعي إلى الجامعة، حيث أصبح فيها أستاذاً بكلية الآداب ثم عميداً لها.

ومن آثاره الثقافية والوطنية المهمة تأسيسه للجنة التأليف والترجمة والنشر ومجلة «الثقافة» وه إنشاءه الجامعة الشعبية (قصور الثقافة الآن). وقد أنهى أحمد أمين الجزء الثاني من مذكراته «حياتي» قبل عام من وفاته، والتي يروى فيها عن مراحل تفتح وعيه الديني والسياسي والوطني والمعرفي.

مكانته وإمكاناته، مما يجعل هذه المكانة، بالمعنى العياسي، تقف في نقطة منخفضة لم يسبق أن بلغتها في أي وقت مضى. لقد كان الجزء المطلق بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل سيئاً أساسياً لتدمير الثقة بالولايات المتحدة وكلماتها في العالم. وفي يقيتي أن هذا الأمر يشكل تطوراً خطيراً يؤثر سلباً على دور الولايات المتحدة في العالم»^(١).

ولأن هذا الأمر الثاني بقي نظرياً فقد كان طبعياً أن يفرض الأمر الأول نفسه حقيقة جديدة من حقائق السياسة الدولية، وركناً أساسياً من أركان لعبة الأمم. وفي ظل الانحطاط الدولي الجديد لم يكن مستغرباً أن يشهد العالم تغييرات إرهابية من عدم الرضى على استمرار الظلم وتجاهل معاناة المسجونين الذين لم يجز تحقيق قضيتهم بعد في محاكماتهم - فإن الحرب ضد الإرهاب ليست صراع حضارات، فالإرهاب لا يمت إلى أي حضارة أو إلى أي دين بصفة خاصة عندما يستهدف أبرياء ومواقع مدنية آمنة. بل إن من مستلزمات كرامته قيام حوار حضاري في إطار الاحترام المتبادل. ويبقى في الحسابات الأخيرة أن القمع لا يمنع الإرهاب. يمنع الإرهاب رفع الظلم وتحقيق العدالة وإنصاف المظلومين. ■

الهوامش

(١) Walter laqueur, Terrorism ,

Boston , Little Brown

(٢) الإرهاب في العمل السياسي، إدوين مكر.

بحث في أصول الظلم وأبعاده الانسانية -

دار الطليعة، بيروت ١٩٧٢ ص ١٠٢

(٣) Herald Tribune ١٨/١٢/١٩٨٢

(٤) مجلة المستقبل العربي - العدد ١٠٥ - ١٩٨٧

(مخيلة) أجراها محمد د. علاء طاهر

(٥) وثائق الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقرير

الجنة الخاصة بالإرهاب، ملحق ٢٣، ١٩٧٢ (١٩٧٢)

الصفحة ١١٨

(٦) وثائق الجمعية العامة للأمم المتحدة، اللجنة

الخاصة بالإرهاب الدولي، مستند AC/A/١٦٠

٢٩، ٢٩ فبراير ١٩٧٩

(٧) قال فيها المبدأ جورج كلان في مقالة نشرتها

له مجلة فورن افيوز الأمريكية في عام ١٩٤٧

واقترحت الإدارات الأمريكية المتعاقبة في التعامل

مع الاتحاد السوفياتي السابق.

Peter Waldman, Wall Street Journal , Feb

٢٠٠٢، ٢٠٠٢

(٨) عدد من كتابه هذا الإدارة هم في تلاعبه

الدكتور لويس ولتالون به أمثال: «البيت إبرامز

رئيس قسم الشرق الأوسط في مجلس الأمن

الدولي، الأمريكي وهارولد رود مستشار ووفوتز

لنشر الإسلاميه

(١٠) جريدة النهار، ٢٠٠٤/٢/٢٤

وفي مرحلة ما بعد الحرب الباردة فقدت المنظمات الإرهابية كل مظلة، بعد أن تبادلت الدول التي كانت تدعم بعض هذه المنظمات وتشجيعها، الملفات السرية المتعلقة بها أشخاصاً وعملياتاً، إلا أنه سرعان ما تبين أن عالم ما بعد الحرب الباردة لا يتتبع بمناعة ضد التعرض للعلم الإرهابي، ليس فقط لأن الولايات المتحدة تسك وحدها بتلابيب النظام العالي الجديد بل لأنها تسك بتلابيبها. ولأنها تضع الإرهاب والتكفاح المسلح في سلة واحدة، بل إنها - وفيما يتعلق بإسرائيل - تعتبر عملياتها الإرهابية دفاعاً عن النفس، فيما تعتبر عمليات المقاومة الفلسطينية إرهاباً. إن استقراء الأحداث التي عصفت بالمجتمع الدولي خلال هذه المراحل التي مرت بها محاولات كبح جماح الإرهاب الدولي تثبت أمرين أساسيين:

الأمر الأول، تصعيد في عمليات الإرهاب الدولي، وتوسع في إطار ممارساتها، وارتفاع في عدد ضحاياها من الأبرياء. وكان آخرها ومن أبشعها العملية التي استهدفت الولايات المتحدة يوم الحادي عشر من أيلول - سبتمبر ٢٠٠١، والتي أضلعت قتل الحرب العالمية الثالثة على النحو الذي أعلنه الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، نفسه. الأمر الثاني، تأكيد المجتمعات العالمية المتمثلة التي تقتصر إلى القدرة - أو التي جردت من القدرة على المشاركة في صناعة القرار الدولي - على حقوق الشعوب الصغيرة المظلومة على أمرها أي حق تقرير المصير (مبادئ الرئيس ونسون في فريسي بعد الحرب العالمية الأولى)، وتنديدها بالممارسات التي تقوم بها أي دولة سواء كانت إسرائيل أو الولايات المتحدة ضد هذه الشعوب الأمر الذي أساء إلى سمعة الولايات المتحدة وإلى صليقيها الدوليتين، حتى أن زيجينيو بيرجنسكي مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق للرئيس جيمي كارتر (١٩٧٧ - ١٩٨٠) يقول في محاضرة القاها في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن: «من الواضح تماماً أن الولايات المتحدة بانت لث نجاحاتها العسكرية في كل من أفغانستان والعراق، القوة الوحيدة التي تملك قدرات عسكرية عالمية. فليست هناك دولة أخرى تملك قدرات بهذا الحجم، لكن المخافة هي أنه في الوقت نفسه، واستناداً إلى مؤشرات كثيرة، وإلى استطلاعات الرأي عبر العالم، وإلى ردود فعل الحكومات الأجنبية، وإلى تقارير الصحافيين الأمريكيين المنتشرين في العالم، يمكن القول إن أمريكا تفتقر إلى الصدقية الدولية التي تتماشى مع

العدد الخامس والسبعون، يونيو ٢٠٠٤ م

من الذي يكذب؟!!

تقرير الإرهاب الأمريكي



محمود المراغي



سبتمبر، وأنه لا علاقة به بأسلحة دمار شامل أو تنظييمات إرهابية. وعلى عكس ذلك يجب تقرير (الإرهاب في العالم) هذا العام ليسير إلى أن أول مكاسب الحرب في العراق هو القضاء على الإرهاب، بل إن عملية «تحرير العراق» وهذا هو الاسم الأمريكي للحملة، هي الآن العملية المركزية للحملة العالمية على الإرهاب. هكذا تنظر الخارجية الأمريكية لاحتلال دولة عربية، وهي في تقريرها تشير لشركات أولى حين جرى القبض على صدام حسين، وحين جرى إغلاق معسكر للترتيب تابع للقاعدة. كما يقولون، في شمال العراق إضافة لمطاردة رجال مصعب الزقراوي الذين تدربوا على الحرب الكيميائية وإضافة للغارات التي كانت قد قصفت في بداية الغزو معسكر (أنصار الإسلام).

حملة العراق، طبقاً للخارجية جزء من حرب الإرهاب التي دخلتها واشنطن متأخرة طبقاً للشهادات الأخيرة التي أدلى بها (كلارك) وقال فيها أن معلومات كانت متوافرة قبل ١١ سبتمبر وأن هذه المعلومات كانت تشير لتحادث جلي سوف يجري بواسطة الطيران.

وسرة أخرى ردت الإدارة الأمريكية بأنهم «لم تعلم، ولم تقصص، ولم تتأكد» واختلعت الأرقام التي في التقرير يكذب الرئيس بوش أم الرجال الذين عملوا معه؟

على أي حال وأياً كان الصدق والكذب في عام الانتخابات، فقد كان علينا أن نصدق الكثير ما جاء في تقرير الإرهاب لأنه (شهادة المفسول به) في بعض الأحيان فقد كانت هناك عمليات عنف أغلبها ضد الولايات المتحدة، وكانت هناك عمليات رصد لعمليات أخرى مما يتيج أن نلصقها في حصيلتنا هامين ونصف من حرب الإرهاب. وإن نعرف العائد والتكلفة... ماذا كسبت أمريكا؟ وماذا كسب العالم؟ وما هي الخسائر التي تحققت عن طريق (الإرهابيين) أو كتكلفة دفعتهما الجيوش ودفعتهما الدول؟ في يند الخسائر البشرية يأتي في الرقم الأول الذي يذمعه التقرير، فقد بلغ عدد العمليات المصنفة كإرهاب دولي خلال عام ٢٠٠٣، ١٩٠٠ عملية. كانت آسيا في المقدمة، واحتلت المركز الأول في عدد العمليات منزوعة الأولى من أمريكا اللاتينية التي شهدت القفص الأخير من العمليات في السنوات الماضية.

وكان عدد القتلى طبقاً للتقرير هو (٢٠٧) أشخاص، وإحصاء، (١٥٣) أما العدد الخامس والمستون، يونيو ٢٠٠٤ م

هو كليلتون فإن مسلسل الصدمات التي تعرض لها بوش قد بدأ وانتهى بكلمة «إرهاب»، وما تلا ذلك من تداعيات، فقرار العراق جرى التشكيك فيه في اليوم التالي لضربة سبتمبر، وعندما قال ريتشارد كلارك مستشار البيت الأبيض للإرهاب حينئذ: إنها القاعدة ولهمت العراق، قال بوش، طبقاً لرواية الأخير في كتابه الذي هز الولايات المتحدة، «بل ابحت عن دور صدام حسين». وعندما قيل للجنرال (أبي زيد): استعد للعراق، ولم يكن قد استقر به الحال في أفغانستان أزيد وأرضي فكيف يجرب في جبهتين في وقت واحد، لكنها الأوامر والتي اضطر لتتفنيها.



في وقت لاحق، جاءت ثلاثة كتب مهمة أصدرها وزير الخارجية السابق بول أويل الذي عمل شهراً مع بوش، وكلارك الذي نتحدث عنه، ويوب وونوار الصحفي الشهير الذي أسقط نيكسون بفضيحة (وترجيت)... والكتب الثلاثة أقصحت عما جرى وأن قرار الاحتلال للعراق كان يجري التحضير له قبل ١١

هذه المرة. الذين يقاومون الاحتلال في العراق! كان الحديث كله حول صور التعديب في العراق، لكن ذلك استدعى للأذهان صوراً أخرى لم تنشر وجرى إخفاؤها، وصوراً لم تنسب بعد وتكشف موقعاً آخر، ربما يكون هو الأخطر لأنه وراء ستار حديدي في جزيرة كويبية اسمها جوانتنامو، ويصمم كثيرين ممن اختطفهم واشنطن من دول عدة وليست أفغانستان وحدها!

لم تنسب صور جوانتنامو وإن أفلدت شهادات الدين تم الإفراج عنهم، وبينهم بريطاني يتحدث لمصيفة «الايوزفر» بأن هناك تسجيلات في الفيديو لما جرى، وإن إدارة المسجون تحسفت به هذه التسجيلات لترفعها إلى رؤسائها في البيت الأبيض!

في كل الأحوال كان خيط الكذب ممتداً، فإن الرئيس ونائبه ووزير دفاعه يتكبرون معرفتهم بما جرى في سجن أبو غريب، والشهادات التي حصل عليها الكونغرس تقول أنهم كانوا يملكون بل إن خطة التعذيب، قد التصديق عليها من كل المستويات.

ورغم أن الكذب في المجتمع الأمريكي جريمة كبرى حوسب عليها رئيس سابق

صدقتى الكلمة، مصاحف ممخدة... فرائها مرة أخرى وتأكدت أنها ليست سيارات مفخخة وليس الحديث عن أشخاص انتحاريين يلفون المضرمات حول جسددهم هو الضمان، كتاب الله... أما المصدر فهو: وزارة الخارجية الأمريكية، وعبر وثيقة جرى تدقيقها وهي تقرير، نماذج من الإرهاب في العالم... والذي تصدره الوزارة هي (أبريل، مايو) من كل عام، والعبارة جاءت في آخر تقرير ومن خلال مقدمة كتبها السفير كوبر بلاك منسّق محاربة الإرهاب.

أراد السفير أن يستفز القارئ فقال في مقدمة حديثه إن الإرهابيين قد استهدفوا الكنائس والمساجد، خلال عام التقرير وهو ٢٠٠٣. والدليل ما جرى في أفغانستان والعراق؛ ثم يكمل أنه «من بين ما تم ضبطه لدى إرهابيي القاعدة في العام الماضي تسع من القرآن تافسة قابل، مما يوضح، طبقاً لتعبيره، كيف أن هؤلاء يعادون كل البشر بصرف النظر عن العقيدة»!

هكذا قال الرجل، وهكذا علت علامات الاستهزام فإن كان الحديث صدقاً فلماذا أمام جماعات دينية، بل هي جماعات سياسية وهو صراع سياسي، وإن كان الكلام كذباً، وهو ما أرجحه، فلماذا تكذب واشنطن في هذه القضية الحساسة، ومن يصدق كذبتها الكبرى، مصحف مزود بالقابل!



ويبدو أن ذلك العام سواء كان (٢٠٠٣) أو (٢٠٠٤) أو حتى ما قبل ذلك وابتداء من (١١ سبتمبر عام ٢٠٠١)، يبدو أنه عام، أو أعوام، الكتب والخديعة، لا نقولها نحن، ولكن يقولونها هم. ولتمتاع دائماً «الإرهاب» أي ما يتحدث عنه هذا التقرير.

صدر التقرير في أبريل الماضي وبدأ تداوله في مايو وسط انتباه الرأي العام للطرف الأخير من قصة الذين أطلقوا عليهم واشنطن كلمة (إرهابيين) وهم.

The Year in Review: Patterns of Global Terrorism
نماذج من الإرهاب في العالم
Office of the Coordinator for Counterterrorism, US Department of State, April 29, 2004

الذي تلقى اكبر قدر من الضربات وكالمعاد منذ فترة طويلة في الولايات المتحدة الأمريكية التي جرى استهدافها في ٨٢ حادثاً وهو ما لم يصب دولة أخرى في العالم.. ولكن ضحايا الولايات المتحدة من قتلى لم يتجاوزوا ٣٩ شخصاً، بدت قصصهم. بسبب ضالة العدد. كأنها ميازة بالسيف في زمن اختفت فيه السهوف، أو كأنها صيد للمصايف في غابة طارت منها كل المعاصير فلم يبق غير هذا العدد المحبوس.

القتلى في كل العمليات وطبقاً للتقرير ٣٠٧ أشخاص، بينهم ٣٥ أمريكياً، ميشيل رينيه ذو الواحد والعشرين ربيعاً الذي تم قتله برصاص قناص في الكويت، وتوماس جانيس قائد الطائرة التي أسقطتها جماعة القوات المسلحة في كوتومبيا، ووليم هايد الذي قتلته قنبلة في انفجار بمطار بالفيين... و... هكذا اهتم التقرير بتسجيل أسماء الضحايا واحداً بعد الآخر مع ذكر ملايات كل حادث.

ولكن يلفت النظر انه من بين ٣٥ قتيلاً كان هناك واحد وثلاثون قد سبقوا في دول عربية، وإشنان لقباً مصرعياً في أفغانستان. أيضاً، يلفت النظر ان نصف الذين ماتوا في دول عربية قد سقطوا في عمليات فلسطينية، بينما سقط تسعة في السعودية، وخمسة في العراق... و... لا يهم التركيز على هذه الفصحة، لكن المهم هو دلالة الأرقام فقتلى الولايات المتحدة، بل وقتلى مختلف الجنسيات في جميع أنحاء العالم لا يعادل قتلى غارة أمريكية واحدة في العراق أو أفغانستان. التقرير يخلو من ذكر أي شيء عن خسائر الأطراف الأخرى التي أصابها حرب الإرهاب، حتى لو كانت الخسائر. وهي الحقيقية، على جبهة المدنيين في معظم الأحوال.

وعكدا بدت الصورة لما جرى عام ٢٠٠٣، والذي جرت نسخته ٣٧ جماعة وضحاها التقرير. طبقاً لتعريف يحدده القانون الأمريكي، بأنها «إرهابية» إضافة لأربعين جماعة أخرى كامة أو باتت على الهامش.



في التفاصيل. والهجمات أكثر من عدد القتلى. كان هناك خلال العام ٢٦ هجومًا على أهداف أمريكية في أمريكا

اللاتينية حيث الصالح النرويجية الأمريكية في الأسفل، وحيث تحرس التنظيمات الحادية (ومعظمها ماركسي) على الا تصيب البشر (فالإنذار المادي يكفي لتبليغ فضهم لوانشطن). معهما، وطبقاً للتقرير جاء دور غرب أوروبا وفيها جرى استهداف ١٦ موقفاً أمريكياً، ثم جاء الشرق الأوسط، ١١ موقفاً، أساساً، ٦ مواقع.. ومعظم الهجمات كانت بالفتايل، وأقلها حوات خطف. أيضاً، كانت دوائر الأعمال هي الأكثر استهدافاً، وكانت

الأهداف العسكرية هي الأبعد مثلاً. الأهم هي الصورة العامة التي وصفتها منقش شون الإرهاب بأنها جيدة (لأن العمليات تتراجع)، والصورة التي نعنيتها هي منحنى العمليات طوال العترة الماضية، قبل وبعد سبتمبر، قبل وبعد حرب الإرهاب، التي باتت حرباً عالمة من طراز جديد.

كانت عمليات العنف بين عمود وهبوط طيلة العشرين عاماً الماضية. بلغت ذروتها عام ١٩٨٧، (٦١٥) عملية وبلغت انذاه في بلغت الماضي، (١٩٠) عملية، صعدت في عام تحرير الكويت فسجلت (٥٦٥) عملية عام ١٩٩١، ثم تراجعت في العام التالي إلى ٦٣٢ عملية، وعادت لتصعد حتى بلغت ٤٦٦ عملية عام ٢٠٠٠ وبدأ الاتجاه للتراجع طيلة السنوات الثلاث التالية أي قبل حرب الإرهاب وبمعدها.

خلال ذلك لم يكن أكبر عدد من الضحايا في حادث ١١ سبتمبر، بل كان

قبلها في أفريقيا حيث بلغ عدد ضحايا أفريقيا (بين قتل وجريح) (٥٣٧١) عام ١٩٩٨. بينما بلغت ضحايا أمريكا الشمالية عام ٢٠٠١، (٤٥٩)، ونلاحظ هنا أن التقديرات الخاصة بـ ١١ سبتمبر قد تراجع فيها عدد القتلى أكثر من مرة حيث بدأ بسنة الآلاف وبعث في التقرير الأخير لا دون الثلاثة آلاف.

السؤال: وماذا عن الشرق الأوسط الذي تثار حوله الصجة، والذي شهد أحداثاً جسيمة على أرض السعودية والمغرب وتونس إضافة لما هو ناشب في حروب في العراق وفلسطين.



التصاعد جاء دائماً مصحاحاً لتزايد الضربات الإسرائيلية على أرض فلسطين، ومع احتلال العراق ومع تسجر تناقصات داخلية في بعض الأنظمة، والأرتباط بالموال السياسية هنا واضح حتى أن نشأة التنظيمات التي تمارس العنف، والتي يصنفها التقرير بأنها إرهابية، قد جاءت مصحاحاً لتطورات القضية الفلسطينية. في أواخر الستينيات. وبعد حرب ١٩٦٧. نشأت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية، وفي عام ١٩٧٤، بعد حرب ٠٣. جاءت حركة (أبو نضال). وفي عام ١٩٨٢، ومع احتلال لبنان، جاء حزب الله ثم جاءت حركة حماس عام

١٩٨٧، وجاءت كتائب شهداء الأقصى مصحاحاً للانتفاضة الفلسطينية الأخيرة، ولم تبدأ الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر نشاطها طبقاً للتقرير، إلا في عام ١٩٩٢ بعد الواقعة المشهودة مكسب السيار الإسلامي لانتخابات الحليات ثم التدخل لإجهاض هذا المكسب.

السياسة إذن هي الأصل، وهو الأمر نفسه في معظم التنظيمات التي جرى تصنيها كجماعات إرهابية. (بالسلك) في إسبانيا تريد الانفصال، وجماعة (أبو سياف) في الفلبين تريد دولة إسلامية مستقلة في جنوب البلاد، وهو ما تطليه أيضاً جماعة (انصار الإسلام) في المنطقة الكردية بال عراق وحتى وقت قريب هو (ديسمبر ٢٠٠١). أما الجيش الأيرلندي

فقصته معروفة. ونفس الشيء بالنسبة لحزب العمال الإرسكتلاني، وغيره. السياسة هي الأصل، والخلاف العرقي أو المذهبي، والذي نحملة معنا منذ عشرات الألاف، سبب رئيسي للعنف الذي طابعا عالجته الدول بأساليب شرعية بعيداً، عن استخدام الجيوش والطائرات وإعلان الحروب، لكن التقرير ينكر ذلك، ولا يقتر ب منه بل إنه يتجاهل كل أسباب العنف التي باتت حافراً لكثير من الحركات في العالم. وينكر وجود مظالم وحالات احتلال واضطهاد عرقي، وكلها عوامل تحرك العنف دون شك، لذا فإن التقرير يعد اجتيازاً لأزمة المصادقية التي تواجه كل الأدبيات الرسمية في الولايات المتحدة وغير معلومات بعضها حقيقة ويعصها تأثير علامات استفهام، بعد ذلك يدخل إلى أزمة شالية في أزمة المفاهيم.

تشير التقارير المتوالية حول الإرهاب الدولي والتي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية إلى أنه لم يحظ أي تعريم للإرهاب بقبول دولي، ومع ذلك، يقول: «إنه من أجل الغرض من هذا التقرير اخترنا تعريم الإرهاب الذي تتضمنه المادة ٢٢ من القانون الأمريكي القسم ٢٣٥٩، ويقول: إن الإرهاب يعني العنف المتعمد بوسائل سياسية ويجري ارتكابه ضد أهداف غير محاربة بواسطة جماعات شبه قومية أو عملاء أوسيين ويفسر غير المحاربين بأنه يتضمن المدنيين والعسكريين الذين يكونون وقت الحاد غير مسلحين أو خارج الخدمة وكذلك المنشآت العسكرية أو العسكريين في حالة عدم

في كل الأحوال كان خيط الكذب

ممتداً، فالرئيس وناذبه وزير دفاعه ينكرون معرفتهم بما جرى في سجن أبو غريب، الشهداء التي حصل عليها الكونجرس تقول إنهم كانوا يعلمون بل إن خطة التعذيب قد تم التصديق عليها من كل المستويات



.. وهكذا جرى تسليم الكثيرين للولايات المتحدة ممن حدثت هي أسماهم، وهكذا أيضاً، وطبقاً للولايات المتحدة، تم نقل عدد منهم لتحتجبه الصيفية. واستجابته في عواصم عربية لانتزاع الامتيازات منه، بل وهكذا خرجت طائفة ويدون سائق لتتصف سيارة يمنية وتقتل مشتبهاً فيه اسمه (سفينة الحارثي) ومن معه دون اعتراض من الحكومة اليمنية. كان ذلك في أواخر عام ٢٠٠٢. وحين سألو أرمسفيلد عن مقتل الحارثي حينذاك كان تعليقها (إن التخلص منه أمر طيب للغاية).



ماذا فعل الحارثي؟.. ولماذا لم تقبض عليه حكومته وتحاكمه إن كان قد خالف القانون؟

إنها عينات من حرب الإرهاب التي يقول تقرير الخارجية الأمريكية إنها قد خططت لها بعناية، بدبلوماسية، وقانوناً، ومخابراتاً، ومالاً، وعسكرياً، ووفق مبادئ محددة لأزمة تهريبه الإنسانية (الإرهابية) ومن خلال «مهاجمة ملاجئهم، إقحاماتهم، مواصلاتهم، الناس». مع رفض قبولهم كلاجئين وحاصر الدول التي تشجعهم أو تؤويهم. دخل اللعبة حلف الأطلسي وأنشأ قوة أمنية تعمل في أفغانستان، كما وفر رصداً لما يحدث في البحر الأبيض، وروعة دفاع بيسولوي وكيمساي ولزوي، ووحدة مخبرات، وفي عام ٢٠٠٣ وافقت الأمم المتحدة للدول الصناعية على تأسيس مجموعة عمل ضد الإرهاب، ومثل ذلك فعلته الدول الأمريكية ومجموعات دولية أخرى، كما أنشأت الولايات المتحدة مركزاً متكاملاً للعمل ضد الإرهاب، ومركزاً آخر لردود وتزويد الشائعات بالمعلومات، وطبقاً للتقرير ١٧٣ دولة قد أصدرت أوامر بتجميد أصول يشتبه ملكيتها لعناصر إرهابية، ومائة دولة أصدرت تشريعات بخصوص الحصار المالي.

وهكذا فإن العمل جرى على جميع الجبهات، والاعتمادات المالية مفتوحة ومن ثم فقد أصبح، طبقاً للتقرير، «معظم قيادات القاعدة بين قتيل أو سجين، وبلغ عدد من انتقله منهم، حتى ديسمبر الماضي، ٣٤٠٠ شخص، وكان من أبرز العمليات القبيحة التي خالدها شيخ محمد في مارس ٢٠٠٢، وقد تم اعتقاله في باكستان وجرى تسليمه لواشنطن ثم، في أغسطس القُبض

• وقد عززت قوات من ٥٥ دولة القوات الأمريكية في المجهد الحرري. إنها حرب عالية بالفعول، وإن كانت من طرف واحد لأن الطرف الآخر مجرد أفراد وجماعات هائلة على وجوها في الجبال والصحارى والكهوف والشقوق المفروشة، وهم أفراد وجماعات. وإن كانت بعض حركاتهم عابرة للحدود. لكنهم عاشوا معنا نظارهم بالشرطة في تصادموا مع أهداف المجتمع، ونحتفى بهم إن لعبوا دور (نائب الفاضل) في مواجهة عدوان إسرائيل أو غير إسرائيليين.

إنها حرب (اللامعقول) اختارت لها واشتغل موملين هما الأضعف في العالم، أفغانستان التي لم تجد تقارير البنك الدولي أكثر من سطور كمعلومات متوافرة عما يجري بها، والعراق التي أنفكها حصار وحرب ١٢.٥ عاماً ومنذ عام ١٩٩١. و.. بينما استطاعت واشتغل (تجيبين) العالم معها في الحرب الأولى، ويدعو حماية الحضارة الإنسانية، لم تتمكن من ذلك هي العراق وإن استمر الخلس بين (حرب إرهاب) وحرب (احتلال أرض وقطع شعب). ولكن، وما بين الحربين أرست واشتغل سوابق حديثة في العلاقات الدولية. أرست قاعدة القتل بالاشتباه، وأرست قاعدة الرقابة الدولية لعاصمة واحدة يكون لها حق القبض على مواطني الدول الأخرى، وترحيلهم. ربما بواسطة حكوماتهم، وإخضاعهم للاعتقال والاستجواب وعزلهم عن العالم!

• ثانياً: إنه في حالة «الاشتباه» بوجود خطر، أو وجود قوة صاعدة تهدد فإن الجيش الأمريكي يقوم بحرب إجهاضية أو استباقية، ينهب فيها للخصم فيعذب في مقله قبل أن يتحرك.

• ثالثاً: إن الشرعية التي يستند عليها تحرك الولايات المتحدة هي شرعية (الأمن القومي الأمريكي)، ومن ثم فإنها وهي التطبيق العملي، هي شرعية القوة في مواجهة شرعية القانون وما قد يفرضه المجتمع الدولي.

لقد سقطت فكرة الحدود السياسية والسيادة الإقليمية للدول وحتى توفر واشتغل شعاعاً دولياً حملتها الأولى ضد أفغانستان فقد راحت تستثمر ١١ سبتمبر وكما يقول تقرير الإرهاب عن عام ٢٠٠٢ فإن:

• هناك ١٣٦ دولة عرضت مساعدات عسكرية على الولايات المتحدة

• و ٨٩ دولة منحت حق التحقيق للسلطات العسكرية

• و ٧٦ دولة منحت حق التوقيف لهذه السلطات

• و ٣٣ دولة وافقت على استضافة القوات الأمريكية والقوات التحالف المشاركة في حرب أفغانستان.



إن الشرعية التي يستند عليها تحرك الولايات المتحدة هي شرعية (الأمن القومي الأمريكي)، ومن ثم فإنها، وفي التطبيق العملي، هي شرعية القوة في مواجهة شرعية القانون وما قد يفرضه المجتمع الدولي



وجود أعمال عدائية في تلك المواقع مثل التفجيرات ضد القواعد الأمريكية في أوروبا والغلبين وأماكن أخرى.

هذا هو التعريف الرسمي، وليست القصة هي (التقرير) لكن القصة هي (القرار) فعندما يجري تصنيف جماعة ما بأنها إرهابية يجري استباحة دم أعصابها، ويجري الحصار القانوني والمالي من حولها، وهو الأمر الذي دعا الخارجية الأمريكية لأن تشير لمساندة العراق للأنشطة الإرهابية وتشجيعه بسبب قرار اتخذته هند حسن بصرف (إذاعة تتراوح بين عشرة آلاف وخمسة وعشرين ألف دولار لكل أسرة استشهد عليها في فلسطين، بل إن نفس الأمر هو الذي دفع كل من الأردن والكويت ياب تجمد. طبقاً للتقرير، أموال منظمة حماس، فهل كانت مقاومة الاحتلال على أرض فلسطين عملاً إرهابياً رغم ما ينص عليه القانون الدولي وتنتص عليه قرارات الأمم المتحدة حول (حق مقاومة الاحتلال بكافة الوسائل)؟ الإجابة واضحة. إنها أزمة المفاهيم، فكلمهم عند الولايات المتحدة (إرهابيون) ولا تفرق واشتغل ساحتهم لا عندما يضمون السلاح وتصبح إسرائيل وحدها في الساحة!



يقول السفير الفرنسي تايلور المنسق السابق لمكافحة الإرهاب وجين سئل من مؤثر صحفي حول سوريا ولبنان ارتباطاً بهذه المفاهيم، لقد أخبرنا سوريا بما لشعريه حول سلوكها كدولة راعية للإرهاب، وبالنسبة للبنان فهم يعتبرون حزب الله حركة تحرير ونحن نعتبرها إرهاباً، وقد تطورت ذلك كما هو معلوم بالنسبة لسوريا التي جرى فرض العقوبات عليها أخيراً بسبب إيوائها لمكاتب منظمات فلسطينية إضافة لمساندة حزب الله والاتهام بحيازة أسلحة كيميائية.

(أزمة المفاهيم). كما قلت. ليمنت مشكلة التقرير، لكنها مشكلة (القرار) فقد تحكمت في الخطط الأمريكية وغير الأمريكية رغم أنها مجرد امتداد لتقاليد للحملات الأمنية الجديدة في الولايات المتحدة والتي تشير جزء منها للتالي:

• أولاً: لا تكون هناك قوة في العالم تهدد الولايات المتحدة أو تقترب من قوتها، تستوي في ذلك الدول، أعداء وأصدقاء، وتنتمي الجماعات والأفراد التي تملك نفوذات عسكرية.



الخبيرة!



توماس باورز

[١]

■ نصر وكالة المخابرات المركزية هذه الأيام بأزمة طاحنة - وهي الثانية خلال نصف قرن منذ إنشائها في ١٩٤٨ بهدف أساسي وهو خدمة الرئيس. والآن لا يتم تنصيب مديريها إلا بموافقة مجلس الشيوخ. وهم ملزمون بتقديم تقارير منتظمة حول نشاطاتهم إلى لجان الاستخبارات في الكونجرس. ولكن هذه الرقابة لم تحد من سلطات الرؤساء لاستغلال وكالة المخابرات المركزية كما يشاءون. في العقود الماضية استعمل الرؤساء وكالة المخابرات المركزية لتتميد حروب ضد الشعوب الأجنبية وللاعتقال

تترتيب مع. نيويورك ريمبو أوف بوكس (٢٩ أبريل ٢٠٠٤)

ترجمة: شبة الناصري

الزعماء الأجانب ولجمع الأموال من أجل القيام بحروب سرية وحتى - كما في فضيحة مكتب التحقيقات الفيدرالي في نشاط فريق سطو على المنازل يديره البيت الأبيض. والأزمة الحالية نتيجة حملة يديرها البيت الأبيض لتبرير الإطاحة بصدام حسين وذلك بالاستشهاد بتقارير استخباراتية تتحدث عن ترسانة عراقية من أسلحة الدمار الشامل وتطوير برامج لصناعة المزيد. ولكن بعد سقوط بغداد فشل فريق من الوكالة مؤلف من أكثر من ألف شخص في إيجاد أسلحة الدمار الشامل مما حدا برئيسهم ديفيد كاي بعد سنة أشهر من العمل الميداني إلى استنتاج توقف أبحاث وبرامج تطوير العراق منذ سنوات طويلة. إن هذا الفشل الجلي للاستخبارات الأمريكية هو موضوع تحقيقات متعددة

مستمرة ومن التوقع أن يكون موضوعاً مثيراً للجدل لسنوات عديدة قادمة. وقد ضاعف من هذه الخيبة عثور فريق كاي فعلاً على مخازن فارغة ومصانع ومعامل معطلة إضافة إلى شواهد واضحة على أن النظام كان في سنواته الأخيرة يعاني من الفساد، واليأس والتفكك. ويبدو أن وكالة المخابرات المركزية لم تكن فقط غافلة عن حقيقة الأوضاع في بغداد حيث كان يتم استغلال برامج أسلحة دمار شامل وهمية لايتزار مبالغ طائلة من صدام حسين، ولكن قسم التقديرات في الوكالة قد ذكر أيضاً في أكتوبر ٢٠٠٢ وبقية عالية وجود مخاطر حقيقية ومرتعة ومائلة للعيان ولكن لم يكن لها وجود في الواقع. وينصب الجدل الشعبي وتحقيقات الكونجرس على من أين الخيبتين. كيف يمكن لوكالة المخابرات المركزية بميزانياتها التي تقدر بالمليارات ومعمل فيها حوالي ٢٠ ألف موظف أن

تخطئ هذا الخطأ الشنيع؟ ولكن هناك سؤالين متفصلين هما في رأيي أكثر أهمية وقد تجنبهما المراقبون والمحققون على السواء. هل استجاب مدير وكالة المخابرات المركزية جورج تينيت للمسؤولون الكبار في الوكالة لضغوط البيت الأبيض من أجل تقديم تقديرات تخدم تصميم الإدارة على شن الحرب؟ هل كانت الإدارة تنوي منذ البداية استخدام هذه التقارير الاستخباراتية المخفية كأداة فظة من أجل افتراء موافقة الكونجرس على الحرب؟ في كتابه الجديد، وصف ريتشارد أي كلارك وهو موظف حكومي مسئول عن جهود البيت الأبيض لحاربة الإرهاب أثناء إدارتي كلينتون وبوش، الحرب في العراق بأنها مغامرة عسكرية غير ضرورية على الإطلاق وقد اتهم إدارة بوش بالتكاذب في ادراك التهديد الذي يمثلته أسامة بن لادن. في كتابه وصف كل

الأعداء، يقول كلارك إن الرئيس بوش حول الوضع من سين إلى أسوأ بكثير بقيامه بغزو غير مبرر للعراق ساعيا معه الولايات المتحدة على طريقضعفنا وعزز الجدل القادم من القاعداء. ولكن أكثر الأسئلة التي يشيرها كلارك إخراجا هو كيف وأكالة المخابرات المركزية وقد حذرت إدارة بوش بشكل عاجل من هجمة إرهابية قادمة في صيف ٢٠٠١. وقد أثبتت هذا الإنجاز المباهر بإدماهاها للتحقيقات الواضحة بأنهم وجدت أسلحة دمار شامل عراقية لم تكن موجودة أصلا ؟ وجواب كلارك على هذا التساؤل يجب أن يدفع كل أمريكي إلى التأمل.

في اليوم التالي من الهجمات المدمرة على المنشآت ومركز التجارة العالمي، يقول كلارك إنه دخل في سلسلة مناقشات حول العراق في البيت الأبيض ولم تكد حول القضاء على القاعداء على العكس أدركت وأنا أشعر بأنم صؤى حاد بأن راسمفيلد ووفوفتزنر يتواصل استفحال كارثة قومية لتسويق أجندتهم حول العراق.

إن المصمون واضع؛ لقد جاءت مسألة «القضاء على العراق» بحسب تعبيرات راسمفيلد على لسانه أولا ثم تبعتها بعد ذلك بشهور طويلة في خريف ٢٠٠٢ ما قدمته وكالة المخابرات المركزية من دلائل حول أسلحة الدمار الشامل. إن التحقيق في أصول حرب العراق سيكون مؤلما ومحرجا ولكن إذا أخذ بمأخذ الجد فإن ذلك سيهدم الأمريكيين الكثير حول نوعين من المخاطر تمثلها الهيئات الاستخباراتية لتألم المسمون تستخدمها. الأول معروف ومشهور للجميع وهو الاستخبارات الخاطئة عن قضايا مهمة. في أوائل نصف قرنها أخطأت وكالة المخابرات المركزية في أشياء كثيرة. في عام ١٩٨٨ وجه إليه الكثير من النقد لفشلها في التنبؤ بانقلاب في كولومبيا نتج عنه حرب أهلية لم تنته حتى الآن. في عام ١٩٥٠ فشلت في توقع تدخل الصينيين في الحرب الكورية. وهو خطأ كان لا يطيق بالجيوش الأمريكية خارج شبه الجزيرة شامسا. في ١٩٦٨ فوجئت وكالة بالافزو الروسى لتتسبب صولفاكيا. هو خطأ تكررى فى ١٩٩١ عندما فشلت الوكالة في توقع العزو الروسى لأفغانستان. وعلى مدى السنوات العشر التالية استمر المخبون في إصدار تحذيرات جديدة من الفؤة والنوايا السوفيتية تقريبا حتى اللحظة التي سقط فيها جدار برلين الذي اعتبر النهاية الحقيقية للحرب الباردة. وهو حدث تبعتها مفاجأة أخرى، الانهيار الحقيقى لاتحاد السوفيتى ذاته. وبتمكة ولم يتبع أى من هذه الخيبات كارثة كبرى بحجم بيرل هاربور. واعتقد أن الجميع كانوا صادقين اعتمادا على القراءة الخاطئة لأوراق الشاخر (١). ليس من الصعب أن تتوقع حتمية حدوث أشياء ولكن من الصعب جدا أن تعرف

متى. لقد صارت وكالة المخابرات المركزية طويلا مع صعوبة التوقع ولكنها لم تجد أبدا طريقة لتخمين احتمالية حدوث الأشياء الكبرى التي يشهاها الجميع. وقد تعلم المخبون اختيار الحذر كأفضل سبيل، رغم حتمية وقوع أخطاء في أوقات متفاوتة. ومن قادمة توقعات الأحداث المرعبة الطويلة تتحقق بعض هذه التوقعات أحيانا. نوع ثان من المخاطر التي تمثلها هيئات الاستخبارات وهو أصعب في إثباته وأصعب في الإفرا به خاصة في دولة ديمقراطية. وهو استغلالهم من قبل الهيئة التنفيذية في الحكومة كأدوات للفهر الداخلى. كان الرئيس ريتشارد نيكسون يؤمن دائما بأن وكالة المخابرات المركزية متحاذة إلى الليبراليين ولها أمدت جون كيندى بالمعلومات التي ساعدته على كسب انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٠. ولكنى لم أستطع الحصول على معلومات تؤيد ذلك رغم أن ذلك لايعنى أن نيكسون كان مخطئا. ويمكن أن نجد



جاءت مسألة «القضاء على العراق» بحسب تعبيرات راسمفيلد على لسانه أولا ثم تبعتها بعد ذلك بشهور طويلة في خريف ٢٠٠٢ ما قدمته وكالة المخابرات المركزية من دلائل حول أسلحة الدمار الشامل



مثالا أوضح في صيف ١٩٩٤ عندما فومت إدارة الرئيس ليندون جونسون وكالة المخابرات المركزية لتقيام بعمليات عدوانية من أجل إنزال فريق تخريب فيتنامية جنوية في فيتنام الشمالية في حين كانت المدمرات الأمريكية تقوم بدوريات قريبة في خليج توكين. وربما يكون الفيتناميون الثامليون قد هاجموا العراق في ليلة من ليالي أوائل الشهر أغسطس ولكن بالتأكيد كانت الهجمة الثانية خيالية ولكنها استخدمت كمبر لشن هجمات جوية على فيتنام الشمالية واستغلت للدفع باتجاه إصدار قرار متصرع من الكونجرس قبل فيما بعد إن الرئيس جونسون استند إليه كتمسويض لشن الحرب على فيتنام. إن الوكالة تعمل في خدمة البيت الأبيض بنفس الطريقة التي تخدم بها وكالة الاستخبارات العسكرية وزير الدفاع ولم يشك أحد من قرأ تخمينات وكالة الاستخبارات العسكرية حول

برامج الصواريخ السوفيتية خلال الحرب الباردة أن الهدف من التهديد هو تبرير شراء وبناء وتطوير أى شيء مدون على قائمة رغبات وزير الدفاع. هل يمكن أن نسمى تضخيم ما يريدونه عملا غير شريف إذا كان محتوما لايعنى ناعادي؟

يمكن كتابة كتاب كبير حول هذا الموضوع ولكن لأغراضنا هنا نكتفى بالتوصل بأنه لا يمكن لأمرى أن يفهم ناسيك من أن يتوقع سلوك وكالة المخابرات المركزية إذا لم يكن يدرلك أن الوكالة تعمل من أجل خدمة الرئيس. ولم ألق على أى استثناء من هذه القاعدة. وصعلا هذا يعنى أن الوكالة في النهاية سوف تتبنى هامتها لرغبات الرئيس وعلاها ظل مدير الوكالة يلبي أهواء الرئيس فإن الحال سوف يستمر بهذا الشكل. وتنطبق القاعدة العامة على الاستخبارات والعمليات، إن ماتقولها الوكالة ومافعله سوف يتكيف بمرور الوقت مع رغبات الرئيس. عندما

لايحب الرؤساء ما يقال لهم، يتجاهلونهم وعندما يريدون شيئا يطلون يفسطون حتى يحرقوه. ويصفتها منظمة منسبقة هوى لاتشكى أو تقاوم. بتعبر آخر إنها لتستجيب.



إن فهم هذه القاعدة العامة يفتح نافذة حضية على السلوك الأمريكى في العالم. وعادة لايفشى الرؤساء ما يدور في رؤوسهم؛ إن كندى يتحدث بصوت عال عن قلقه من خطة فيدل كاسترو لتصدير الثورة الكوبية في الستينيات من القرن الماضي. وقد حذر نيكسون وريجان بأنجاح من بناء الصواريخ السوفيتية في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضى. أما بوش فهو يعلن على الملأ عن قلقه من

الجهود الإيرانية لتطوير القنابل الذرية الآن. ونحن نفهم أولويات أجندة الشخص رقم واحد في الدولة ما يصحب به الرؤساء ومستشاروهم. أنه طريق ذو نتاجين؛ إذا علمت بما تفعله وكالة المخابرات المركزية، فإنك تعلم بما يريد الرئيس أن يفعله.

إن التعبير عن القواعد العامة بالكلمات يجعلها مفهومة. لما قد تفهم وكالة المخابرات المركزية ما يريد ما يؤمن به الرئيس ؟ إذا قد يتحمل رئيس الولايات المتحدة وكالة مخابرات مركزية تملك أجندتها الخاصة؟ ولكن بعض الأحيان تتسبب القاعداء العامة في أسئلة مثيرة للقلق من النوع الذى تكرهه الدول الديمقراطية. في الثمانينيات من القرن الماضى، علم أن وكالة المخابرات المركزية كانت تدعم هجمات القوات الكونتريا في لىكاجوا في انتهاك صارخ للخطر الذى فرضه الكونتجرس. وكانت القاعدة العامة ستقول إن الرئيس يحتاج لم يكن يعرف فقط بهذه الجهود ولكنه كان أيضا يشرف عليها. من غيرهم ؟ ولكن هذا الاستنتاج الجديهي تجنبه المحقق الخاص لورنس ولى وحققوا الكونتجرس وقد أدوع عموم المؤرخين مطلق فضيحة إيران كونترا في سرداب خلف من التاريخ الأمريكى والذى يرخز فيه عادة القضايا الحرجة والتى اتفق على استحالة الكشف عنها. وقد أصبح مهتدس وكالة المخابرات المركزية مثل هذه اللحظات الحرجة بارزة سياسة الإنكار القابل للتصديق. فهم يخططون لعمليات سرية حساسة على بعد خطوات من البيت الأبيض حتى يمكن للرؤساء أن يتكروا مصداقتهم أو حتى علمهم بأى شيء يصل إلى علم وسائل الإعلام. لقد كان هناك العديد من مناسبات النفى والإنكار هذه على مدى السنوات الماضية ولكن الادعاءات بأن البيت الأبيض كان خارج الحلقة في كل مرة مسألة يصعب تصديقها.

إن التحدى الذى يواجه المحققين الآن والمؤرخين فيما بعد، هو توضيح كيف يمكن استغلال أدلة أسلحة الدمار الشامل العراقية التي جمعتها وكالة المخابرات المركزية وتوضح أنها كانت معلومات خاطئة. من قبل الرئيس بوش ومستشاريه الكبار يوسف الخطر والهام ولتتأشى الذى اتخذ تبرير لشن حرب استباقية. هل يمكن للبيت الأبيض أن يقتنع بأن قراءته الخاطئة الصارخة للأدلة لم تكن تدفعها عوامل التصميم على شن الحرب ؟ هل يمكن للرئيس أن يقتنع بأن سياسة الإنكار لم تكن نابعة منه وأنه لم يكن يعرف وأن المتحدثين باسمه كانوا يبالغون في تقدير المخاطر التي يتدعون بها ؟ هذه هي الأسئلة التي تحد الأزمة التي تواجه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية.

سوف تتألف وكالة المخابرات المركزية والوكالات الأمنية الأخرى بسبب المخاطر المحتملة التي يمكن أن تصيب مصادرهم وطرق عملهم لدى الكشف عن التقارير الاستخباراتية، ولكن لا بد من التوصل لاحقاً إلى إجراء آمن وسيد المحققون أنفسهم وقد فرقوا في بحر من الورق والوثائق. وسوف يشرح الخبراء التقنيون كيف يمكن قراءة الصور أو مراقبة الهواتف النقالة وسوف يصلف المختصون ليوضحوا سبب اعتقادهم بأن الشاحنات الجرافة التي اكتشفوها في شمال العراق بعد الحرب كانت أو لم تكن مختبرات أسلحة بيولوجية متحركة. وسوف يفعل مختصون آخرون الشيء ذاته مع

الخارجية مادلين أولبرايت لرتشارد كلارك بأنه لم يكن من الصعب تفسير السلوك العدواني السلبي للوكالة، إنها مصابة بمرض الطفل المضروب، وعزى سبب فشل الوكالة في قتل أو خطف أسامة بن لادن في السنوات التي سبقت ١١ سبتمبر- إلى النقص العملي للوكالة الذي بدأ في منتصف الثمانينيات- وهو تردد عن القيام بالواجب ذكره كلارك مراراً في كتابه (ضد كل الأعداء). ولكن كلارك يمنح وكالة المخابرات المركزية ميزة إصدار تحذيرات عاجلة متكررة طوال صيف ٢٠٠١ ويحتفظ بنقده اللالغ لفشلين ارتكبتها إدارة بوش - عجزها عن فهم الخطر الملح الذي تمثلته القاعدة قبل ١١

أغسطس فشل محققى مجلس الشيوخ والصحفيين والمؤرخين للتعرف ومحاسبة أولئك المسؤولين عن مؤامرات اغتيال كاسترو (وتجاوزات) مماثلة في الستينيات -وهم الرؤساء الذين تعمل تحت إمرتهم وكالة المخابرات المركزية- بالوكالة التي شعرت بطبيعة الحال أنها تعاقب لأفائها واجهها. وليس من الصعب إدراك السبب الذي جعل الرؤساء يعمدون اللوم عنهم لما يجري من أخطاء وفشل ويقولونه على الآخرين، وإنما المشكلة هي لماذا سمح لهم أولئك الذين يجب عليهم متابعة هذه الأمور- السياسسيون والصحفيون والمؤرخون على السواء - أن



لن يحتاج المحققون إلى تعليمات في كيفية إجراء دراسة عن الخيبات الاستخباراتية في العراق، وسوف تعرف السياسة بالتأكيد وربما تمنع تماماً الجهود لشرح الأسباب الأعظم حول مدى كذب المعلومات الاستخباراتية التي استخدمت لتهميد الطريق إلى الهروب وأسباب ذلك

حكاية الذئاب الألومنيوم التي ربما كانت ولكن بالتأكيد لم تكن مخصصة للطرد المركزي. وسوف يشرح كتاب التقارير التقديرية الإجراء المتمم لإنشاء تقدير الأمن القومي الخاص SNIE في أكتوبر ٢٠٠٢ حول أسلحة الدمار الشامل العراقية ولماذا كان لدى وكالة المخابرات المركزية الثقة الكبيرة بأن هذه الأسلحة كانت تمثل خطراً متنامياً، وثقة مهزوزة بتوقع ما يمكن أن يفعله صدام حسين بالأسلحة.

ستلعب هذه التحقيقات وإثباتاً طويلاً، ولن يقدم البيت الأبيض ووكالة المخابرات المركزية شيئاً، وستكون هذه القضايا معقدة في الواقع وسوف تقدم الشهادات بجمل طويلة، مستعدة الفقرات. وسيكون هناك حديث طويل حول الأدلة الجازمة والافتقار الغامضة والتصرف بالجزء من دليلك، وبذل أقصى جهودك. وبعد نهاية اليوم سوف يصفون في تقرير سميكت كنت تتوقع منه أن يكشف عن خطأ غير مقصود - صورة لهائم اتضح فيما بعد أنها لم تكن

سبتمبر وخطأه اللاحق في شس الحرب على العراق. ويكرس كلارك القوى التقادته للأثار التي نجمت عن هذا الخطأ الذي حول القدرات الأمريكية والتهيب البيت الأبيض عن الخطر الحقيقي وهو القاعدة، في نفس اللحظة أتاح النصر في أفغانستان فرصة لتسديد الصرية القاضية للمنظمة الإرهابية. وفي الوقت الذي شغلت إدارة بوش نفسها بشن حرب لتزع سلاح صدام حسين، كان تنظيم القاعدة قد نال فرصة سنة لاستعادة قوته وإعادة تنظيجه وتميز عمليات إرهابية جديدة. ولكن يبدو أن الضغط الراسخ يعيد نفسه عند تركيز التحقيق على فشل المعلومات الاستخباراتية لوكالة المخابرات المركزية وإغفال استحوال هاجس العراق على البيت الأبيض الذي وصفه كلارك باستغاضة في كتابه.

سيد المحققون أن الروتين الراهن سيأخذ وقتاً طويلاً طالما أنهم يقتضرون في تحقيقهم على أساليب جمع وتقدير المعلومات الاستخباراتية. في أول الأمر

بنجوا بفعلتهم. في التحقيق الذي تناول فضيحة وترجيح ترك مجلس الشيوخ والكونجرس على مسألة (التعميم) وتغافوا عن الجرائم الأكثر شناعة وهي ضغط إدارة نيكسون على وكالة المخابرات المركزية لمساعدة سباكي البيت الأبيض فيما عرف بعد ذلك بأنه اقتحامات غير قانونية. وكذلك مرقلة تحقيق مكتب التحقيقات الفيدرالي. وجدت مثل ذلك تقريبا خلال تحقيق الإيران كونترا عندما واجه مسؤولو وكالة المخابرات المركزية السجن وإعتاباً قانونية قاسمة للظهور في حين سمح للرجل المسئول عن هذه المخاضات الأجنبية الرئيس ويجا بادعاء فقدان الدائرة. إن هذا النمط من تحميل وكالة المخابرات المركزية وزر ما يأمريه الرؤساء هو أهم سبب لظهور ثقافة (التغور من المخاطر) داخل الوكالة - وهو حذر أملت التجربة بسبب القيام بعمليات من النوع الذي على مسؤولي الوكالة توضيحه أو إنكاره فيما بعد على منصة الشهود وتحت القسم. وقد قالت مرة وزيرة

صحيحة، رغم الأجهزة المكلفة وضباب الأنوف من ساعات العمل والمشاورات الطويلة. أما الأشياء التي ظهرت في أول الأمر واضحة، فستبدو ضبابية في آخره. وستلحق بالقرير أعداد هائلة من التوصيات حول قواعد جديدة للتنظيم أخرى على التدريب وإطعام المزيد من التمويل.

ولكن هذا النوع من الجهد سوف يتجنب الأسئلة المزعجة والصعبة التي يشهدها استخدام المعلومات الاستخباراتية لإقناع الكونجرس للتصويت لنشر حرب غير ضرورية من أجل تنفيذ سياسة غير معننة لا يديرها المشرعون ويدون توفير فرصة لمناقشتها.

من أجل أن تكون التحقيقات الراهنة جادة وشاملة كما تكون الجهود الإضائية التي سيضعها بها المخرنون لاحقاً، يجب أن تشمل التحقيقات القضايا التالية:

١- التعاون الوثيق بين المخابرات الامريكية والبريطانية التي قدمت النزاع للرئيس بوش ورئيس الوزراء توني بليشر كثن الحرب وفي نفس الوقت جنيته الإيجابية على أسئلة محرجة. ويجب أن ينظر المحققون على الأخص في مصدر الوثائق المزيفة التي ذكرت بأن العراق كان يحاول شراء اليورانيوم وهو ما اصطلاح على تسميته بالكمكة الصفراء من النسيج، والادعاءات البريطانية بأنهم يمتلكون دليلاً آخر حول شراء الكمكة الصفراء، ومن قدم



تحميل وكالة المخابرات المركزية وزرما يأمره الرؤساء هو أهم سبب لظهور ثقافة (النشور من الخاطن داخل الوكالة- وهو حذر أملة التجربة بسبب القيام بعمليات من النوع الذي على مسؤولي الوكالة توضيحه أو إنكاره فيما بعد على منصة الشهود وتحت القسم



لوزير الخارجية كولس بأول التقرير البريطاني المزيف حول الهبسات الاستخباراتية العراقية والتي ذكرها بول في الأمم المتحدة قبل يومين من احتفاف الصحفيين بالتحقيق كمن مستند إلى مادة اقتبست من مصادر متاحة للجميع (الإنترنت)، وتعاون وكالة المخابرات المركزية مع مسؤولي الاستخبارات البريطانية في إنشاء ملف استخباراتي حول مسؤولية القاعدة في هجمات ١١ سبتمبر، ومحتوى كل التقرير كان على مسؤولي الاستخبارات الأمريكية في الأشهر بين ظهور الرئيس بوش أمام الأمم المتحدة في سبتمبر ٢٠٠٢ واندلاع الحرب في شهر مارس التالي، وتعاون البريطانيون والأمريكيين في التمسك على الأمن العام للامم المتحدة كوفي عنان وأعضاء مجلس الأمن.

٢- الاتصالات التي جرت مع وكالة المخابرات المركزية من قبل مسؤولين في البنتاجون ومكتب نائب الرئيس ومجلس الأمن القومي مما يمكن أن يقصد منها

أو يفهم منها أنها كانت ضغوطاً لتحوير تقديرات استخباراتية. وقد أنشأ البنتاجون بعد أحداث ١١ سبتمبر مباشرة مكتباً خاصاً لإعادة النظر في المعلومات استخباراتية من العراق كان مسؤولاً عنه دوجلاس حيث نائب وزير الدفاع للشؤون السياسية. وقد تلقى هذا المكتب تقارير عديدة من أسلحة الدمار الضائل العراقية من المؤتمر الوطني العراقي الذي يرأسه أحمد الجبلي، الذي كان مدعوماً وممولاً من وزارة الدفاع. يجب على المحققين أن يقتفوا خطى انتشار هذه التقارير التي أشغل معظمها فيما بعد على أنها مختلفة ومن أجل تحديد إذا كانت هذه التقارير قد نطقت بصير مدخنة الموقد، وهو تعبير

يعني تصعيد التقارير إلى المراكز العليا بدون فحصها وتصحيحها إلى وزير الدفاع دونالد رامسفيلد. وزير الخارجية كولس بأول الذي يمكن أن يكون اعتمد عليها في خطابه يوم ٢٠٠٣/٩/٢٠ أمام الأمم المتحدة. أو موظفي مجلس الأمن القومي الذين يصون خطاب الرئيس. ٣- أسس تسليط هاجس العراق الذي استحوذ على إدارة بوش منذ يناير ٢٠٠١، وهو هاجس أفرد له كلارك مجالاً واسعاً في كتابه الجديد، وفي الكتاب الجديد حول وزير الخزانة السابق بول أونيل «ضمن الإخلاص»، وفي كتاب بوب ودوارد الذي صدر في العام الماضي، بوش في الحرب، وفي كتاب ودوارد الجديد وصف كلارك هاجس العراق بأنه هوس فكري، إيمان راسخ، حكم مسبق، وقرار اتخذ بالفعل قبل لمائة أشهر سبقت هجمات ١١ سبتمبر. ومازال بنفس السجل السلبي. شرح موشوك به حول أسباب تصميم الإدارة على غزو العراق في الوقت الذي لم يكن هناك أي ذكر لأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة. ثم فيما بعد، لماذا

اخترت أن توجه الانسحاب والقوى من أفغانستان قبل أن تتمكن من القبض على من لادن ومسؤولي طالبان. من أجل غزو العراق، متى ولماذا اختارت لتبرير الحرب بإشارة إلى أسلحة الدمار الضائل العراقية، كيف ومتى نوقش قرار الحرب مع العملاء، خاصة بريطانيا وماذا كانت الإدارة تأمل أن تحققه من غزو العراق. إن هذا الهاجس العراقي يقدم أفضل تفسير لفهم الضغوط التي مورست على وكالة المخابرات المركزية من أجل إيجاد برنامج أسلحة دمار شامل مكثف لم يكن موجوداً.

سوف يفهم البيت الأبيض محاولة الإجابة على هذه الأسئلة على أساس صلاحيات الرئيس، وسوف تقاومها وكالة المخابرات المركزية على أساس تفاهمها مع المخابرات البريطانية التي عدل الإفصاح عن معلومات مشتركة مع الطرف الآخر بدون موافقة مسبقة منه. وعلى الأكثر فإن البريطانيين سوف يرفضون ذلك. لم يسبق هذه الإدارة أي إدارة أمريكية أخرى في الانفراد في إحاطة مشاوراتها في القضايا الحساسة بالسرية التامة، ومن المحتمل أن المحققين الرسميين والمصنفين والمؤرخين لن يعرفوا ماذا كانت بواعث وطموحات الرئيس ومستشاريه وهم يستمدون للحرب، ولكن الحاجة إلى تصحيح ما حدث تزداد الآن لإحباط ما للأنهيار الواضح للدرع الرسمية لتبرير الغزو. لا بد أن واحد من شيئين قد حدث - إما أن تكون وكالة المخابرات المركزية قد أخطأت في قراءة الأدلة وشاركت في حرب غير ضرورية، أو أن وكالة المخابرات المركزية أفضل ما يمكنها من دراع من أقل ما هي جعبتها من معلومات. لن تجد بيئة رسمية تضع الاختبارات بهذه الجراءة والوضوح، وسوف يكون كتاب التقارير أقل رغبة في قراءة الإحباطات.

ولكن لا بد أن خطأ فظيماً حدث وأمريكا تناقش وكالة إلى شي الحرب قبل عام مصى كل من التفسيرات الممكنة يثير أسئلة خطيرة تتعلق بالثقة - إما أن الوكالة لا يمكن الوثوق بها لتبرير الأخطار الحقيقية من الخبايا أو أن الوكالة جعلت من نفسها أداة مطوعة بيد الرئيس الذي استغلها لتفريق حجتة لنشر الحرب. ■

هشام شمس

(١) قراءة أوراق الشاي من طريقة للتنبؤ مثل قراءة أملة الفصول - المقدمة

جامعات الحرب الباردة

عبد العظيم أنيس



السياسة ظلت عنصرًا فاعلاً في شؤون الجامعة بأمريكا خصوصاً في فترة «الفرع الأحمر» أي الفترة المكارثية في الخمسينيات، وكان هذا غالباً يسبب مواقف مديري الجامعات وأساذتها وليس طلابها. فمديرو الجامعات كانوا حريصين على التخلص من الأساذة اليساريين وذلك للاحتفاظ بتمويل الحكومة الفيدرالية والقطاع الخاص



(ومثاله معمل الميكرويف في جامعة ستانفورد). ولقد اتحتت الجامعات مجالات جديدة في البحث مثل الهندسة النووية والدراسات السوفيتية، وتحولت أنظمة العلوم الاجتماعية التقليدية من اهتمامها بالبحوث الوصفية إلى البحوث الكمية، ومن السلوك الفردي إلى السلوك الاجتماعي، وكان هذا واضحاً خصوصاً في جامعة ستانفورد.

وكما أوضح كير فإن جامعات ما بعد الحرب قد اعتمد التقدم المهني فيها على البحث والنشر، وهذا بدوره قد ارتبط بتطور دعم الهيئات الخارجية. وهكذا فإن التدريب في مرحلة ما بعد الحرب لم يحدد الاهتمام الكافي لأن الأساذة كانوا أكثر اهتماماً بالبحوث المتعلق عليها.

وإذا كانت جامعة ما قبل الحرب مجتمعاً من العلماء الباحثين المعزولين نسبياً فإن جامعة ما بعد الحرب - في وصف كير - أصبحت تجمّعاً هشاً من المقاتلين الأكاديميين، وهم علماء وباحثون يقدّمون أنفسهم وباحثهم لمولاهم الكبار.

ولقد أكد جودكين Godkin في سلسلة محاضرات في جامعة هارفارد عام 1933 نفس المعاني التي سبق أن شرحها كير، وجمعت محاضرات جودكين بعد ذلك في كتاب بعنوان «استخدامات الجامعة».

كان هناك اتفاق إن بين الباحثين على طبيعة التغيرات التي حدثت للجامعات بعد الحرب العالمية الثانية، لكن ما أصبح مجالاً للاختلاف بين هؤلاء وبين الباحثين هو ما إذا كانت هذه

عشرة بلايين دولار سنوياً على البحوث والتطوير. وكان نصيب وزارة الدفاع ومؤسسة الطاقة الذرية حوالي نصف هذا الإنفاق. ونصيب الجامعات عشر هذا المبلغ - أي حوالي بليون دولار - وبالتالي أصبحت هذه الجامعات معتمدة على دعم الحكومة الفيدرالية لتغطية حوالي نصف ميزانيتها السنوية.

لكن كير رأى أيضاً جامعات ما بعد الحرب العالمية كمنهج لقرى أوسع كانت تحول المجتمع الأمريكي من حالة المجتمع الصناعي إلى حالة المجتمع ما بعد الصناعي، من الاقتصاد كانت مدخلاته الأساسية هي العمالة والمواد الخام إلى اقتصاد المعرفة الماهرة وهي مفتاح نموه وازدهاره.

وكان أكبر مثال على ذلك عند كلارك كير التحول الذي حدث في الجغرافية الصناعية: فشركات التكنولوجيا العالمية كانت تجتمع حول مقرات جامعات بيركلي وستانفورد في منطقة خليج سان فرانسيسكو، كما كانت تجتمع حول جامعتي هارفارد، و MIT في ماسوشوستس وجامعة شيكاغو في الشرق. وهذه المناطق العلمية regions كما كانت تسمى هي شاهد على أهمية الجامعات الأمريكية في اقتصاد ما بعد الحرب.

وإذا كانت علاقة الجامعة بالمجتمع قد تغيرت بعد الحرب فقد ترتب على ذلك حدوث تغيرات داخلية في الجامعات كذلك. فقد أنشأت معامل ضخمة امتلأت بباحثين منتقلين على أجهزة ضخمة ممولة من الحكومة الفيدرالية. ولتبت عليهم أي مسؤوليات تعليمية

وكانت الجامعات ملقمة فقط بتطوير «طريق العلم» واكتشاف ودراسة الحقيقة، وبينما كانت بعض الجامعات تشير إلى خدمة المجتمع كجزء من رسالتها فإن كل الجامعات لم تكن تنظر إلى هذا العمل كخدمة مباشرة للحكومة الفيدرالية. فالاستقلال عن الحكومة الفيدرالية كان في الواقع شيئاً مركزياً في تعريف الجامعة وما يدور داخلها من بحوث.

وبالمثل كان مفهوم استقلال الجامعة يمتد إلى قطاع الصناعة الخاص، بل وقطاع التجارة أيضاً، وهذا ما ميز الجامعات (قبل الحرب العالمية الثانية) عن معاهد التكنولوجيا. فالجامعات بهذا الوضع كانت أبراجاً عاجية إلى حد كبير.

لكن خلال الحرب الباردة تحركت الجامعات القيادية في أمريكا من الوضع الهامشي إلى مركز الاقتصاد السياسي: وعند كلارك كير Clark Kerr مدير جامعة كاليفورنيا (بركلي) فإن جامعات ما بعد الحرب العالمية الثانية كانت مؤسسات جديدة ضامّة، جامعات مستجيبة لاحتياجات المجتمع الأمريكي حتى أصبحت جزءاً أصابياً منه، ولقد اعترف كير بأن الحرب الباردة على

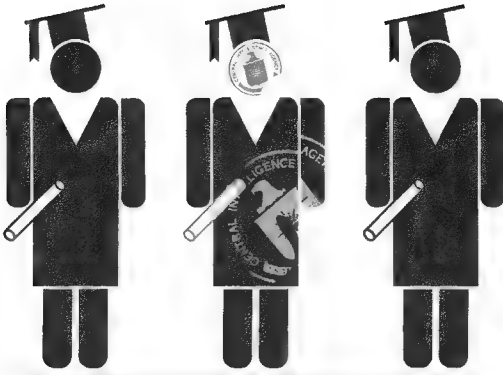
الجامعات الأمريكية. فالتمسك بالحرية، مثل الصواريخ الموجهة والنظم التوجيهية العسكرية والقنبلة الهيدروجينية والرادار... إلخ تطليبت خبرة ومهارة علماء ومهندسين على قمة التقدم العلمي. وفي أوائل الستينيات كانت الحكومة الفيدرالية تتفق حوالي

■ ■ ■ بنهاية الحرب الباردة تبدو ملامح الحياة الأمريكية المرتبطة بها. من أمثال سباق التسلح وعيزانية الدفاع المتصاعدة، والمركب العسكري الضخام الذي جدر منه إيزنهاور في خطاب وداعه - وكانها من أشياء الماضي. إلا أن قوى أخرى ليست مرتبطة بالحرب الباردة كانت تساهم في تشكيل الجامعات الأمريكية أيضاً، وهي قوى ومشاكل وتناقضات سبقت الحرب الباردة. والأكثر من ذلك أن خصائص المجتمع الأمريكي إبان الحرب الباردة قد لا تتلاشى بالضرورة عند انتهائها، فمن غير المحتمل أن تعود الجامعات الأمريكية إلى وضعها وديورها الذي لعبته قبل بداية الحرب الباردة عندما كانت أقرب إلى الأبراج العاجية.

ومن الواضح أن جامعات البحوث في الولايات المتحدة قد تغيّرت جوهرياً نتيجة الحرب الباردة فيما يتعلق بدورها في المجتمع وبدلالة الأنظمة العلمية المطبقة داخلها. فقبل الحرب العالمية الثانية كان دور الجامعات هامشياً من روية الاقتصاد السياسي الأمريكي،

Creating the Cold War University: The Transformation of Stanford
خلق جامعة الحرب الباردة. حول جامعة ستانفورد

Rebecca S Lowen
University of California Press,
1997, 316PP.



وفي الثمانينيات أصبحت ستانفورد الجامعة النموذج لجامعات الحرب الباردة وهي أيضاً الجامعة التي ارتبطت بتطوير وادى السيلكون. ومع ذلك فإن ستانفورد كانت أيضاً أول جامعة تقوم الحكومة الفيدرالية بمراجعة حساباتها في أوائل التسعينيات بعد التهامات وجهت إليها بإساءة استخدام أموال الحكومة الفيدرالية.

إن جامعة ستانفورد هي جامعة خاصة القيمة في أواخر القرن التاسع عشر بأموال وهبات بارون لص. وهي من هذه الناحية تشبه جامعة جونز هوبكنز وجامعة شيكاغو... ولكن على عكس هاتين الجامعتين فإن ستانفورد في أوائل القرن العشرين كان ينقصها السمعة العالية والتأثير الكبير.

والواقع أن ستانفورد لم تظهر كمؤسسة عالية السمعة إلا في الستينيات عندما أصبحت ضمن أعلى عشر جامعات أمريكية كما أنها من الجامعات التي استحوذت على معظم معونات الحكومة الفيدرالية.

وهذا التحول السريع نحو الشهرة كان مرتبطاً بعقد الجامعة مع وزارة الدفاع وبالنهضة الاقتصادية العامة لولاية كاليفورنيا. وكل هذه الظروف جعلت دراسة ستانفورد كجامعة الحرب الباردة أمراً جذاباً، وأصبح من السهل أن يرى الباحث ماذا كان يتغير في الجامعة ولماذا.

وحديثاً أكد العديد من المؤرخين على الشكوك العميقة التي كانت لدى العلماء والخبراء تجاه أي تحالف دائم مع الحكومة

اليسارية وذلك للاحتفاظ بتمويل الحكومة الفيدرالية والقطاع الخاص. والمثال الأوضح على ذلك ما جرى في قسم العلوم السياسية في جامعة ستانفورد الذي حرص على تعيين الأستاذ مالغوري سيبلي Sibley الذي كان أستاذاً في جامعة مالميوستيا، وكان حاصل على جائزة العلوم السياسية عام 1947، ولم يكن سيبلي شيوعياً، وإنما كان معادياً للحروب من ناحية المبدأ وكان يقول عن نفسه إنه اشتراكي مسيحي. ومع ذلك فقد استأمت ترمان Terman مدير ستانفورد حتى لا يتم تعيينه، ولجأ في ذلك إلى تغيير رئيس قسم العلوم السياسية. لكن لهشة ترمان فقد أصر رئيس القسم الجديد على تعيين سيبلي.

ولجأ ترمان إلى كل الحيل لإفشال هذا التعيين، وهذا ما تم في نهاية الأمر.



ولقد اهتمت مؤلفة الكتاب بدراسة معمقة لجامعة واحدة - هي جامعة ستانفورد - بأمل أن توضح تفاصيل هذه الدراسة فهم القوى التي تؤثر على كافة الجامعات التي مرت بتجارب مماثلة. ولقد كانت جامعة ستانفورد اختياراً واضحاً لما سماه كير جامعة التمويل الفيدرالي، وما تسميه المؤلفة «جامعة الحرب الباردة». فخلال الحرب الباردة كانت ستانفورد واحدة من أكبر الجامعات التي حظيت برعاية وزارة الدفاع، وكانت أيضاً من أوائل الجامعات التي ارتبطت بعلاقات وثيقة مع القطاع الخاص.

من كتاب اليسار الناقدين للزيادة في ميزانية الدفاع المتدفقة نحو معامل الجامعات، وللملاقة بين الباحثين المدعومين من الحكومة الفيدرالية وبين باحثي القطاع الخاص. وفي هذا الكتاب بينما نجد أنه بشكل عام ناقد لجامعة الحرب الباردة - ونموذجها الأكبر هو جامعة ستانفورد - إلا أنه لا يتصدى للتحليل والانحياز لأي من طريقي اليمين واليسار وإنما يحاول أن يبحث بشفافية كيف حدثت هذه التغيرات في الجامعات، واهتمامه الأول هو شرح التغيرات التاريخية التي أدت إلى الوضع الحالي لجامعة الحرب الباردة. ومؤلفة الكتاب حريصة مع ذلك أن توضح أنها لا تفضل جامعات ما قبل الحرب العالية الثانية لأنها في رأيها كانت مؤسسات معيبة بشكل عميق، خصوصاً الجامعات الخاصة التي كانت معروفة برفض قبول اليهود والسود والنساء في هيئات التدريس وكطلاب أيضاً.

وأخيراً فإن أحداث هذا الكتاب تتوقف عند منتصف الستينيات، ولذا لم يتعرض للأحداث عندما تحولت الجامعات إلى تنظيم الاجتماعيات السياسية الواسعة خلال المراحل النهائية لحرب فيتنام. وكما يوضح الكتاب فإن السياسة ظلت تنصراً فاعلاً في شؤون الجامعة خصوصاً في فترة «الفرع الأخضر» أو الفترة المكارثية في الخمسينيات، وكان هذا غالباً بسبب مواقف مجري الجامعات وأساتذتها وليس طلابها. فمديرو الجامعات كانوا حريصين على التخلص من الأساتذة

التغيرات مثل تقدماً للجامعات أو تراجعاً لها.

ففي الخمسينيات والستينيات كان هناك شبه إجماع على أن التغيرات التي حدثت في الجامعات هي جزء من تيار تقدمي أوسع، وفي كتاب «استخدامات الجامعة، نموذجاً لهذا التفكير، وبينما كان كبير أسفاً على ما فقدته الجامعات من شعور بالجامعة كمجتمع واحد ومن الإخلاص للتعليم في مرحلة ما قبل البكالوريوس، إلا أنه كان يرى أيضاً المكاسب التي حققتها الجامعة في وضعها الجديد.

وعلى عكس ذلك تعرضت أفكار كبير للهجوم في العقد الذي تلى نشر كتاب «استخدامات الجامعة». ولقد هذا الهجوم روبرت نيسبيت Nisbet. وهو عالم اجتماع محافظ، رأى أن الجامعة قد تدهورت رسالتها بتأكيدها على دور الخدمة العامة وبعلاقتها بالحكومة الفيدرالية والشركات الخاصة. وقد ركز نيسبت هجومه على زملائه الأكاديميين من عديم الأهم بالتخلي عن مسؤوليتهم في التعليم والبحث العلمي من أجل الشهرة والمال.

ومع أن نهاية الحرب الفيتنامية أنهت معظم الصراع الساخن داخل الجامعة حول دورها، إلا أنه ظلت هناك تجليات من عدم الرضا داخل الجامعة في منتصف الثمانينيات. لقد تم الهجوم على الجامعة من اليمين لإيمانها طلاب المرحلة الأولى Undergraduates وتركز هذا الهجوم على عدد من أساتذة الجامعة الذين كانوا طلاباً وديكتاتوريين في الستينيات. لكن كان هناك أيضاً نقد العدد الخامس والسون. يونيو 2004.



كتاب الزاوية



٢. حياتي

في طفولتي..

حدث مرة أن أخذني والدي إلى المسجد بجوار بيتنا ليصلي ولم يكن بالمسجد غيرنا، فخلع والدي جيبته وجوريه وشمر أكمامه وذهب إلى «المهضأة» ليتوضأ. والمهضأة حوض ماء نحو ثلاثة في ثلاثة يملأ بالماء من حين لآخر. وهي العادة يملأ من بئر بجانبه ركب عليها بكرة، وعلق فيها حبل في طرفيه لدوان، ينزل أحدهما فارغاً ويصعد الآخر ملان.

ومن أراد أن يتوضأ من المهضأة جمع الماء بين كفيه وغسل وجهه ثم يعود الماء إلى المهضأة بعد الفسל كما أخذ، وكانت هذه المهضأة مصدر بلاء كبير، فقد يتوضأ المريض بمرض معد كالردم ونحوه فيتلوث الماء ويعدى الصحيح، هذا إلى قذارته، فلنموتضئ يغسل وجهه بعد أن غسل من قبله رجله ولكن الاعتقاد الديني يغطي كل هذه العيوب والأخطار، فلما دخل القاهرة نظام جرى الماء في الأنابيب والحنفيات لم تعد حاجة إلى المهضأة، وأصبحت الحنفيات أنظف وأصح، ولكن ألف الناس لتقديم جملهم يحزنون لفرار المهضأة، ولذلك كان مما أخذ على الشيخ محمد عبده وعيب عليه أن أبطل مهضأة الأزهر وأحل محلها الحنفيات، وهكذا يائس الناس القديم الضار ويكرهون الجديد النافع ويدخلون في الدين ما ليس في الدين.

توضأ أبي وذهب يصلي، وبقيت أنظر إلى البئر وإلى المهضأة وأتجول بينهما فتزحلت وتغرقت في المهضأة، وغمر الماء رأسي ولولا أن أبي كان قريباً مني وسمع الحركة وأسرع إلى المهضأة وانتشلتني ما كنت من ذلك الحين من الأحياء.

الكولجرس وأجهزة المخابرات في ضمان الانضباط الثقافي داخل الجامعة. ويكفي أن تشير إلى الدور الذي لعبه المدير فرديريك ترمان Terman في جامعة ستانفورد. لقد كان ترمان في الأصل مهندساً كهربائياً، لكن لا يستطيع أحد أن يتجاهل دور ترمان في توجيه ستانفورد إلى الطريق الذي سلكته وفي الارتفاع بها إلى تفوقها الوطني. لكن من المهم أن نتذكر أن ترمان لم يكن الشخص الوحيد المسئول عن إعادة تشكيل ستانفورد، أضف إلى أنه من الخطأ اعتبار ترمان وكأنه مقال أكاديمي. فهنا التمييز الذي استخدم بكثرة ليس كافياً لوصف سلوك مدير الجامعات الذين بحثوا عن التمويل الخارجي، فأمثال ترمان كانت تؤسسهم قناعات أيديولوجية، وكان لترمان آراء واضحة في تطوير البحوث بالجامعة، أي أنه كان أكبر من مجرد مدير جامعة يبحث عن تمويل خارجي.

في هذا الإطار يصبح ترمان شخصية تاريخية مهمة، ولقد كان مصعباً بهريرت هوفر. رئيس أمريكا السابق وأحد أوصياء جامعة ستانفورد. وهو ابن لويس ترمان، صانع ومطور اختبارات الذكاء، ولقد سعى ترمان إلى إدخال السياسة الأكاديمية في العلوم الاجتماعية. وعند ترمان فإن الحرب الباردة وفرت الفرصة لتحقيق رؤية ناجحة للتعليم الاجتماعي والاقتصادي، وفي تحقيق نموذج اجتماعي ناجح وجعل الجامعة جزءاً منه وهو ما ساهم مشاركة ثلاثية الجوار، أو علاقة «مكسب مكسب، مكسب» Relation, Win, Win, Win، بمعنى أن الأطراف الثلاثة - الحكومة الفيدرالية، القطاع الخاص، الجامعة - جميعها تحقق مكاسب من هذه العلاقة بينها.

وأخيراً فإن النتيجة بالنسبة لستانفورد هي سمعة أكاديمية عالية ومال كثير. وبالنسبة للبعض فإن قصة ستانفورد هي قصة ارتقاها إلى مستوى العظمة، وبالنسبة للبعض الأخر هي قصة انحلال، هي قصة مواهب علمية أهدرت عن طريق دولة الحروب. ■

الفيدرالية. فمعظم العلماء نظروا إلى هذه العلاقة كخطر يهدد الاستقلال المهني، ويخضع عملهم لأجندة سياسية. وفي سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية بحث علماء الجامعة عن روافد الرعاية المالية من الصناعة الخاصة وهبات الأشخاص الأثرياء. ومن جانبها أظهرت الحكومة الفيدرالية عدم ثقة في الخبراء غير الخاضعين لسلطتها ورفضت في الثلاثينيات لدعاءات تمويل التعليم الأكاديمي.

لكن هذا الجو من الشكوك سرعان ما تبخر في بداية الحرب العالمية الثانية عندما دعت الحكومة الفيدرالية العلماء وخصوصاً الفيزيائيين إلى مساهمتها. وخلال تطور تكنولوجيا الحرب أدرك العسكريون والفيزيائيون مزايا الاتصال بالعلم بينهم.

ثم دعمت العلاقة خلال الحرب الباردة. خصوصاً خلال الحرب الكورية. وبينما تركز الاهتمام في أول الأمر على جماعة الفيزيائيين فإن الغرض العام هو أن العلاقة التي نشأت أصلاً بين الدولة والفيزيائيين قد امتدت إلى علماء أكاديميين آخرين، بل إلى علماء البحوث الاجتماعية وإن كان معظم تمويلهم قد أتى من مؤسسات خاصة مثل مؤسسة فورد وروكفلر ورواند وغيرهما.



ولقد أدركت الدولة وتلك المؤسسات الخاصة فائدة البحوث الاجتماعية في قيادة الحرب الباردة، وأدرك علماء العلوم الاجتماعية الشهرة التي تمنح بها الفيزيائيون فحاولوا تقديمهم بتمتعة صلاتهم مع أجهزة الدولة والمؤسسات الخاصة مثل فورد ورواند وغيرهما.

وفي هذا الجو العام ظل مديرو الجامعات قادرين على تعيين وقفل من يشاؤون من الأكاديميين أو التصرف في موارد الجامعة المالية، وبهذا تميعوا دوراً أساسياً في خلق جامعة الحرب الباردة. ولقد أثبتت أحداث الخمسينيات دور مديري الجامعات في التعاون مع أجان



وزارة الطيران المدني
الشركة القابضة لمصر للطيران



لربط ابتداء المهجر بالوطن الام
والخدمة الجائيات العربية وحركة السياحة

كندا

رحلات مباشرة بدون توقف

بين القاهرة و مونتريال

اعتبارا من اول يونيو

الثلاثاء و الخميس

بأحدث طرازات الطائرات

قوام القاهرة الساعة 13:45

مصر للطيران

اهلا بك ... ضيفا عزيزا

www.egyptair.com.eg

وأعلن أنه لن يتعاون مع هيئة التفتيش، إلا إذا تم إلغاء نظام العقوبات.. وبالتالي بقي بلكس في مكتبه في الدور الحادي والثلاثين من مبنى الأمم المتحدة دون أن يتمكن هو والفريق الذي شكله من أن يؤدي عمله في التفتيش على أسلحة الدمار الشامل في العراق ويكتب بلكس عن هذه الفترة، أنه استمتع فيها بأجواء مدينة نيويورك والتردد على مساحها ومتاحفها.. وظل الحال كذلك إلى أن وقع الزلزال الأكبر في نيويورك وواشنطن، أي أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ التي بدلت الحال وبيدت إدارة بوش حربها على الإرهاب، ووجد المحافظون الجدد في إدارة بوش فرصتهم لتحقيق أحد أهم أهدافهم وهو الحرب على العراق وإسقاط صدام بل وأحداث تغيير في خريطة الشرق الأوسط بدءاً بالحرب في أفغانستان، وجرى البحث عن مبرر أو ذريعة للقيام بحرب على العراق، ويعترف بول ولوموتر أحد صفوف الحرب بأن موضوع أسلحة الدمار الشامل كان أفضل مبرر rational لهذه الحرب.



ظل العراق حتى بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر يرفض التعاون مع هانز بلكس وكان وزير الخارجية العراقي يصف هيئة التفتيش بأنها مجرد شيء لا قيمة له non entity وأن هانز بلكس ليس إلا أحد التفاصيل details في هذه الهيئة عديمة القيمة، إلا أنه بعد أن لجين لنظام صدام أن الأمر جد لا هزل، وخاصة بعد صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٤٤١ وبيد الضغوط الأمريكية حول العراق، وأن الطريق الوحيد لإسكان نقاش الحرب يكن في التعاون مع هيئة التفتيش، عندئذ بدأ العراق في تغيير موقفه، وقبل التعاون مع بلكس والتعاون معه.. إلا أن الولايات المتحدة واصلت حربه وقهرتها وواصلت حملة التصعيد، وسارت حملة التصعيد الإعلامي والسياسي للحرب على العراق، أما في مجلس الأمن فقد كان هناك بالطبع الفريق الآخر الذي يرى أن الحرب يجب أن تكون هي المبدأ الأخير الذي لا يتم اللجوء إليه إلا بعد استنفاد مهمة التفتيش وقهرها في نزع سلاح العراق ولا بعد الحصول على تفويض صريح من المجلس، ولكن الحرب هي الغاية وقت دون تفويض من المجلس.. وبعد تلك المرحلة الطويلة الصعبة التي خاضها كل من بلكس والبراديس بنزاعة وجماعة. عاد بلكس إلى بيته الهادئ في السويد بعد الحرب وعكف على إعداد هذا الكتاب المهم الذي يروي قصة عمله كما رآها، وظهر الكتاب في نفس الوقت تقريباً الذي ظهر فيه عدد من الكتب الأخرى مثل كتاب ريتشارد كلارك وكتاب أوين ويلز

هانز بليكس:



بعد ذلك بحماقته الكبرى بعزو الكويت، والتي انتهت بهزيمته وتحرير الكويت ثم كان قرار مجلس الأمن الذي وضع شروطاً أخضع فيها العراق لنظام تفتيش دقيق لتأكد من خلوه من أسلحة الدمار الشامل مع إخضاعه لنظام العقوبات والزامه بدفع مبالغ باهظة لتعويض الدين وتضرروا من الغزو.. إلا أنه بمضي الوقت استطاع العراق أن يحقق صفوف التحالف، وأن يلتف حول نظام العقوبات ثم أعلن في عام ١٩٩٨ التوقف عن السماح لهيئة التفتيش (السكرام) بدخول العراق متهماً أعضاء الهيئة بأنهم مجرد جواسيس وهو ما أدى إلى توقف عمل هيئة التفتيش ونشوء أزمة كبيرة بين العراق وبين مجلس الأمن وانتهى الأمر بالمجلس إلى إنشاء هيئة جديدة للرقابة بنظام معدل عرفت اختصاراً باسم UNIMOVIC. هي التي عهد لبلكس برئاستها.

جاء بلكس للمجلس في رئاسة UNIMOVIC (أول مارس ٢٠٠٠) في وقت كان العراق قد استعاد بعض هافيته

فيما بعد في منصب مدير عام الوكالة، ثم جمعت بينهما مهمة التفتيش على نزع أسلحة العراق في تلك الفترة الحرجة التي سبقت الحرب، وأصبح هذا الثنائي بلكس - البراديس وجهاً مألوفاً على شاشات التلفزيون طوال فترة الأزمة السابقة على الحرب.

كان العراق قد عاش طوال فترة الثمانينيات فترة علاقة حميمة مع الولايات المتحدة وكانت تلك هي فترة الأزمات الثمانية التي خاض فيها الحرب مع إيران.. وقد استخدم صدام هذه السنوات في بناء برنامجه لإنتاج أسلحة الدمار الشامل وكان الغرب يفضي الطرف منه لأنه كان يحارب إيران وكان صدام يشتري معناته وسلاحه من العرب.. ولم تكتمل الوكالة الدولية آنذاك، ما كان يجري على أرض العراق، ولم تكن الدول الغربية تضغط على الوكالة كما تضغط عليها الآن بالنسبة لإيران لأن تفعل شيئاً لاكتشاف ما يجري في العراق ثم انتهى شهر الفصل بين العراق والغرب بانتهاء الحرب العراقية الإيرانية، وقيام صدام

■ كان هانز بليكس وزوجته إيفا في رحلة سياحية بالطبب الجنوبي عند جاءه اتصال من وزير الخارجية السويدية أن كوفي أنان أمين عام الأمم المتحدة يطلب إليه أن يكون رئيساً لهيئة التفتيش على الأسلحة العراقية UNIMOVIC بعد إعادة تشكيلها.

كانت تلك هي نقطة البداية في رحلة أخذت هانز بلكس من القطب الجنوبي إلى قلب العاصفة التي تتابع حركاتها حتى انتهت إلى الحرب على العراق، حيث يحكي في كتابه «نزع سلاح العراق» Disarming Iraq الذي ظهر أخيراً بالأسواق تفاصيل هذه الرحلة بعد أن عاد مرة أخرى إلى بيته وعكف على كتابة مذكراته عن هذه الدراما التي اختتمت بها حياة عملية حافلة.

قابلت هانز بليكس أول مرة في نيويورك عام ١٩٥٨ في حفل ضام أقامه بروفسور فليب جيسبي أستاذ القانون الدولي بجامعة كولومبيا آنذاك ودعا إليه تلاميذه من الدبلوماسيين الشباب الذين درسوا معه. كان هانز قد سبقني بعدة سنوات في الدراسة بجامعة كولومبيا وأصبح بعد ذلك أحد المستشارين القانونيين لوزارة الخارجية السويدية وكنت أنا في بداية عملي بهيئة مصر لدى الأمم المتحدة بنيويورك، ثم تولدت العلاقة بيننا أثناء عملنا في تمثيل بلدينا في اللجنة السادسة القانونية للجمعية العامة للأمم المتحدة.. وتوثقت الصلة أكثر ابتداء من عام ١٩٦٤ حيث عملنا سوياً في لجنة تقنين مبادئ القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الودية بين الدول.. وقد نشأت من خلال العمل في هذه اللجنة علاقة حميمة بين الذين عملوا بها، واستطاعوا في النهاية أن يتوصلوا إلى صياغة إعلان قانوني مهم تضمن تطويراً للمبادئ القانونية التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة، وفي القرب الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا الإعلان في عيدها الخامس والعشرين (١٩٧٠).



وفي أواخر السبعينيات تم انتخاب بلكس مديراً عاماً للوكالة الدولية للطاقة الذرية. وكان بلكس دائماً هو ذلك «السويدي» الجشوش ابن الحصار العربي المنتهج على بلدان العالم الثالث وقضاياها.. والمتحمس لمشارع أبنائها.. وقد اختار بلكس للعمل مع عدد من المصريين كان من بينهم كل من السفير الدكتور محمد شاكر والدكتور محمد البراديس الذي خلمه

(نزع سلاح العراق)
Disarming Iraq
Hans Blix
Bloomsbury, 285PP., \$ 16.99

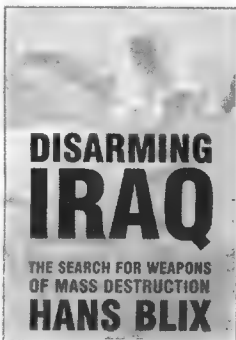
الخزائن السابق وهو يزيد ما ذهب إليه كلارك من أن فريق المحافظين الجدد كان يعمل منذ مجيئه مع إدارة بوش في يناير ٢٠٠١ على جر الولايات المتحدة إلى غزو العراق أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

يرى بلكس أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر كان لها الأثر الأكبر في دفع إدارة بوش إلى لهج الحرب وعدم إعطاء الوقت الكافي لفريق المفتشين لاستكمال مهمته، وقد رد بلكس هذا الرأي في أكثر من موضع من كتابه... وفي اعتقادي شخصياً أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تكن بذاتها هي التي دفعت إلى الحرب على العراق، ولكنها جاءت لتقدم فرصة ذهبية لفريق المحافظين الجدد بما خلقته من حالة الذعر والرعب لدى الشعب الأمريكي فاستغل المحافظون الجدد هذه الأجواء من أجل تدمير سياساتهم وتسويقها وإقناع الرئيس الجديد والرأي العام الأمريكي بها، فقد كانت الحرب على العراق أحد أهم أهدافهم منذ البداية. وقد تصادف أنني دعيت للمشاركة في مؤتمر من واشنطن بعد أسبوعين أو ثلاثة من أحداث الحادي عشر من سبتمبر وعدت من هذه الرحلة وإقناعاً أن الدور على العراق سيأتي بعد أفغانستان.

في هذه الأيام كان يول فولفتر نائب وزير الدفاع أحد أهم الصحفيين يتحدث ليس فقط من حروب مع دول بل عن إنهاء دول (ending states)، وتوكان الأمر متروكاً للمحافظين الجدد بالكامل لما كانوا قد اهتموا كثيراً بالجوء إلى مجلس الأمن للحصول على تفويض الحرب على العراق ولكننا قد ذهبوا إلى هذه الحرب بدون الأمم المتحدة، ولكنهم لجأوا إلى الخطة الموثقة نزولاً على رأي كل من توني بلير وكولين باول ولأنهم تصوروا أنهم سيستطيعون استخدام الأمم المتحدة في الحصول على قرار يرضي التشريعية على الحرب. ومن هنا كانت أهمية فريق التفتيش الذي رأسه هانز بلكس والبرادعي، وأهمية المواقف التي اتخذها.

كانت المشكلة الرئيسية تتمثل في أن هناك مواد كان قد كتب فيها كانت في حوزة العراق قبل عام ١٩٩١، وهي مواد تكشف لإنتاج كيميائيات من الأسلحة البيولوجية والكيميائية وكان العراق قد ذكر أنه قد تدمير هذه المواد ضمن ما تم تدميره من أسلحة دمار شامل في هذا العام إلا أنه لم يستطع أن يثبت أنه قد قام بالفعل بتدميرها، ولم تكن لديه السجلات التي تؤكد سبق تدميرها، وكان الأمريكيون يعتبرون أن عدم تقديم الدليل على تدمير هذه الأسلحة يعني أن العراق أنتج هذه الأسلحة وإنها هي حوزته، أي حين أن بلكس كان يرى أن عدم وجود دليل على تدمير الأسلحة لا يعني بالضرورة أن هناك أسلحة دمار شامل لدى العراق. لم يكن بلكس يقول أن عبء الإثبات يقع على الولايات المتحدة طبقاً

لماذا قامت الحرب؟!



لقاعدته أن المتهم برئ، حتى تثبت إدانته، ولكنه كان يقول أن الأمر مازال يحتاج إلى وقت لإجراء مزيد من البحث والتقصي ولا يمكن القفز إلى القول بأن غياب الدليل يعني أن هذه المواد قد استخدمت في إنتاج أسلحة دمار شامل، أو أن هذه الأسلحة موجودة بالفعل في حوزة العراق، كما ذلك هو صلب الخلاف بين فريق الحرب وبين فريق المفتشين. إلى أن قامت الولايات المتحدة بالحرب ثم تبين بعد ذلك أنه لا توجد أسلحة دمار شامل بالعراق.

وفي هذا يتساءل بلكس: ماذا كان يمكن أن يكون عليه الموقف الآن أي بعد أن تبين أنه لا توجد أسلحة دمار شامل بالعراق؟ ماذا كان سيكون عليه الوضع لو أن فريق التفتيش بقيادته وقيادة البرادعي كان قد انصاع للضغوط وأعلن ما كان يراه منه أن يعلنه من استنتاجات

تدعم الادعاء بأن العراق يملك أسلحة دمار شامل في وقت لم يتبين لهما وجود هذه الأسلحة وفي وقت كانت العراق تبدي كل صور التعاون مع فريق التفتيش من أجل إلبات خلسوها من هذه الأسلحة... هذا هو السؤال المهم الذي طرحه بلكس والذي ينبغي أن يظل دائماً في الأذهان... ضمن بلكس كتابه فحوى مقابلاته وأحاديته مع بوش، وبليز، وتشيني، وباول، وكونداليزا رايس، وغيرهم كما تحدث عن الاجتماع الأخير لمجلس الأمن يوم ٧ مارس ٢٠٠٣ وقد انتقد هذا الاجتماع في وقت كان العراق قد أبدى فيه تعاوناً كاملاً مع فريق التفتيش، هذا بينما كانت الولايات المتحدة تعمل جاهدة للحصول على قرار من المجلس يفرضها باللجوء للحرب... وكانت هناك كلمات لو كان بلكس والبرادعي قد تمزوا بها لاستغفها الذي كانوا يعملون المستحيل لاستعداده، ولعل هذه المسؤولية الكبيرة التي كانت تقضي حرياً أو سلباً ما هي التي

جعلت الرجلين يحرصان على وزن كل كلمة يتقوهان بها بميزان الحب كان الموقف أكثر وضوحاً بالنسبة للملف النووي... مما جعل البرادعي يعلن في المجلس إنه بعد ثلاثة أشهر من التفتيش الدقيق فإن الوكالة لم تجد أي مؤشر على أن العراق قد أعاد بناء برنامجها النووي، وأن الأمر مع ذلك قد يحتاج إلى عدة أشهر أخرى للتقن تماماً من ذلك... أما بلكس الذي كان مسئولاً عن الملف البيولوجي والملف الكيمياء فكان الأمر بالنسبة له أكثر تعقيداً خاصة مع عدم وجود أدلة لدى العراقيين تثبت أن هذه المواد سبق تدميرها... إلا أن بلكس مع ذلك قال في المجلس أن الأمر لا يحتاج إلى سنوات ولكنه قد يحتاج إلى شهور من أجل التثبت من خلو العراق من هذه الأسلحة... كان المطلوب إذن هو إعطاء مزيد من الوقت لتفريق التفتيش، وعدم الاندفاع إلى حرب في ظل عدم وجود الدليل... ولكن الولايات المتحدة كانت قد حرمت أمرها، وأصبح وجود القوات مستحسناً حول العراق عاملاً استفه فريق المحافظين الجدد الذين كانوا يريدون دائماً أنه لا يمكن ترك هذه القوات في الصحراء حتى يبلوغ فصل الصيف إرضاءً لتسريح الممتحنين والمعارضين إصدار قرار التفتيش بالحرب... فكان الاندفاع نحو الحرب...



وقد فند بلكس في كتابه مجموعة الدعاوى التي اشراها الأمريكيان واستخدموها كحجوة لإقناع مجلس الأمن والرأي العام باستنالات العراق لأسلحة دمار شامل... وكان أبرز هذه الدعاوى ما جاء على لسان الرئيس الأمريكي في خطابه أمام الكونجرس عندما قال أن البريطانيون قد علموا أن العراق حاول الحصول على كيميائيات من اليورانيوم من إحدى الدول الأفريقية ثم اتضح بعد ذلك عدم صحة هذه الدعوى، وقد أوضح البرادعي أنذاك - أن العقد الذي قيل أنه تضمن صفقة شراء يورانيوم بين العراق و إحدى الدول الأفريقية - التجر، هو عقد مزور... وقد تسين فيما بعد ذلك صحة ما قاله البرادعي عندما فندت الولايات المتحدة أحد سفرها إلى هذا البلد الأفريقي للتحقق من هذه الواقعة فعاد ليقول أنها غير صحيحة... بل والأكثر من ذلك عندما اعترف كولين باول بعد الحرب بشهور بأن الكثير مما قاله فضلاً عن المعلومات الاستخباراتية في جلسة مجلس الأمن الشهيرة يوم ٧ فبراير ٢٠٠٣ قد تبين له فيما بعد أنه كان غير دقيق وتلك هي الجملة التي الآن جورج دبليو بوش وكالة المخابرات المركزية يجلس فيها خلف كولين باول أثناء إقالته ببيانه المشهور قدم بلكس في كتابه عرضاً شاملاً تتطور موضوع



لماذا قامت الحرب؟



لماذا ترك العراق الشوك لتنمو حول امتلاكه لأسلحة دمار شامل؟

بينما لم تكن لديه هذه الأسلحة؟

لماذا ظل لا يتعاون مع لجان

التفتيش لعدة أعوام؟



المعروف يتحدث على أوباما ويستعد لغزو

أراضيها...

يتساءل ولكن بعد أن تبين أنه لم

يكن لدى العراق أسلحة دمار شامل، لماذا

ترك العراق الشوك لتنمو حول

امتلاكه لأسلحة دمار شامل؟ بينما لم

تكن لديه هذه الأسلحة، لماذا ظل لا

يتعاون مع لجان التفتيش لعدة

أعوام؟... وحاول ولكن أن يجيب على

هذا السؤال يطرح عدة أسباب

افتراضية... من بينها أن العراق لم يكن

لديه دافع قوي للتعاون مع فرق

التفتيش طالما أنه لم يكن هناك ربح

بين التعاون وبين رفع العقوبات... إلا أنه

أضاف سبباً آخر اعتقد أنه السبب الأهم

لا يتفق مع عقليته وشخصيته صدام

التي أصبحت موروثة منذ بدأ مع

ارتكاب مخالفاته بغزو إيران عام ١٩٨٠

وهي العقيدة التي تسيطر عليها روح

الغرور الأوجف والكبرياء الزائف... التي

استمت بها تصرفات صدام. ويتمثل ذلك

بخاصته في أن صدام ربما وجد في ترك

الانطباع يتمو بأنه يمتلك أسلحة دمار

شامل ما يجعله يظهر وكأن العراق

أصبح يستعيد قوته العسكرية مرة

أخرى وربما تصور أن هذا الانطباع لا

يشكل في حد ذاته دافعاً عن الغزو... وأذكر

أنني شاهدت طارق عزيز على شاشة

التلفزيون قبل أن تقبل العراق التعاون

مع فريق التفتيش يقول رداً على سؤال:

« من الصعب أن تقوم العراق بالتخلي

عما لديها من أسلحة دمار شامل في

الوقت الذي قد يتعرض فيه لعادون من

الخارج... قال طارق عزيز ذلك في الوقت

الذي كان يعلم فيه أنه لا توجد شبه

العراق أسلحة دمار شامل... ولقد شبه

بلكس موقف العراق حينما بين يخضع

لاقعة على مرزعة تحت كلبها «أحسن

من الكلاب» في الوقت الذي لا توجد فيه

كلاب في الخزعة!!

ذلك قبل الحرب بأقل من أسبوعين...

وتمثلت الرسالة في اقتراح أن يقوم صدام

بعمل درامي يجتذب انتباه العالم، بأن

يعلن عن استعداده للتعاون الكامل مع

فريق التفتيش وأنه سيفتح لهم كل

المواقع دون استثناء، وأنه سيسمح

للمواطنين العراقيين بالتفتيش المفتش

والتحدث معهم بدون أي رقيب... الخ. وأنه

يدعو بلكس والبرادسي للحضور إلى

بغداد ومقابلته لتلقي هذه التأكيدات...

ويعد أن اتفق بلكس مع موسى على هذه

الرسالة جاء الإعلان مع إلغاء زيارة بعثة

الجامعة العربية لبغداد.

لقد قدم بلكس في هذا الكتاب شهادة

للتاريخ وللراي العام... وأبهر ذمته، ولا شك

أن أهمية هذا الكتاب لا تقتصر على قيمته

التاريخية... ولكنه يقدم حالة دراسة

« Case Study » تدرس في الجامعات فنان

مواد التنظيم الدولي والقانون الدولي

حول الصراعات والصراعات الدولية يمكن أن

يتعرض لها الموظف الدولي International

Civil Servant... وما يجب أن يفعله

ليحافظ على روح الأمانة والمصداقية التي

لو تخلى عنها لكانت له بأشهر العواقب

على ما يمثلته نظام الأمم المتحدة من

قيمة.



ذكرني كتاب بلكس أثناء اقراءتي

له... بصوف رجل آخر... وما أيضاً

سويدي وكان سكرتيراً عاماً لنام

المتحدة، وهو داج همرشلد الذي ولف

معارضاً العدوان الثلاثي شتهه كل

من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل على مصر

في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦... وقد استندت

الأدلة وسائل الرق لتضليل الراي العام

الدولي وتزييف التفتيش... ولكن

همرشلد ولف مدافعه عن أحكام محاكم

الأمم المتحدة. وهدد بالاستقالة من

منصبه كدليل لوقوفه بالآخر على إعلاء

قيمة الأمم المتحدة وجاها في ولف

العدوان... لقد تمت همرشلد بعد ذلك

ولكن ذكره بفتيت لا تسمى وأصبحت

مواقفه تدرس في الجامعات والمعاهد

ويصير بها المثل في البلاغ عن قيمة

الأمم المتحدة وميثاقها.

وإذا لم يكن بلكس والبرادسي قد

استطاعا تقديم عجلة الحرب... فإنهم

على الأقل اتفقا مصداقية نظام الأمم

المتحدة وما كان يمكن أن يتعرض له من

خطر، لو أنهم تخليا عن روح الأمانة. لقد

باعتوا للعالم أنه مازال هناك رجال

شرفاء... قادرون على التمسك بالقيم

والبادئ ضد أفعى القوي... وهي أصعب

المثروب.

العدد الخامس والستون. يونيو ٢٠٠٤ م

التفتيش والصراع الذي دار بين الدول

الثلاث (الولايات المتحدة وإنجلترا

واسبانيا) التي كانت تدفع في اتجاه

الحرب قبل انتهاء مهمة التفتيش وبين

الدول الأخرى التي أصرت على أنه طالما

أن المفتشين مازالوا يقومون بمهمتهم فإنه

ينبغي تمكينهم من إنهاء هذه المهمة فإذا

لم يتمكنوا أو لم يمكنهم العراق من

تنفيذها على النحو الأكمل فسيتكون من

الممكن عندئذ اللجوء للقوة، كان ذلك هو

فحوى الصراع بين بوش وويلر من ناحية

وبين شيريك وشروذر ويوتلين من ناحية

أخرى... ولكنه مما يكتب يوماً في هذا

الشان وسيكون موضع فخر أولئك الذين

مازالوا يعتقدون أنه مازال للشعرية

الدولية دور في تسير شئون العالم أن

الولايات المتحدة رغم جبروتها وقوتها

عجزت عن أن تحصل على أصوات دول

تدور أساساً في فلكها مثل المكسيك

ورشلي... ودول أخرى صغيرة مثل أنجولا

والكاميرون للموافقة على قرار يحوّلها أو

يعوضها بالقيام بالنظر... وما بين لنا

أو يحد أن يبين لنا أن الطريق ليس دائماً

ممرسناً بالوجود أمام أصحاب العصا

الغلظية، وها هو الزمن يدور مرة أخرى

وتجدد الولايات المتحدة نفسها اليوم تلجأ

إلى الأمم المتحدة لمساعدتها في

الخلاص من ورطتها في العراق؛ لتلجأ

إلى هذه المنظمة الدولية التي طامح

احترقها المحافظون الجدد في إدارة بوش

واعتبروها مجرد «مكشخة».



تحدث بلكس في كتابه مطولا عن

أسلوب تعامل العراق مع هيئة المفتشين،

سواء في ذلك هيئة التفتيش الأولى

التي أسسها في رأسها إتيكيس (السويدي)

ثم رأسها بعده ريتشارد باتلر (الاستراي)

وهي الهيئة التي أنهى العراق التعاون

معه في عام ١٩٩٨ أو الهيئة الجديدة

برأسه وأوضح بلكس أن العراق بدأ في

التعاون معها فقط عندما تبين أن

التفتيش بالحرب جدي لكونه القوات

المحتدة والتحديات الرسمية بما في

ذلك من مجلس الأمن رقم (١٤٤١) التي

استخدم عبارة «التنازل الخيوية» التي

تنظر العراق إذا لم يتعاون مع فريق

التفتيش تعاوناً ذاتياً وبذلك خلوه من

أسلحة الدمار التام... وكيف أن التعاون

العراقي وصل في مرحلة ما قبل الحرب

بمشاركة إلى نوع من التكهف على قبول

كل مقترحات بلكس والبرادسي بما في

ذلك لتدمير صواريخ صود ٢ في سابقة

لم تحدث في التاريخ وهي أن تقوم دولة

بدمير أهم ما لديها من سلاح وهي ترقى

كارت مرحبا موجود في كل مكان

أكشاك

ستراتات

سوبر ماركت

تخفيض

على المكالمات
يصل إلى

٥٠٠٠٠ منفذ بيع خارجي

بالإضافة إلى ستراتات
المصرية للاتصالات..

و كمان فترة الصلاحية زادت
لكروت مرحبا و مرحبا بلس..

محافظات .. محمول .. و دولي كمان

خدمة العملاء ١١١



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا



THE BUYING OF THE PRESIDENT 2004

Who's Really Bankrolling Bush
and His Democratic Challengers—and
What They Expect in Return



شراء الرئاسة الأمريكية 2004

فكري أندراوس

■ هناك ملاحظتان أود التوقف عندهما قبل البدء في عرض هذا الكتاب المهم، ومناقشة أفكاره.

أولاهما الدور المحوري الذي يلعبه اللوبي الأمريكي -جماعات الضغط، في تسير شؤون السياسة الأمريكية، والدفع بها في اتجاه معين. على الصعيدين الداخلي والخارجي، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

لوبي المزارعين، ولوبي الصناعات المختلفة ولا سيما صناعة السلاح، ولوبي العمال وحقوق المرأة، ولوبي المسنين، ولوبي البنوك ورجال الأعمال، واللوبي اليهودي المناصر لإسرائيل.

وتسهم هذه الجماعات إسهاماً كبيراً في تمويل الانتخابات الأمريكية المهمة كافة، الأمر الذي ينعكس - على نحو واضح - فيما تتخذه دوائر صنع القرار من سياسات إلا أن هذا التمويل ليس إلا رشوة تم تمويلها أو التغطية عليها باسماء ودعاوى مختلفة، صرفاً للأنظار عن ماهيتها الحقيقية. وإن كنا في العالم العربي لا نولي اهتماماً يذكر إلا للوبي اليهودي. وذلك لأسباب لا تخفى، إلا أن الفساد السياسي المصاحب لتمويل الانتخابات في الكونجرس الأمريكي أو في رئاسة الدولة له تأثير أكبر بكثير من اللوبي اليهودي غير أن الأخير ليس إلا واحداً من ظواهر عديدة تبين لنا بجلالة كيمية التأثير، وأحياناً التحكم في عمليات اتحاد القرار.

ثانيتهما: من المعروف أن هناك هروفاً تقليدية بين الحزبين الرئيسيين، الجمهوري والديمقراطي في الولايات المتحدة الأمريكية. إذ يمثل الحزب الجمهوري المحافظ مصالح رجال الصناعة والمال والتجارة والصناعات الحربية، بينما يمثل الحزب الديمقراطي مصالح العمال والمدرسين والأمريكان الأفارقة والمراة، وجهود المحافظة على البيئة وتشجيع البحث العلمي وهو حزب يتأرجح بين الليبرالية والوسط. غير أن من اللافت للنظر أنه منذ النصف الثاني من القرن

The Buying of the President 2004
(شراء الرئاسة الأمريكية 2004)
Charles Lewis, and
Center For Public Integrity
Harper Collins pub, 2004, 507pp

الماضي، حدث تحول في بنية الحزب الديمقراطي وتوجهاته فاضيا إلى اتجاه بعض أعضاء الحزب إلى تمويل حملاتهم الانتخابية من حاشية رجال الصناعة والمال، وأصبحت أفكارهم تنحى منحى الوسط أو اليمين. وقد وضع «الف نادر» العربي الأصل ومرشح الرئاسة في الانتخابات الرئاسية المقبلة، كتاباً قيماً أشار فيه إلى التغيير سالف الذكر، وانعكاساته على الحزب الديمقراطي دعاه باسم «الاستاد party» كما نوه بعموم تشومسكي «الاستاد الشهير» (MIT) إلى حقيقة مفادها أنه لم يكن هناك اختلاف كبير يثير الانقسام بين مرشح الحزب الجمهوري «بوب دول» وبين بيل كلينتون، مرشح الحزب الديمقراطي لانتخابات سنة ١٩٩٢، بل إن كلينتون كان المرشح الأفضل والأقرب إلى أباطرة الصناعة الأمريكية الذين دعموه ومنحوه قوتهم.



أتاني بعد ذلك إلى الكتاب الذي نحن بصددته والذي صدر أوائل هذا العام، واشترك في تحريره وتجميع مادته خمسون باحثاً وصحفيًا، واشتمل على أكثر من ٦٠٠ تحقيق وبحث، عدا مئات الآلاف من التقارير الخاصة بحكومتى الفيدرالية والولايات وقد نشرت المؤسسة المسؤولة The center for public integrity قبل صدور هذا الكتاب - عالتين وخمسة وعشرين تقريراً وأحد عشر كتاباً، وحصدت منها خمس عشرة جائزة من جهات تتمتع بالحيدة والموضوعية، وتحظى بالاحترام من الأوساط كافة.

والكتاب الذي نتناوله الآن، هو الثالث في قائمة إصدارات هذه المؤسسة عن انتخابات الرئاسة، التي حرصت على أن يأتي تحت العنوان ذاته، إذ كان الكتاب الأول عن انتخابات عام ١٩٩٦، والثاني عن انتخابات عام ٢٠٠٠. وربما لا يمرق الكثيرون أنها مؤسسة لا تستهدف الربح ولا تتاجر في الكتب، وأغلب مطبوعاتها موجودة على الإنترنت، على الموقع التالي:

www.publicintegrity.org (١)
www.Bob2004.org (٢)

منذ عام ١٩٧٦، يفوز المرشح، الذي يتمكن من جمع أكبر تمويل مالى لحملته الانتخابية، بترشيح الحزب له أو بتصديقه على ترشيحه، بصرف النظر عن مبادئه ومبادئ مصداقيته، أو قدرته على الوفاء ببرنامجه



الحقيقية دورها ويبدو أن الكثير من الأمريكيين لا يعلمون أو حتى لا يفهمون ذلك. لقد أثار تمويل الانتخابات اهتمام الكثيرين داخل وخارج الكونجرس، ورأى الرئيس السابق فورد وكارتر وآخرون أن أفضل طريقة للخروج من هذا المأزق، هي أن تمنح شركات الإعلام أوقافاً ومسابقات متساوية لكل مرشح ورشح، بالرغم من وجهة هذا الاقتراح. إلا أن هناك مشكلتين. الأولى، من هو المرشح الذي يحق له أن يأخذ هذا التمويل الإعلاني بدون أجر، والثانية، ما الذي يدفع شركات الإعلام إلى منح هذا الوقت أو المساحة الإعلامية بدون أجر؟ علماً بأن الحملات الانتخابية تكاد تكون مستمرة، وتشمل دخلاً كبيراً لشركات الإعلام.

وعلى الرغم من النظرة المشوشة إلى الديمقراطية الأمريكية إلا أن الحقيقة تبرز أنه يمكن مجموعات صغيرة من المتحمسين لقطعة عادية ومهمة أن يؤثر أو يصلحوا المسار، إن الجميع الأمريكيين مازال في دو الشك، وهو مجتمع ديمقراطي، وقد يتمكن من إيجاد طريقة الفصل لمسيرة الانتخابات، وللمحافظ على الديمقراطية.



هناك سؤالان يهم القارئ العربي معرفة إجابة عنهما. السؤال الأول: ما موقف المرشح الديمقراطي أو الجمهوري من القضية الفلسطينية؟ والكتاب لم يذكر أي شيء عن ذلك، إلا أنني لا أعتقد أن هناك أي هارق كبير بين المرشحين في هذه القضية، خاصة من لديهم فرصة للفوز والدليل على ذلك هو سياسة أمريكا في نصف القرن الماضي. أما السؤال الثاني فهو: هل النموذج الأمريكي الحالي للديمقراطية هو ما تريد أمريكا أن ترضيه على العرب؟ الإجابة طبعاً: نعم، ليس من جانب أمريكا فقط، بل أيضاً من جانب الشركات الاحتكارية الكبرى في ظل نظام العولمة. والسؤال الذي يجب أن نسأله الآن: أليس هذا كذا لا تريد النموذج الأمريكي للديمقراطية فأى ديمقراطية ننشد؟

الأغلبية حيث، وبعد تغير الأمر لصالح الجمهوريين، حيث صارت لهم الأغلبية، قامت شركات الأدوية بدفع ١٦.٣ مليون دولار للجمهوريين، و٤.٤ مليون دولار للشركات تطع الديمقراطيةيين. إن الشركات تطع للثواب المهم بصرف النظر عن هويتهم الحزبية، إذا كانوا سيساعدونها والشه داته يقال عن الكثير من الشركات الصناعية. خذ مثلاً آخر على ذلك وهو شركات التأمين التي دفعت ٢.٤ مليون دولار لتمويل انتخابات سنة ٢٠٠٠، ذهب ٩٠٪ منها للجمهوريين، و١٠٪ منها إلى الديمقراطيين، وكانت النتيجة أن الجمهوريين قدموا تسهيلات في قوانين التحكم في التلوث البيئي حتى تقل مصاريف الشركات، بالتناضى عن ٣ بلايين لتر من نفائات تلك الشركات. وقد أصبح المسؤول عن لوس شركات التأمين أكثر ملوثي البيئة. هو Marc Racicot رئيس الحزب الجمهوري. كما دفعت شركات الجارمينغ ٧ ملايين دولار لجيش ولحزب الجمهوريين، وحصلت مقابل ذلك على الحق في استخراج الجازم من الحدائق القومية.



إن تمويل الحملات الانتخابية، والفساد السياسي المرتبط بها، جعل الترشيحات تكاد تكون مقصورة على الأغنياء غير أن حوالي ٩٠٪ من أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي وبعض محافظي الولايات، وميونيترات وبعض يبدأوا حياتهم السياسية إن أكثر من ٩٩٪ من الشعب الأمريكي لا يملك تلك الثروات الطائلة، للدخول في معارضة سياسية، ومن لا يملك التمويل فلهية أن يجده عند آخرين، على أن يدفع الطلب في المستقبل. لقد قال جيمي كارتر الرئيس الأمريكي الأسبق، والحاصل على جائزة نوبل للسلام: إننا الديمقراطية العربية الوحيدة التي أصاب نظامها الانتخابي هذا المرحان

ونتيجة ما يبدو من قلة مشاركة وتأثير المواطن الأمريكي في الحياة السياسية فقد أجمع ما يقرب من ١٠٠ مليون أمريكي (٧٤٪) عن المشاركة في الانتخابات، وبذلك فقدت الديمقراطية

الانتخابات الأمريكية وإن كان دور الإنترنت سوف يتعاظم بشدة في التأثير على مسيرة الانتخابات في المستقبل، إلا أن هذا سيكون مقصوراً على القادرين على استخدام الإنترنت، مما يؤدي إلى استبعاد الفقراء ومن نالوا قسماً محدوداً من العلم.

غير أن أخطر ما يلغظ النظر في موضوعنا هذا، هو ذلك الدور الذي تلعبه شبكات التلفزيون والرايو وبعض الصحف الكبرى، التي أصبحت تحت سيطرة شركات كبيرة ذات نفوذ قوي، في تشكيل وهي المواقف وتعبئته خلف مرشح بعينه، ومن ظافي القول إن الإعلان في التلفزيون يكلف الكثير، ولا يستطيع أن ينافس به إلا من كان يملك التمويل القوي.

أجل... لقد تغيرت معالم الانتخابات الرئاسة منذ النصف الثاني من القرن الماضي، وتغيرت الأساليب التي كانت سائدة فيها منذ سلف من عهود، وتم استبدالها بوسائل الإعلام الحديثة التي أصبحت تهيمن على شتى جوانب الحياة في العالم. ولعلنا نتذكر ما جرى في انتخابات سنة ١٩٦٠ بين المرشحين للرئيسين، كينيدي وكونغري على استطاع كينيدي تمسويق برنامجه الانتخابي والترشيح له بذلكه على شاشة التلفزيون، على الرغم من أنه لم يبدأ حملته إلا خلال أسابيع قليلة قبل ترشيح الحزب له، ولم يزر عسكر سبيع ولايات فقط، وذلك على عكس ما هو متبع الآن، حيث تستمر في الانتخابات المهدسية ما بين عام أو عامين، فضلاً عن احتياجها لتمويل مادي كبير ومؤازرة معنوية ضخمة.



وإن كانت الشركات الكبرى تحول الحزب الجمهوري أكثر من تمويلها للحزب الديمقراطي، إلا أن التمويل قد يتساوى بين الحزبين في حالة سيطرة الحزب الديمقراطي على الكونجرس، فمثلاً شركات الأدوية دفعت مليونين ونصف مليون دولار للجمهوريين سنة ١٩٩٢، و٢.٤ مليون دولار للديمقراطيين، عندما كانت

وكتابتها الذي تقدمه اليوم يقع في خمسمائة صفحة، ويبلغ خمسة عشر دولاراً أي يسعر لكلفته. وهو كتاب يثير القلق ويستدعي الخوف على مستقبل الديمقراطية الأمريكية التي يمدحها البعض المثل والأمواج اللذين يتعين على العالم أن يقتدى بها، ويسير على نهجها، فما ورد به من معلومات عن فوائده مولى الانتخابات لكل مرشح للرئاسة، والأموال المدفوعة فيها، ومدى تأثير ذلك على القرارات التي تتخذها الدولة، وعلى المواطن الأمريكي، يدحض - أشك - المزاعم التي تدعيها لنفسها في هذا الصدد، ويكشف محتوى ديمقراطية جازة الإعداء والتصدير لشعوب العالم الثالث، وأنها وسيلة من وسائل الضغط على حكوماتها.

بيد أن مآثره هذا الكتاب الكبرى أنه في تعرضه بالبحث والدراسة لما يجري ويدور في أروقة الحملات الانتخابية للرئاسة، يستدعي إلى الذهن صورة انتخاب الكونجرس الأمريكي التي تعد صورة مصغرة لنفسها في هذا الانتخابات للرئاسة. وفي أمور تتجمل في الإعلام الكبير من ذكرها، بل شكات الطرف عنها، وتعلم الأوساط الأمريكية أنه منذ عام ١٩٧٦، فإن المرشح الذي يتمكن من جمع أكبر تمويل مالى لحملته الانتخابية، يفوز بترشيح الحزب له أو بتصديقه على ترشيحه، بصرف النظر عن مبادئه ومبادئ مصداقيته، أو قدرته على الوفاء ببرنامجه. فالأمر الحقيقي في الانتخابات هو الممول الذي يقف خلف مرشحه، الذي يرد الذين له بطريقة أو بأخرى من خلال التسهيلات الممنوحة له، أو المناصب المهمة التي تنصب إليه وإلى أنصاره، أو عبر الترشيحات التي تسن لصالحه. وهناك مقولة أمريكية قديمة تقول: «إن أحسن استثمار متدنا هو شراء الكونجرس الأمريكي»، We have a congress the best money can buy.



ومن البديهي أن شراء الرئاسة سيكون أفضل من يملك أموالاً أكثر. لكن المؤسف حقاً في هذا السياق، هو نقصان دور الفرد العادي، وتعاقد نفوذ الأغنياء والشركات الكبرى في إقرار مجريات

دولة

تحتضن

EXIT



أحمد البجاد

جاءكـين روز

الشيء الذي تخشاه، أو ينبغي أن تخشاه، ليس هو احتمال أن تنتهي حياتك نهاية عنيفة في أي وقت من الأوقات. وهي الخوف الذي بات حقيبتها الآن بالنسبة لكل مواطن في دولة كان المقصود بها أن تحل الشعب اليهودي أمناً. بل هو أنك مت بالفعل. وهو يكتب في «الموت طريقة للحياة»: «دولة بكاملها. ستة ملايين إنسان سمحوا لعقولهم وإرادتهم وحكمهم بالهبوط إلى درك السلبية الإجرامية المستغزاة، وحين نخرج من تلك المشرقنة التي تحتويها، ربما يكون الوقت قد فات، إن كتابة جروسمان رد على كل من يقولون إنه من السهل إلى حد كبير أن تنتقد إسرائيل من الخارج؛ فهو يسجل من داخل القدس مدينة في البلد، وأكثر ما يُتَنَازَع عليه من مذهبها، خيبة أمل في الدولة؛ لإسرائيل دولة تخيب الآمال.



ولكن ماذا من الدولة التي لا يمكنها إنقاذ أيها؟ من المستحيل إلا تقرا قصة كازيك، الطفل المعجزة في إحدى روايات جروسمان باعتبارها قصة رمزية لولد إسرائيلي ونموها، حيث يجده زوجان عقيمان ويشيخ بسرعة ليصبح رجلاً عجوزاً حين يموت بعد اثنتي عشرة سنة. وفي نهاية «كوني سكينى» تخالف ميريام اتفاقاً مع بائير وتدفع إلى ميته حين يوضع لها في مكانة هاتينيه أنه تشاجر مع ابنه، وأن الصبي يتجمد ببطء خارج البيت في المطر، وأنه لا بد أن يحطم إرادة الصبي (ليس واضحاً في نهاية الرواية إن كان أي من الابن أو الأب قد بقي على قيد الحياة). وينظر إلى إسرائيل باستمرار على أنها تكافح من أجل النقاء؛ فهذا هو مير وجودها. وعلى عكس الخطاب السائد، يقدم لنا جروسمان دولة يتضح أنها - من خلال سلوكها العنيف والعنيد الذي تضر به نفسها - مصممة على تدمير نفسها.

وما من دولة، وما من ديمقراطية، يمكنها العيش بدون أوامهم. وإذا كان جروسمان محقاً في ربطه بين علل الدولة وعلل ابتئالها، فلا بد أن نبحت في شباب إسرائيل، مخزوتها. من الشروع التي على السطح وعن الاعتلال الذي في الروح. وفي الوقت الذي أكتب فيه هذا الكلام، حكمت محكمة يافا العسكرية بالسجن لمدة سنة على خمسة من الياافيين الرافضين لأداء الخدمة العسكرية في الأراضي المحتلة. وسبب ذلك هو أنهم جهروا بتخلصهم من الوهم

■ ■ ■ رواية ديميد جروسمان الصادره في عام ١٩٩٨ «كوني سكينى» Be My Knife، يبدأ بائع للكتب القديمة النادرة مراسلة عاطفية مع امرأة لحها بالكاد على الطرف الآخر من إحدى الغرف. وتسمح لهما ظروف علاقتهما غير المحتملة ومزيجها غير العادي من الحميمية والبعد بأن يقولوا، أو بالأحرى، بأن يكتبوا أشياء لم يسبق لأحدهما أن اعترف بها من قبل. وبما أن كلاً منهما كان مستغرقاً في الآخر، فقد بدأ الأمر وكأنهما انقطعاً عن العالم. إلا أنك تلمح فحسب من حين لآخر كيف أن ذلك الشكل الغريب والعزيب من الجنون قد لا يمكن فصله عن الدولة التي خلقت قصة حبهما. يقول بائير في إحدى رسائله. «في مكان ما من الكون، لا بد أن يكون هناك ذلك العالم الآخر الذي تحدثنا عنه ذات مرة، وأعني به عالم الثور، غير أن بعض الناس غير الحديريين يهده المتحة الكريمة والخير الوفير سيجدون أن ذلك العالم غير محتمل وسوف ينتحرون. ثم يسأل ما هذا المكان الذي نحن فيه. أهو مستمرة ذلك العالم العقابية؟ ربما كل إنسان هنا، رجلاً كان أم امرأة، لا يهتم، عجزوا كان أم شأياً، قد انخرط بالفعل.

طوال عقدين تقريباً يقليب جروسمان في ذهنه فكرة أن إسرائيل، وهي الدولة المعجزة كما يحب أن ترى نفسها، قد تكون هي واقع الأمر دولة متحضر. وقد قال مؤخرًا في مناقشة مع عاموس أوز: «نحن نتألف على الثقافة، وكى تحافظ على الديمقراطية بشكل خاص، لا بد من نوع ما من الوهم» وفي إسرائيل الآن تفشت طبقة الثقافة، مما يجعل الأوامر اللازمة للحفاظ على تسليح حياة محتمل بصورة أو بأخرى أمراً ممكناً، فإيمانك بنفسك وبعالمك وهم، مع أنه وهم نحن بحاجة إليه كي نستمر في حياتنا اليومية. ويرى جروسمان أن هذا يمزق اللحظة التي تشهدنا أنت شر ممزق. ومنذ ذلك الوقت غالباً ما يكون

Someone To Run With

(شخص تهرب معه) قصة

David Grossman
Farrar Strous and Giroux 2004

Israel Ten Years After Oslo:
death as a way of life

(إسرائيل.. عشر سنوات بعد أوسلو)
David Grossman
Farrar Strous and Giroux 2003

بترتيب مع: لندن ريفيو أوف بوكس
ترجمة أحمد محمود



والسرور الذي ينتاب الشباب الإسرائيلي حين يتلقى أوراق الاستدعاء إلى الخدمة العسكرية مرة، حتى لو كان من بين (بضع) تقاضروا ضد الاحتلال. (بضع) الروح يستحضر الشحنة الشهوانية الخاصة بدخول أرض الغيرة والاستيلاء عليها، حين يقول، «الولوع الفاضح» وانتهاك المحظور... أتذكر تزامنا الإحساس الجسماني، ذلك الإحساس بالقوة، ويبدو أنه يطلب منك أن تفصل نفسك عن إشارتك، غير أن هذا ليس بالأمر الهين، ولم يقتل جروسمان يوم من الأيام من قيمة ما يقف ضده النفاق أو المضار الداخلي. ويقول في «الريح الصفراء» (في إسرائيل، الواقع هو أنه أيسر على المرء أن يغير دنيته، وحتى جسده، من أن يغير تزامنا السياسية بأية طريقة حاسمة، وهند صامحة المحاربين أمام الخدمة في الأراضي المحتلة بحسبهم ياها العسكرية في شهر ديسمبر وصفهم ممثل الأعداء بأنهم «مجرمون-أيديولوجيون»، من «أسوأ صفاء، بل الحقيقة أنهم أشخاص مثاليون ولابد من حشد الشخصيات الإيجابية ضدهم بأية طريقة كانت.

تتساقب في هذا الهامات جروسمان ضد السياسة الحالية كأنها مناجاة للنفس، فهو يقول إن مفهوم «القبيلة الموقوتة» الذي يستند به الجيش لتبرير سياسته الخاصة بالأغنيالات المستهدفة، ينبغي تطبيقه بشكل عارض فقط حين يكون شخص ما في سبيله قسطنطين وميم، فإنه سوف ينظر إلى كل من يشتبه في أنه خطف أو يخطف لهما، إلى جانب أي مدنيين محبطين به، على أنه هدف مشروع. وبينما كتب هذا الكلام، تمتع جروسمان بوضوح المعارضة للجدار بسبعة أمتار بعد أن صاح أحدهم «لنطلق النار، نحن الإسرائيليون، قبل أن نطلق قوات الدفاع الإسرائيلية النار عليه ونصميه جرح خطير. فهدد الإبحار بأنه باس من إطلاق النار على الفلسطينيين وهو الإبحار الذي يكره الضوضاء البشة عن طريق كشف حقيقة أن الجيش يميز بين دم وآخر، وإن لم ينجم في ذلك دائما. تثير هذه الصرخة الفظيعة أذنين حساسين.

وتحكي هذه الحلات قصة رائعة، فهي الوقت الذي تصل فيه إلى النهاية، نجد إسرائيل (أكثر تشدداً وقومية وتصورية من أي وقت مضى، في أوقات انتصار مادام بالإمكان القول بأن إسرائيل تضرب الفلسطينيين. ذلك الذي يترك البلاد بأسوأ بكثير مما



شيء ما يروق للناس»، وفي ديسمبر من عام ٢٠٠١، ورداً على تشجير احتجاري أوقف شارون المفاوضات مع عرفات الذي كان جمعه في رام الله محاصراً، وأرسل الطائرات لضرب الضفة الغربية. وفي مقاتلة من هذه الإسرائيلية، التي يضعها جروسمان مثلهما مثل كل ما يختلف شارون، في مكان ما بين البشع والفاخ، يستشهد بدراسة نشرت في مجلة نيتشر، Nature عن «آلية خطيرة في النظام البصري البشري، تسمح للمخ برهض تسجيل ما تراه العينان بالفعل. وتقول الدراسة، «منذ اللحظة التي يقرر فيها المخ تأييد تفسير معين للصور التي يتلقاها من العينين، تختفى كل المحفزات التي تدعّم أي تفسير آخر فحسب». ولكن عرفات يصير «محو»، وهو ما يعني أن «الشعب الفلسطيني قد مضى كذلك ومع رغباته وطموحاته المبررة» (بالنسبة لهذه العملية صك باروخ كيمرلينج بالجامعة العبرية في القدس المصطلح politicized أي الإبادة السياسية). وشارون يعض نفسه؛ وهو ما قد يكون طريقة للاعتراف بأنه، كما هو الحال أوديب، مركب الجريمة الفظيعة. وحقول جروسمان، لقد أعمت الحرب والعنف عينونا، وحولت البعض منا إلى قتلة، وجعلت كثيرين غيرهم متواطئين صامتين مع القتل.



كتب إدوارد سعيد في صحيفة «نيشن» Nation في فبراير من عام ٢٠٠٢: «بينما صعد عدد قليل من الإسرائيليين (أحدهم ديفيد بن غوريون)، لم يخرج أحد ليقول صراحة إن إسرائيل تقصف الفلسطينيين، ولم يتردد جروسمان قط في إدانة الاحتلال باعتباره مشروفاً وغير أخلاقي وظالماً». وفي وقت مضى، فلا تزال دواوين الكلام، فتلك هي موهبته الخاصة في أن يتمكن من عمل ذلك في نفس الوقت الذي يعترف فيه بذلك الفيض من الهجة

ولجله بالتفاصيل، فهو يعتقد خطأ أن أوصلو قدمت للفلسطينيين دولة قادرة على البقاء. ونحن نتحدث رابين عن الرغبة في السلام، تزدد الانتظارات قوة، ويكتب جروسمان في عام ١٩٩٥، أي بعد عامين من أوصلو، أن الاتفاق، يعني في الواقع الأمر تقريباً أمثلاً موسماً لحبس الفلسطينيين داخل مناطق حيث تتمتع بالحكم الذاتي تحيط بها وتضيقها عن بعضها شبكة كثيفة من الطرق وحواجز الطرق والمستوطنات الإسرائيلية... (وفي المقال ذاته يتكهن جروسمان بتجدد الانتفاضة في المناطق الخيالة الخروقة، وسوف تستمر هذه المرة بعنف لم نره من قبل.) ويحل الإسرائيليون أنفسهم مع العرب الذين يعيشون في وسطهم، مع ما لهم من حق في الهوية المستقلة. ويضم كتاب «النوم على السلك» الذي كتبه جروسمان عام ١٩٩٣ مجموعة من المقالات حول فلسطينيين داخل إسرائيل، حيث يقول أحدهم، «لا يعرف اليهود ما يكفي عنا. بل أنهم لا يرغبون في معرفة أن هناك أمة أخرى في هذا المكان.

ويرسم جروسمان صورة لعالم من الإنكار والتفكير يوم في مخاوفه. لم كانت حكومة تلتياو تتصرف في كثير من الأحيان وكأنها «جماعة القلبية مضطهدة»، وكأنها لم تكن تؤمن حقاً بشريتها؟ ويكتب جروسمان وقتها أن حكومة الوحدة الوطنية عام ٢٠٠١ برئاسة شارون سوف تعلم تسوية لا صلة لها بالواقع، وتعرضها على الفلسطينيين، وهي أن إسرائيل سوف تجرى من جديد محاضرات اقترافية بين نفسها ونفسها، وليس نفسها ومخاوفها... ولا يور جروسمان أبداً من ميراث الخوف الرقيب الخاص بإسرائيل، إلا أنه لا يراة ذلك الرقيب العظيم الذي يحرس أي نقد. فالخوف ليس نهاية المطاف، بل إنه يفتح الصنوق. فإن أين يقود هذه الخوف؟ إن جروسمان يصير جراح النفسية اليهودية ليتكشف عن النسيج اللبني الذي لن يسمح للأمة بالتفكير، إن أي تقييس.

وفي تعقيد عقل مضى مند أوصلو، يخصص جروسمان كثيراً من المقالات في كتاب «الموت» طرق الحياة، لرمح خريطة لتعود زعيم إسرائيل الحالي إلى السلطة، والانتخاب وإعادة انتخاب، ويشير جروسمان، بشكل جزئي إلى أنه يضعف سلطة. وهو يقول هنا، «بالسمة عبادة وسوف يسبحو وكأنه إمبراطور روماني» (ربما أن هذه الصورة، بكل إيجاباتها القوية وطشها وتاريخها فيها

بالقدر الذي جعلهم أول من يحاكمون عسكرياً أو صدرت ضد الآخرين أحكام إدائية أو أطلق سراحهم. إلا أن هؤلاء الذين يخدمون، ثم يتحدثون، يقضون على وهم الحياة المتحضرة. ويتحدث الرقيب أول ليران رون هورن عن تجربته في غزة في كتابه «متلازمة نقطة التفتيش» فيقول، استبد بي احتمال أن تصرف باكراً الأساليب بدائية وعقوبة. ويرمز الوقت أصبح السلوك... معيارياً... دون خوف من العقاب وبلا رقيب... إنه مكان لا اختبار لهودنا الشخصية، ما مقدار ما يمكن أن نكون عليه من قسوة ومن موت للعشار ومن جنون. وهو يصير على أنهم مجموعة توحشت من الأولاد الطبيعيين، الذين



تخرجوا للثمن من الجامعة. فقد أصبح فور سادياً. وهو يشعر أن ذلك هو ما كان متوقفاً، دون أن يعن عن ذلك شيء من قبل. ولكن ليس هناك من يرغب في الاعتراف بهذا؛ فلا أحد يرغب في رؤيته وهو لم ينجم في نشر كتابه داخل إسرائيل في العام الماضي إلا بشتى الأنفس.

مع أن جروسمان أمضى سبعة أشهر فقط مشاركاً في المفاوضات التي أدت إلى اتفاق جنيف، الذي كتب هو مقدمة نسخته العبرية، يبدو مهماً أنه جمع مقالاته في اللحظة التي رأى فيها أن الأمل مات وأنه على حافة اليأس (شيء داخلي يموت). ويبدو الأمر وكأنه بناء على أفضل أحكامه، أو أسوأها، مازال يؤمن بأنه لابد أن إسرائيل أن تنظر في داخل أصعافها، أي يمكن اقتضاها. وهو يجعل من نفسه معالجا لروح الدولة، وكأنه محل نفسي، حيث يزرع قاموسه بكلمات من قبيل «الإنكار» و«الكبت» ويطلق الإسرائيلي العادي قتله أمام كل الأشياء التي غالباً ما يحتاج بشدة إلى معرفتها. ذلك أنه ليست لديه أية فكرة عن أصعاف المهانة والمعاناة الفلسطينية التي تسببها أعمال إسرائيل في المناطق.



المعاد في إسرائيل على شهر نوفمبر الماضي، ويرى جفرون الذي يسمى نفسه «يهوئي عمالي أرثوذكسي من التيار العام، إن هذه الرقعة تتبع بشكل منطقي من طابع العالم القديم متعدد الأعراف. وهو يقول: «إذا صدقنا التوراة فإن الملك داود استولى على اورشليم من يديسين (قبيلة كنعانية) ثم شاركهم المدينة. كما أنه اتخذ له موظفين من الكنعانيين، وكان لديه قائد حشبي من بين قادة الجيش، وكانت له علاقات طيبة بالميتيقين، ونشر وحدات فلسطينية في جيشه، وهي الجلاود والسعاة، ومع أنه يرغب في حدوث شيء كهذا الآن، بينما لا يزال اليهود هم الأغلبية وهم اليد العليا، فهو غير أبه بالخافو الديموقراطية، حيث يقول: «لا أرى موقفاً يصبح فيه هيئة لمسرير ٦١ عضواً بالأكاديمية، بينما يكون لنا نحن ٥٩ فقط، وسيتحكمون علينا ويذهبوننا في فراشنا».



أما جروسمان فيرى أنه لم يعد يبدو الآن أن هناك مجرد احتمال، ذلك أن رغبة الأغلبية اليهودية الواضحة في الحفاظ بالتصق العددي هي الرضبة التي تذبذب على قلب كل أحد... ولا أرى اليهودي الذي يرغب فيها الشعب وهو يعترف بأن هذا «تأبين لا حل له» اليهودي، ويسبب الخطر الذي يمثلته حق الفلسطينيين في العودة لطابع الحق اليهودي الذي لا رجعة فيه، فإن هذا الحق هو النخلة التي يتوالت عندها جروسمان، ونقطة اللاعودة، هو عنوان مقال كتبه في يناير من عام ٢٠٠١ أقتبس بعض ما جاء فيه، وهو يقول في النهاية «لا بد لنا من، محاولة، تحقيق عدالة جزئية لكلا الطرفين...، وقد نعيد الصياغة لتصبح العدالة جزئية، وحتى إذا كانت العدالة في صف أحد الجانبين أي في جانب الفلسطينيين، وهو ما يتضح أنه كذلك في ظل القانون الدولي فلا يمكنك تحقيقها، لأنها ستدمر حلمي أنا، وبما أن الحلم يتعطلم في يتلاشى باطراف، كما تبين هذه الحالة، فإن هذا يزيد من كونه ليس الأقل انقاعاً، فقد كانت إسرائيل معجزة وقرصة سالحة، واليوم يعيش الإسرائيليون على

ويؤكد منتقدو اتفاقية جنيف على أن الفلسطينيين تحلوا عن حق اللاجئين في العودة في الوقت الذي لم تتحمل فيه إسرائيل مسئوليته حل مشكلة اللاجئين (فهو كما أشار إيلان بابا لا يترك للفلسطينيين سوى ١٥ بالمائة فقط من أرضهم الأصلية). وما يدعو للتشاور أكثر هو ما قاله البعض عن أن الفرق الوحيد بين الاتفاق وهدف شارون الخاص بالانسحاب من جانب واحد وفرض الأمر الواقع على ضم المناطق هو أن الفلسطينيين يمنحون فرصة الموافقة على الخطة. كما انتقد الدولة كذلك إعلانه التشريعية لطابع الدولة الصهيوني، ولكن هذا ليس صحيحاً تماماً، كما أوضح سالم تماري. فالتفاق جنيف لا يعطي مشروعية لإسرائيل باعتبارها «دولة الشعب اليهودي»، فهو يتحدث من حق الشعب اليهودي في أن تكون له دولة واحدة شرعية بحق الشعب الفلسطيني في أن تكون له دولة، «الحقوق المتساوية المواظن كل من الطرفين» (وهو كما يشير تماري كذلك صدى بعض لوعده بلفور يشير إلى الحقوق المدنية والدينية وليس إلى حقوق «الطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين»).

وهذه الأيام يتزايد الكلام عن الدعوى إلى ازواجية القومية: وكان ذلك هو الحال الذي رغب فيه إدوارد سعيد في النهاية. وإذا كان هذا الحل يثير انتقاداً شديداً، فإن له كذلك مؤيدين غير محتملين داخل إسرائيل لا نسمع عنهم كثيراً في الغرب. أحد هؤلاء الكتاب دانييل جفرون الذي ظهر كتابه «الجانب الآخر من البأس: العرب واليهود في أرض

وتركتنا في حيرة من أمرها. وفي أبريل من عام ٢٠٠٢ نجد أن الفلسطينيين هم الدين أحدثوا هذا التصعيد الذي لا يمكن التفاوض عنه. فهو نتيجة لا اختيارهم استخدام سلاح التفجيرات الانتحارية ضد المدنيين الإسرائيليين.. يمكن أن ندين التفجيرات الانتحارية بأنها إجرامية وذات أثر عكسي، وهو رأى كثير من الفلسطينيين كذلك، إلا أننا ما زلنا نشير إلى أن هناك تراجعاً ما هي اللهجة (وهو دليل آخر، إن كانت هناك حاجة إلى أي دليل، على أن التفجيرات تقوض الأساس الأخلاقي للتفاوضيين، أو «البورجوازي»، حسب تعبير جروسمان). بعد أول تفجير انتحاري، ولكن قبل أن تترسخ الإستراتيجية: يصعب اليوم التحدث عن الفلسطينيين على أن لديهم أي أمل، ولا تترك غالبية الإسرائيليين عمق اليأس الفلسطيني... الذي سببته سياسات الحكومة الإسرائيلية. وفي ظل هذه الظروف، من الواضح الآن أن أحداً لن يطبق أرواح الإسرائيليين بنفس السور الذي لا تساق به أرواح الفلسطينيين.. فما الذي تشير إثن بالنسبة لجروسمان؟ ربما يشعر بأن كتابته أخفقت في تحقيق ما أراد: ذلك أن عقداً من توضيح هذا كله بالقصى جهد ممكن ولكن ما أوتي من شجاعة ليس له أي تأثير على قرائه بالتدريج. وهو يقول: «أعرف جيداً لم التضمنت إلى مبادرة جنيف، لأنني أشرع أن كل يوم يمر بدون تغيير يدفع إسرائيل مستثمرات أخرى نحو الهوة السحيقة».

كانت عليه طوال الخمس والثلاثين الماضية، حيث يتدهور الأمن والاقتصاد والروح المعنوية؟ ما نوع ذلك الانتصار الذي يؤدي إلى معاناة ربع الفلسطينيين من سوء التغذية وتزايد عدد الأطلال الذين يقال إنهم يحاطرون بحياتهم أحياناً يمكن أن يكون كذلك توصية للمقاتل المجمع في هذا الكتاب، وهو هل الشعور بأن الموقف لا يمكن أن يستمر للأبد يضمن أنه سوف يتغير في النهاية؟



لكن جروسمان لا يدين دولته بحسب ولا أفسسكون هناك خطأ ما إن هو فعل ذلك. فهو مرعوب بشيء واضح من عرفاته ويرى أن التزميين حيسا شبح تشدها. وبينما يصعب التوافق الموجه لإسرائيل أعلى صوتاً مع قدم العلاقات فإن ميزان الحكم يتحول بطريقة تكاد تكون ملحوظة. فبعد اندلاع الانتفاضة الثانية في عام ٢٠٠٠، نجد أن عدد المطلق التي ارتكبت ضد إسرائيل والمتضمنة في المكرات الافتتاحية للمقاتل تزيد على تلك التي ارتكبت على الجانب الآخر. إذ يعرض قتل اثنين من أفراد الاحتياط، ضلاً طريحهما بالقرب من رام الله في أكتوبر من عام ٢٠٠١، في مناقشة لجروسمان عن أروعة لن لحظة عرجة بالنسبة لنا جميعاً.. وأحدى أعظم مواهب جروسمان هي قفته والذي غير العادي الذي يطعمه في بعض الطرف الآخر الفرصة للتعبير عن رايه، فكل من «الريح الصفراء» والنوم على الأسلاك، ملتزمان بذلك. وهو يستعمل روايته الخاصة بطرد سكان الكهوف في الخليل في ديسمبر من عام ١٩٩٩ بقول محمود حمادة: «لقد ولدت هنا في هذا الكهف».

وبعد ذلك تصبح اللغة أكثر غموضاً، فقد رد الفلسطينيون على زيارة شارون لجبل المعبد باندلاع أعمال عنف لا حد لها.. حيث أدت أعمال الشغب التي اندلعت في اليوم التالي إلى وفيات كثيرة وقبولت موجة العنف التي سادت أنحاء الضفة الغربية وغزة بقوة كاسحة من جانب قوات الأمن الإسرائيلية، ولكن وفيات من هل كان م قلوباً بأعمال الشعب مسلحين؟ إن عبارة موجة العنف، تحتاج إلى فاعل



مذكراتي

منذ اختيارها وهي طفلة صغيرة كي تسافر إلى الأرض المقدسة وتنتظر حجاج فيكسوس (الذين لا يأتوا أبداً)، حجاج الجزيرة تحت البحر في عام (١٩٥١)، ولكنها الشخص الوحيد الذي يفهم تمار وعسااف اللذين يعثران على بعضهما بشكل غير متوقع وبالتعاقب عند بابها.

ورغم ذلك فهذه إحدى أكثر روايات جروسمان شدة في تشاؤها؛ فإذا كان هؤلاء الأطفال مفقودين، فقد أطلق سراهم كذلك (لقد فُشلنا، ولأن جاء دوركم) وربما كانت الحقيقة المجردة الخاصة بالكتابة لهذه المجموعة من القراء هي طريقته الخاصة بضممان متقابل يزداد هو نفسه. استناداً إلى مقالاته، شكل فيه، وسوف تجد صعوبة كبيرة في التعرف على القدس الخاصة بالمقالات من هذه الحكاية. فكل شيء يتحرك بسرعة كبيرة (إحدى الطرق كي توفر على نفسك عناء اليأس السياسي، أو أي نوع من اليأس في الواقع، هي ألا تثبت أبداً في مكانك). وتبدو شخص ما آخر معه، وكأنها دعوة ملحة ضد أشد مخالفتها سوءاً، إذ يُنشد شقيق تمار، وتعثّر على الحب وعلى كلبها المفقود، وفي دروة الدراما، تخرج تيودورا إلى الشارع بين يديها حياة تمار في خطر. بينما لم تفلح ١٩٦٧ ولا احتفال رابين في عام ١٩٩٤ في إقناعها بالحركة. وكأنها طفلة صغيرة شاخت على الفور دون أن تمر بمراحل الحياة؛ ذلك أن تيودورا تكرر لكازيك في الأنف، إله الحب. ذلك أن من ذوت وشاخت قبل الأوان يمكن أن تقرر على الحياة. وسوف تبقى المدينة؛ وإن لم يمت هذا ما تريدة الأمل للمدينة (حين يوضح جروسمان بين تيودورا وتمار وعسااف، فهو يقترن في ذلك من خيال جويس الخاص بـ «اليهودي اليوناني» في رواية «عوليس»).

ولا يتظاهر جروسمان بأنه سعيد. فقد يكون الغموضاً درجة من درجات الاكتئاب، إلى جانب كونه المقاتل له. وقد ظهرت الموت طريقة للحياة، وشخص ما آخر معه، في العام الماضي، وتتسم كتابة جروسمان بالفراغة وبحزنها المثير للدهشة. وليس انتقاداً له أن يشار إلى أنه يبدو في بعض الأحيان وكأنه الطفل الذي خاب أمه. وفي رأيي أنه ليس هناك إسرائيلي آخر تُرجعت أصمالة إلى الإنجليزية يقرب كل هذا الاقتراب من ثوب الموضوع. ■

الرائعة التي «تنبه» وتزعزع، كل أفضل دفاع في حياته. والرواية ليست تعزية، بل إن «حرية الفئان نفسها هي التي تحرمنا من الحياتيات تحت تعزيتي». ويجعل هذا رأي جروسمان عن الرواية أقرب إلى تصوره عن الحرب. ولكن الرواية تنفذ كذلك. وهو يقول: «حين أكتب لا أكون صريحة للحظة، ذلك أن الكتابة «عمل من أعمال التفتت الذات في وضع يهدد بمحوى بالفتن الحرفي للكتابة». وعلاوة على ذلك، يجبرك الأدب على الدخول في عقول الناس. وهو يجبرك على إقامة الصلات. فالقدس مدينة بها مركز للكلاب الضالة وليس بها مركز للأطفال التالبيين؛ وكان كشف هذه الحقيقة بشأن الحياة الحديثة في إسرائيل هو إلى حد ما السبب وراء كتابة جروسمان لأحداث روايته. وإذا كانت صار تنفذ روحها، فليس ذلك بإفناض شقيقها فحسب، بل بإفناض في حالة من الرعب لأغراب في الشارع؛ وهي تقول: «ليس لدى الشجاعة كي أفعل ذلك. لست بقادرة على التخلي عن نفسي كهذا للأغراب. ولكنني تفتني، وإلا لن تفتني، وتفتني بشكل جيد، فإن حياتها تفلح. إذ يلتقطها الجرميون الذين استولوا على كل أطفال المدينة الفئانين ومنهم شقيقها وينقلونها في سيارة. تتحق رواية «شخص آخر معه» ضمن فئة روايات اليافعين. وقد حققت نجاحاً كبيراً في إسرائيل، وربما كانت أكثر أعمال جروسمان نجاحاً من الناحية التجارية، حيث بيع منها ١٠٠ ألف نسخة على الفور. ولما أنه يكتب عن الأطفال منذ البداية، يبدو من اللائق أن يكون الأطفال. أو بالأحرى من لم يعودوا أطفالاً. هم جماعة القراءة السمتية الخاصة به. لكن سميت هذا الجيل من بعد موت أبنائه؟ هذا سؤال خاص بابية ثقافة، ولكنه سؤال له أهمية للحملة في حالة إسرائيل. فغسل جروسمان مدينة للهارزين ومدمني الحدرات والتسريين من التعليم، الذين هجر معظمهم أولياء أمورهم، سواء أكان ذلك نتيجة خيبة الأمل أو بسبب الإهمال. ومرة أخرى تخيب الدولة آمال أبناها. ذلك أن ينظر. ذلك أن الرامي الأبوي يحاكم عيسى الدولة. والرائع الوحيد في الكتاب هو تيودورا، الراهبة اليونانية التي لا ترى شيئاً في الواقع لأنها تحب من منزل بوسط المدينة

يخالف السمة الأساسية للفتكثير اليهودي. ورغم كل الطائفة التي كرسها لاتفاقية جنيف، فهو لا يؤمن فعلاً بالحقوات. وهو يكتب في آخر «الريح الصفراء»: هناك أرض متنازع عليها، وهي مكان ميت، مما يفصل الأمم والشخص، أي الإنسان ومشاعره، عن ذلك المكان الذي تقرر منه الأشياء وتُصاغ فيه الاتفاقيات وبرايمح الأحزاب وكلماك الدليح الرسمية، وهو يكره الجماعات، فهو يقول فيما يتعلق بالهولوكوست: «هناك أسئلة بشأن الروح الإنسانية التي يسهل منها من الكلام بصفتها «أنا» وجعلها تبدأ في الحديث بأعلى صوت عن «نحن».

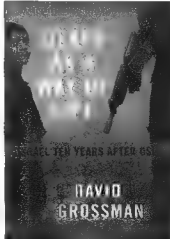
وشيثاً فشيئاً، أو بالأحرى فيما بين المسموح، يمسك سماع صوت شدييد الاختلاف صادر عن الشخص الذي يعلن عن تحقيق إسرائيل لأسوأ مصير لها. إنه صوت جروسمان، كاتب الروايات

طريق الحياة الجانبى الذي كان مخصصاً لنا، ولابد من لتذكيرهم بما كانوا عليه في يوم من الأيام، هل هناك حاليًا في الإسرائيليين من يحيا الحياة التي يريدونها؟ يبدو الأمر وكأن البلاد قد جرى تحويلها عن مسارها بشكل مؤقت. هذه العاصفة... تجعل بوصلتنا تضل الاتجاهات. وكان الحشف كان الحرافة وليس جزءاً أصيلاً من إنشاء إسرائيل بصارتها دولة قومية، حيث كانت جروسمان أول من يعترف بذلك.



شقت اللغة في التاريخ اليهودي كلا الطرفين. ويرى جروسمان أن خطر معاداة السامية المتجددة هو أنهم يعمدون اليهودي إلى رمز خاص به. ويقول جروسمان في مناقشته مع أوز: «اليهودي الذي جاء إلى أرض إسرائيل وبنى دولة كي يرتبط». «وجود ملموس، أصبح حياة رمزاً للشعب» آخر من جديد، وعلى أية حال فقد كان اليهودي دوماً ضرياً من المجاز... إذ لم يتصوره أحد قبل الشيء نفسه. وهذا الخطر وجودي، إلا أن هناك كذلك ضرراً أصاب العقل اليهودي، فالإحساس المحن الخاص بالمعير القريبات يعود وبحسب العالم، إذ يبدو أن الأحاسيس المتأسوية الخاصة بالمعير تكتاب عليها من جديد، (في لندن، وصف جروسمان العام الماضي إحساس اليهودي بكون الإنسان ضحية على أنه «إغراء»). وتتعلق الجماعة بنفسها بقوة وتثبت. وكان فريد قد كتب في عام ١٩٣٠، إلى حاييم كوفنر رئيس الوكالة اليهودية، كان الأمر سيبدو لي أكثر معقولية لو أننا أقمنا وطناً يهودياً على أرض أقل ميئناً من الناحية التاريخية. فأننا لا يمكننا أن نأثير تعاطفياً بأي حال من الأحوال مع تدين أسس، توجيهه يحد قطعاً من سور بناء يهودي إلى آخر قومي.

إن جروسمان على النجزة، ففي الموت طريقة للحياة، تنشر من حين لآخر تقريراً بالاختلافات من قبل «أنا» التي إلى هؤلاء الذين يتقدمون أن الهولوكوست كان حدثاً يهودياً صرفاً. والأمركما أراه هو أن على كل الأشخاص المتحيزين والمصاحب العقول النزيهة أن يطرحوا على أنفسهم أسئلة جادة بشأن الهولوكوست. وهذه ليست أسئلة يهودية. إنها أسئلة عالمية. وفي ذلك ما





إسرائيل الكبرى؟؟

إعلان بابيه

واشنطن أن يبعد أمريكا عن معارسات إسرائيل تجاه الانتفاضة، ولفترة بسيطة بدأ الأمريكيون وكانهم غير مرتاحين حول حقيقة مقتل العديد من الفلسطينيين في اليوم الواحد لاسيما أن أغلبهم من الأطفال. كذلك كان هناك شعور بالحنن لاستخدام إسرائيل العقاب الجماعي وتهديم المنازل والأصقالات، ولكنهم اعتادوا على ذلك وعندما أجمع الشعب اليهودي على تأييد العدوان العسكري في الضفة الغربية في أبريل ٢٠٠٠ - وهي الواقعة وحشية غير مسبقة في تاريخ الاحتلال البشع - عارضت أمريكا فقط الأفعال التي من جانب واحد ضمن المستوطنات التي كانت محظورة في خطة المشرق التي صادقت عليها الولايات المتحدة وبريطانيا. والان بعد سنتين ضامة طلب شارون مساندة أمريكية بريطانية لخطة الاستيطان في الضفة الغربية، وهذه التي تمتهن في إسرائيل خطة سلام، رفضها الأمريكي أول مرة باعتبارها غير مشمرة (وقد أدانها بقية العالم بأوصاف الهد) ولكن الإسرائيليون يملون أن يشابهه في السلوك الأمريكي في العراق والسياسات الإسرائيلية في فلسطين سوف يبدع الموقف الأمريكي إلى التغير.

لقد ولقت طائرة شارون في المطار ثلاث ساعات وشارون داخله يرفض الإطلاق إلى واشنطن قبل أن يحصل على الموافقة الأمريكية على خضته الجديدة. قال إنه لن يكون قادرا على توحيد بكثرة اليهودي الإسرائيلي خلف برنامجه تلك الارتباط بدون الدم الأمريكي. كان الأمر في الماضي يستغرق بعض الوقت حتى تخضع الولايات المتحدة لحاجة السياسيين الإسرائيليين للإجماع (وهي هذه الحالة حاجة شارون إلى إقناع الرأي العام الإسرائيلي للوقوف به في وجه المحاكمة القادمة التي قد يحكم عليه فيها بجريمة القتل العمد الشنيع) ولكن هذه المرة لم يستغرق الأمر سوى بضع ساعات.

وكان يجب على الإدارة الأمريكية أن تأخذ المزيد من الوقت من أجل هذا، ففي جوهر الأمر كان شارون يطلب من بوش أن يعضي كما في الترتيب به الأمريكيون تجاه فلسطين. والخطة تعرضت لاهتمام السياسيين الإسرائيليين من غزة (رغم أن الإسرائيليين غادروها منذ ١٩٩٢) وإغلاق بعض المستوطنات التي بقيت هناك إضافة إلى العديد منها في الضفة الغربية مقابل ضم معظم المستوطنات في الضفة الغربية إلى إسرائيل. وهنا سوف يحدث فقط بعد أن تعزل إسرائيل كامل الضفة الغربية بجدار سيستغرق إثنا عشر سنوات والذي تعتقد معظم الدول أنه يشكل تهديدا لحقوق الإنسان الفلسطيني. وقد طالب شارون أيضا برفض أمريكا حق لحق العودة للفلسطينيين - وهو حق

في التهور خلال الأسابيع القليلة الماضية. ويعتبر اغتيال الشيخ ياسين والرئيسي مع دعم أمريكا لخصم شارون مقررات صريحة. من المنظر بذلك محصور في طائرة تتبع خط سير سوف تنتهي بكثرة للمواطنين الإسرائيليين في الطائرة وسوف يصفى في طريقه الفلسطينيين.

ومع ذلك يبدو أن هذا النهج قد حظي بموافقة واشنطن ولم يعد يشير الجدل في إسرائيل، فالأصوات المعارضة داخل وخارج البلاد وهنت أو تلاشت، والمحاولات السابقة لفرض رؤية إسرائيل الكبرى تحت ذريعة خطة سلام قد انتهت؛ اعتاد الكثيرون على رفض تلك السياسات أو على الأقل التردد قبل دعمها علنيا. ولكن هذا قد تغير. لقد تلاشت الغرائز النقدية للمثقفين والمصلحين في السنوات الأربع الماضية. وهناك الآن فراغ أخلاقي يسمح للمجموعة بلطضي في قتل الفلسطينيين العزل وتجويعهم يرفض منع التجول والإغلاق لفتحات طويلة. وأساسا من ذلك أنها تشجع السياسيين والمتفكرين المحافظين للدعوة إلى التطهير العرقي والمزيد من الخراب لفلسطينيين وضعها.

كانت الحكومات الأمريكية السابقة تصاند سياسات إسرائيل مادامت تحوز على الإجماع اليهودي دون الأخذ بعين الاعتبار تأثيرها على الفلسطينيين أو كيف ينظر إليها هؤلاء. ولكن هذه الميافضة كانت على كل حال تتطلب محاضرات وبعض الأخذ والعطاء. وحتى بعد اندلاع الانتفاضة الثانية في أكتوبر ٢٠٠٠ حاول البعض في

والانضمام إلى ملايين اللاجئين الذين يبدلون في الخيمات أو يوصفون إلى نظام إزهايد ينطوي على التمييز العنصري والإذلال، من أجزاء كثيرة من العالم الغربي مازالت وسائل الإعلام تصف هذا بأنه الطريق الأفضل للسلام والاستقرار. وتبدو محادثات السلام التي تضطلع بها الرابطة، الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا والأمم المتحدة - منذ وجدت خارطة الطريق، وكأنها تفسى عيون العديد من المحافظين الموضوعيين الذين مازالوا يعتقدون أن هذا النهج معقول. ولكن كان يجب أن يكون واضحا منذ زمن بعيد أن إسرائيل تتجه نحو كارثة.



كان اقتراح إرييل شارون الأخير - وهو خطة مدبرية أخرى تتنكر بقتاع خطة سلام - ملاملا بشكل طبيعي لتاريخ محادثات السلام في فلسطين منذ أواسول. بدأت العملية بجهد صادق لخلق دولتين مستقلتين في فلسطين وإسرائيل ولكن تحولت إلى الوصف الصهيوني في إسرائيل ليفرض رؤيته حول إسرائيل الكبرى مع ناتوستين فلسطيني بجانيها بدون أن يكون للفلسطينيين حق العودة. في صيف ٢٠٠٠ طالب إسرائيل والولايات المتحدة الفلسطينيين بدعم هذه الرقبة لاستقبالهم.

قد تكون خطة شارون للسلام بعيدة كثيرا عن الخطط الصهيونية السياسية ولكن يبدو أن الأمور في إسرائيل أخذت

■ بعد يومين من اغتيال رعيم حماس في غزة عبد العزيز الرنتيسي، أجرت الإذاعة الإسرائيلية حوارا مع يوهال شتاينيتز. وهو الليكودي رئيس لجنة الشؤون الخارجية والدفاع في الكنيست. وقبل ذلك كان يدرس الفلسفة العربية في جامعة حيفا حيث كانت رؤيته الحرفية للعالم قد تشكلت بفضل قرومين رومانسيين أمثال جوينو ولفته اللذين كانا يؤكدان على لقاء العرق كشره للمتميز القومي.

إن تطبيق هذه الأفكار الأوروبية حول التفرق العنصري على إسرائيل أصبح واضحا حالما سألته المحاور حول خطم الحكومة المثلية لبقية الرضاء الفلسطينيين. وقد ضحك المحاور والصيف والتفا على أن المسألة ستكون كما ينبغي أن تكون، وهي اغتيال أو طرد الزعماء الحالية برمتها، أي كافة أعضاء السلطة الفلسطينية - حوالي ١٠ ألف شخص. قال شتاينيتز: "أنا سعيد جدا أن الأمريكيين قد عادوا أخيرا إلى صوابهم وبدأوا يدعمون سياساتنا دائما".

وعلى شاة التلفزيون كبر بيشي موريس من جامعة بن جريون دعمه لتطهير العرقي للفلسطينيين مدعي أن هذه هي أفضل الوسائل لحل الصراع في فلسطين. وكانت صحيفة نيويورك تايمز وبو ريبابل من بين المنابر العديدة التي دعى إليها موريس ليريد وجهات نظرية إلى الأراء التي كانت تعتبر هامشية في أفضل حالاتها وجنوبية في أسوأ حالاتها. أصبحت الآن جوهر الإجماع اليهودي الإسرائيلي وتنتشر من قبل أكاديمي المؤسسات في أوقات الذروة التلفزيونية باعتبارها الحقيقة الوحيدة. إسرائيل هي مجتمع عرقي يوقود صفة من إنهاء الصراع بالقوة والدمار مهما كان الثمن الذي يدفع المجتمع الإسرائيلي أو الصالحا ليهتم سقوطهم. وعادة لا يدعم هؤلاء المصفوة سوى الإدارة الأمريكية في حين أن بقية العالم يترجم معذرة بدون قول أو قوة.

مثل إسرائيل اليوم مثل طائرة تطير بالطيار الآلي. خط السير مرسوم مسبقا وكذلك المصرة. الوجهة هي خلق إسرائيل الكبرى والتي ستضم نصف الصمة الغربية وجزء صغيرا من قطاع غزة (حوالي ٩٠٪ من فلسطين التاريخية) وهذا ما يجعلها إسرائيل الكبرى بدون تواجد فلسطيني ومع جدران عالية تفصلها عن السكان الأصليين لفلسطين الذين سيحشرون في معسكر سجن كبريين في غزة وما بقي من الصمة الغربية. أما الفلسطينيين داخل إسرائيل فاصابعهم إما المصادرة

القرعة الأمم المتحدة في ديسمبر ١٩٤٨،
والأول مرة أعطت واشتد دعمها
لخارطة طريق لتترك معظم الضفة
الغربية في أيدي الإسرائيلية ويضاء كل
اللاجئين في النافي.



لقد تأثر يروش بالصفانة المسيحية
الذين يرون في الخطة الإسرائيلية خطوة
أخرى باتجاه تحقيق سيناريو يوم
القيامة الذي سوف يجعل بالظهور الثاني
للمسيح. أما مستشاروه من المحافظين
الجيد الأكثر علمانية فهم معجبون
بالحرب ضد حماس التي توابك وعود
إسرائيل بالهدوء والسلام. ويرون في
عمليات إسرائيل التي تبدو ناجحة دليلا
ضمنيا على أن حرب أمريكا على الإرهاب
سوف تنتهي بالنصر. ولكن (نجاح)
إسرائيل الذي يطبل له كل يوم وزير الدفاع
هو تشويه للحقائق على الأرض.
فالانخفاض النسبي لأعمال العنف
والإرهاب قد تحقق بسبب حظر التجول

والإغلاق وسجن أكثر من مليون شخص
في منازلهم بدون عمل أو طعام لضرب
طويلة من الوقت. حتى المحافظين الجدد
يجب أن تكون لهم القدرة على رؤية أن
هذا ليس حلا طويل المدى للعنف
الذي تثيره السلطة المحتلة سواء في
العراق أو فلسطين.

لقد وافق خبراء التمارش في إدارة يروش
على خطة شارون حيث يستطيعون أن
يقدموها على أنها خطوة أخرى في سبيل
السلام إضافة إلى أنها تصرف الأنظار
عن المثل في العراق. وقد تكون مقبولة
أيضا للمستشارين الأكثر اعتدالا الذين
بلغ ياسهم رؤية أي تغيير إلى أن يقتنعوا
أنفسهم بأن الخطة تقدم فرصة للسلام
والمستقبل الأفضل. لقد نسي هؤلاء
الأشخاص منذ زمن بعيد التمييز بين
القوة السحرية للغة والواقع الذي تريد
أن تصفه هذه اللغة. فمادامت الخطة
تحتوي على الكلمة السحرية (انسحاب)
فلا بد أن تكون شيئا طيبا كما يراها
الصحفيون في الولايات المتحدة وكما
يراهها أيضا زعماء حزب العمل
الإسرائيلي (والذين يميلون إلى

الانضمام إلى حكومة شارون باسم
الإجماع المقدس) وحتى كما يراها الزعيم
المنتخب حديثا لحزب اليسار الإسرائيلي
يوسيف بيلين.

لقد أوضح اثنان من أساتذة العلوم
السياسية في جامعة تل أبيب، أن حماس
تقلت مقرها الرئيسي إلى دمشق. وهكذا
ويرجعانه إلى مصادر موثوق بها - على
إسرائيل أن تعمل هناك أيضا (نشرت
هارتز تقريراً مماثلاً). وقد قدرا أيضا
أنه إمداد الأمر يستغرق سنوات لإنهاء بناء
الجدار حول الضفة الغربية، فلن يكون
هناك انسحاب حقيقي من قطاع غزة لمدة
طويلة. والخبر الجيد هو أن الانتفاضة
قد انتهت وإن إسرائيل لديها الوقت لتقرر
بدون أي ضغط خارجي خاصة من قبل
الولايات المتحدة، ما هي أفضل طريقة
لبناء مستقبلها بعد أن قضى على
فلسطين إلى الأبد.

إن مفتاح الأمور هو (ضغط خارجي).
حكومات أوروبا وأمريكا غير راغبة أو غير
قادرة على إيقاف الاحتلال ومنع تصفية
الفلسطينيين. أما أولئك الإسرائيليون
الراغبون في المشاركة في الحركة المناهضة

للاحتلال فهم قليلو العدد، وعاجزون في
وجه هيمنة الإجماع. إن المسؤولية تقع
على عاتق المجتمع المدني في أوروبا
والولايات المتحدة لعمل كل مايسطيعه
من أجل إهمال الإسرائيليين أن سياسات
مثل تلك التي ينتهجها شارون لها ثمن،
من المقاطعة الأكاديمية إلى العقوبات
الاقتصادية، ويجب الأخذ بعين الاعتبار
كل وسيلة يمكن استخدامها في العرب، من
حكوماتهم ليست أقل مسئولية من
إسرائيل من الكوارث الماضية والحاضرة
والمستقبلية التي حدثت ولتحدث
للمستقبلين. يجب فعل ذلك ليس لأسباب
اخلاقية أو تاريخية ولكن أيضا من أجل
أمن أوروبا وحتى ديمومتها. وكما أوضح
لنا العنف الذي أعقب أحداث ١١ سبتمبر
٢٠٠١ وبشكل مؤلم أن الصراع الفلسطيني
يمكن أن يقوض النسيج متعدد الثقافات
للمنتج الأوروبي. حين يلغى الولايات
المتحدة والعالم الإسلامي شيئا شديدا إلى
كابوس لايتنى. إن فرض ضغوط على
إسرائيل هو شئ نحن نلشراه للسلام
العالى والاستقرار الإقليمي والمصالحة في
فلسطين. ■

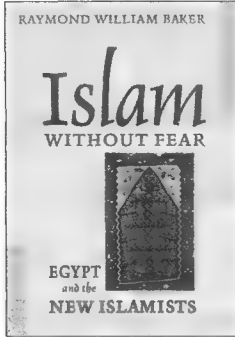
اللغة العربية والدراسات الإسلامية في الجامعات وكذلك المنح القومية لطلاب هذه الدراسات.



مؤلف هذا الكتاب هو الدكتور ريموند وليم بيكر، وهو أستاذ العلوم السياسية في كلية ترينيتي في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وإمام بها سنوات من حياته الأكاديمية. لم يأت هذا الكتاب خارج سياق موضوعه ورمائه، فمنذ أواخر عام ٢٠٠٢، تم إطلاق عدد من المبادرات الأمريكية والأوروبية للإصلاح الديمقراطي والاجتماعي والثقافي في الشرق الأوسط كان أهمها المشروع الأمريكي المعروف بمبادرة الشرق الأوسط «الكبير». انطلقت بعض هذه المبادرات من تفكير مفاده أن أحداث سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ وما رافها من تطرف وعنف لدى بعض المسلمين هو نتاج لخلفية تعصب وإغلاق ورفض، لا تؤمن بقيم الحضارة العالية المعاصرة من حوار وتسامح وقبول للأخر وبديمقراطية سياسية وتحرير للمرأة، وبغيرها. عملت المبادرات الرسمية على عدد من الجهود غير الرسمية لمؤسسات البحث ومراكز التفكير في أوروبا والولايات المتحدة، والتي قدمت بدورها مقاربات موازنة لقضايا تعزيز الديمقراطية والمشاركة السياسية وتحرير الاقتصاد والمرأة. تناولت بعض تلك الجهود إصلاح الفكر والخطاب الإسلامي، بينما حاولت جهود أخرى أن تتجاوز مع «إسلاميين»، يؤمنون بالتمديد السياسي والثقافي والتداول الديمقراطي على السلطة والتسامح إزاء المرأة والأقليات ودور المجتمع المدني، دعت هذه المحاولات عددا من رموز التيار الإسلامي الإصلاحى غير مرة من أجل الحوار حول تلك القضايا وغيرها.

في المنهج

يأتى منهج هذا الكتاب على عكس كل المقاربات «القومية» التي لا تتيح لظواهر بالتحديث صحتها أو الإفصاح عن مضامينها، بل هي في بعض جوانبها معاكسة للأخر البعيد، وقد تشب «أحيانا» بدوغمات أيديولوجية. ينطلق المؤلف في تعامله مع الظواهر الإسلامية والعربية والمصرية عن إدراك عميق لخصوصيات كل ظاهرة ومحاولات لاستكشاف سياقات ومعاني تلك الظواهر. فبينما يوظف محمود إسماعيل أدوات التحليل الماركسي - خاصة مفهوم صراع الطبقات - في مشروعه الفكري لفهم الإسلام في أطوار النشوء والأزدهار، يحلل سامي زبيدة العلاقة بين الإسلام والدولة والجماهير باستخدام أدوات التحليل الموسيولوجي، فيما يستخدم نصر حامد



مع انحصار المد الاستعماري العربي في أواخر القرن العشرين، بدأت العلوم والدراسات الاجتماعية والإنسانية في العرب في التححر من تحيزاتها القديمة إزاء العالم الثالث، سواء تلك التي تعود إلى التمرکز حول الدات الأوروبية أو تلك التي لا ترى تاريخ العالم وحضاراته إلا في سياق الحضارة الأوروبية والتاريخ الأوروبي. فلا يمكن فصل السياق التاريخي للدراسات الاجتماعية الغربية نأى حال عن التحجيرة الاستعمارية (الأوروبية)، ودور تلك الدراسات في المشروع الاستعماري ولحل الأنثروبولوجية هي التوضيح الأوضح على دور تلك (الدراسات) في خدمة المشروعات والإدارات والممارسات الاستعمارية. ورغم ضالة الدور الذي لعبه دراسات الشرق الأوسط في الغرب في تشكيل السياسات الغربية (والأمريكية خصوصا) إزاء هذه المنطقة من العالم بسبب تجاهل مؤسسات صنع القرار لها واعتمادها توجهات صراعية وناخية في التعامل مع العرب والمسلمين، إلا أن هذه الدراسات على المثال الأكثر بروزا على التححر من التحيز باتجاه فهم موضوعي لتاريخ المنطقة وحضارتها وقضاياها. لذلك أصبحت أقسام دراسات الشرق الأوسط في الولايات المتحدة هدفا للمحافظين الجدد الميطرين على الإدارة والسياسة الأمريكية. فهم مطلع هذا العام، بن أكاديميون صهيونيين كدانيال بايبس (الذي عينه الرئيس الأمريكي رئيسا لمعهد السلام في شيبة الكونغرس) وماثي كيرمر وأضرابهم هجوم متعمد الجبهات على أقسام دراسات الشرق الأوسط في الجامعات الأمريكية ومن فيها من أكاديميين وباحثين، واتهمهم بالإخفاق والعشال والتبرير للأصوليين الإسلاميين، كما طعنوا في وطنيتهم بسبب عدم مشاركتهم في ما يسمى بالحرب على الإرهاب، وسبب تبنيهم أفكار ومناهج تدرج خطيرة وغفل تفكير ومقولات الاستنراق المتقلبية، بل وصل الأمر إلى حد أن شهادات الأكاديميين الصهيونيين أمام لجان الكونغرس الأمريكي تعرضت بالظمن والإسفاف لأطروحات الفكر العنصري - الأمريكي الراحل إدوارد سعيد حول دور الاستنراق في بناء وتشكيل التحيزات الغربية إزاء الشرق، وهذه الأطروحات لقيت قبولا عاما في الأوساط الأكاديمية الغربية بل إن تعديلا قانونيا (عرف بمادة السادسة Article 6) في التشريعات، التي تنظم المنح الدراسية قد صيغ كثيرا من الميزانيات المتاحة لتدريس



طارق الشري



أحمد كمال أبو المجد



محمد سليم العوا



هادي هويدي



يوسف القرضاوي



محمد الدزالي

Islam Without Fear: Egypt and the New Islamists
(إسلام بلا خوف مصر والإسلاميون الجدد)
Raymond William Baker
Harvard University Press,
2004, 309PP

والإسلاميون الجدد

ومحوريتها في العالم العربي والإسلامي معاً. فهي من أكثر الدول العربية تحدياً، فضلاً عن كونها ملتقى لكثير من الحضارات المختلفة التي تعاقبت عليها عبر العصور. فأحوال الزوار التي تأس إلى مصر في العصر الحالي، والحملات العسكرية التي زلزلت إليها في العصور السابقة قد أدت إلى نشوء عملية احتكاك وتفاعل بين المصريين والآخر الأجنبي. كانت هذه الاحتكاكات هي السبب الرئيسي في ظهور عدد من التيارات الفكرية والسياسية المهمة التي هبت للشفاع عن الهوية الإسلامية والقومية مصر. فمثلت الحملة الفرنسية والمصريون تسلمت قضية الاحتكاك مع الآخر بشكل قلما تجده في أية دولة أخرى. وعلى صفحات الجرائد المصرية تجد أخبار الأخر تغطي على أخبار الحليات. لذا فإن دراسة تطور الحركات الإسلامية في مصر هي بمثابة استشراف لمستقبل الحركات الإسلامية في عالم تسوده ظاهرة العولمة. وذلك على عكس ما يجده الباحث من دراسة الإسلام في أي منطقة أخرى كأمريكا مثلاً. فدراسة الإسلام في مصر تشبع الباحث برؤية جديدة للإجابة عن السؤال الهام التالي، ما هي محصلات تعامل الإسلام مع المسائل الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يمررها النظام العالمي الجديد.

خارطة الكتاب

ينقسم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة أبواب رئيسية هي:

1. الثقافة، وهو يتناول رؤية الإسلاميين الجدد في مجيئهم رئيسيين حول إصلاح التعليم وتبني العلوم.
2. المجتمع، وهو يتناول وجهة نظر الإسلاميين الجدد في مجيئهم حول بناء المجتمع (المسألة الاجتماعية) وصياغة نظام اقتصادي (المسألة الاقتصادية).
3. السياسة، وهو يتناول وجهات نظر الإسلاميين الجدد في مجيئهم حول الفصل بين أجل تجسدي إسلامي (في الممارسة السياسية الداخلية مع التركيز على الأحزاب والديمقراطية والحقوق والحريات المدنية)، والتعاطي مع العالم (أي الممارسة السياسية الدولية من ناحية السياسة الدولية والقومية والإسلامية والاستجابة للهيمنة الغربية والأمريكية).

صدر المكون بيوكر بداية كل باب من هذه الثلاثة بمصحة فكمية وضع فيها طريقة قصيرة سائرة عن حالة كل من الثقافة والمجتمع والسياسة في مصر. فافتتح بداية باب الثقافة بطريقة للكتاب أحمد يهتج عن تعني الحالة الثقافية في مصر إلى الاقتصاد على الثقافة الشعبية التي تركزت على الرفاهات والمناخات الآخر كما تركز على المصريين والمصريين.

الفكرية والسياسية المصرية الأخرى، مساحة ومنصة لنسرة أو عرض أفكار ورواية الإسلاميين الجدد في مصر في مختلف القضايا. هذه الأفكار، كما يؤكد - تظهر خلال الحوارات والمناقشات التي يشترك فيها الإسلاميون الجدد مع بقية التيار الفكرية والسياسية في مصر. فإذا أردنا رسم أو تحديد الواقع الفكرى للإسلاميين الجدد سوف نجده في المناظرات التي تدور بينهم وبين ممثلي أقوى تيارات في الساحة الفكرية والسياسية المصرية، وهما تيار العلمانية وتيار التطرف (الغربي). ولقلمنا تجد المؤلف يستخدم مصطلح، الأصولية، في كتابه، ولا حتى مصطلح، العلمانية، في محاولة واعية منه لعدم اختزال مصاصم النماذج الفكرية في الأشخاص أو التيارات السياسية. وتجنبنا الخوض في جدالات نظرية. يمكن أن تلعب به بعيداً عن واقع الحالة الفكرية وتسلمه إلى عزلة فكرية مجردة. فمن الجلي أن الدكتور بيكر يعرض بدلاً من ذلك أن يقدم صورة حية عن المناظرات الفعلية التي جرت بين الإسلاميين الجدد مع كل من العلمانيين والمتطرفين. وحتى عندما هلم بتصوير هذه المناظرات فإنه قلما سمح لنفسه بالخروج من سياق ما حدث فعلياً خلال هذه المناظرات. نتجوا نحو مأساة مجردة لوجهة النظر الشخصية لكل فريق. بل حاول بشكل يدعو للتدبير أن يلتزم بنص الحوارات والكلمات ويتسلسل وروها خلال المناظرة. ورغم أن الكتاب قد حرص على تصويره للمناظرات والحوارات التي قدمها على تجنب التحيزات التي قد تصدر عن صلاته الشخصية الطيبة مع كثير من الإسلاميين الجدد، ورغم أنه قد ترقى - أحياناً على الأقل - مع موقف الإسلاميين الجدد بشكل شخصي، إذ تشعب بين سطور الكتاب سلة من المحبة الشخصية للموضوع بصورة لا تحطها العين. ومن الواضح أن المؤلف قد تابع بنفسه الكثير من المناظرات والحوارات التي سمعها في كتابه، مما فرض عليه عبئاً كبيراً في مسألة التوثيق والتأرجح. ولذا فقد جئت لاستخداماته واتباعته من أقوال شخصيات الكتاب في كثير من الأحيان خلواً من التوثيق التقليدي.

تسوده

ظاهرة

المؤسسة

يفلو تصوير المناظرات والحوارات بين الإسلاميين الجدد وممثلي بقية التيار الفكرية والسياسية من الملل أو الإرهاس الحشني. فقد وفق المؤلف لأصوب سلس لا يعله القارئ، من ناحية. كما تجنب التعمق الزائد عن الحد، والذي قد يعضى بالقارئ المادي إلى الإرهاس الحشني. ويخلف من الكتاب تماماً من الهوامش أو الحواشي، وهو ما يدل على أن المؤلف كان على اتقاع أسلوب السرد القصصي الكتاب ورفض تقنيات التحليل العلمي (التقليدية) بشكل متعمد. لا يخفى المؤلف أن اهتمامه بدراسة مصر يأتي نتيجة إدراكه لأهميتها

أبرز أدوات المنهج البنوي كمفاهيم المبادئ والتأويل في مقاربة النص القرآني، وقد سبقهم محمد عابد الجابري الذي استخدم أدوات ميشيل فوكو في تحليل الخطاب العربي والإسلامي، ومحمد أركون الذي كان بمثابة صدمة ثقافية حين طبق المنهج ما بعد البنوي والتشكيكي في التعامل مع الفكر الإسلامي هي توفيق يتكاد يكون معاصراً لتدريدها نفسه وبطريقة تبسيطية ومباشرة في ذات الوقت.

يتجاوز المؤلف في سعيه لتقديم ظاهرة الإسلاميين الجدد، بمنهجته ورويته، ويصيرته معظم تلك المحاولات الفاشلة، فهو يمسح حشداً إلى استنطاق هذه الظاهرة وقراراتها في مختلف سياقاتها التاريخية والثقافية والسياسية، وتحليلها على أكثر من مستوى. وسيد التمسك الذي تشبه في الدراسات الأكاديمية ذات الأجنحة السياسية، أو تلك الدراسات المتحيزة حول ذات وتجربة المركز الغربي، أو غيرها من الدراسات التي تنطلق من نظريات أو مناهج بحث يراه تطبيقها على كافة التيارات بصرف النظر عن محدوديتها أو قصورها أو عدم قدرتها على التفسير.

وعندما يصعب المؤلف كتابه في المقدمة بأنه، فإنه معظم تلك المحاولات الفاشلة، فهو يشير إلى أنه لا يتعامل مع موضوعه بصفتها مجرد باحث في الأوراق يكتب عن الإسلام نتيجة تراقم معرفي أو معلوماتي أو مجرد توافر المصادر والمراجع التي يعود إليها الباحثون في توثيق موضوعاتهم ومقولاتهم، بل إنه عاصر كثيراً من القصص والأحداث التي تشغلها بالسر والتحليل، فالكتاب يتخذ شكلاً سرياً يسير للمؤلف بصر أفكار الإسلاميين الجدد من خلال سجلاتهم ونقاشاتهم مع ممثلي التيارات السياسية والفكرية الأخرى. وفي هذا أيضاً نلمح إصرار هذا الأستاذ الأمريكي على الخروج على المنهج الغربية التقليدية في تقريب من النماذج العربية والإسلامية في دراسة الظواهر الحضارية والتاريخية، وذلك من ناحية إبراز سلطة النص ومحاولته استنطاق واستكشاف مختلف سياقاته وآليات إنتاجه. فتصحب هذه الطريقة في البحث والتأليف من ظلة نوعية في النماذج والأدوات واهتت تلك المنقشة الكمية في الكتلة عن الإسلام منذ بداية الثمانينيات الماضية، وهي تعبير آخر عن انحصار الإمبريالية الأكاديمية. المفارقة أن هذه النقلة النوعية في المنهج والأدوات لدى الباحثين الغربيين لم تجد طريقها بعد إلى مؤلفات وأعمال الكثير من الباحثين والأكاديميين العرب.

أسلوب العرض

يتخذ المؤلف من الحوارات والمناقشات التي خاضها الإسلاميون الجدد مع التيارات

وصمد دجال أبيض المجتمع بوصف مخالفه ساخره، جعل أبيض أمين، عن يديه حالة المجتمع المصري في العام ٢٠٠٤، حيث لاحظ كيف أن انتشار الصحابين النضيات المصرية في السبعينيات سرعان ما جرّواه انتشار العقائده، حيث تأثرت العقائد والقيم ببعضهن عن ذلك. ومن هنا تخيل جلال أمين أنه في عام ٢٠٠٤ بدأ الرجال أيضاً يصرون في قطعية إجماعهم دعماً للإجماع وإفتاءً، فالمناصب القيروا، المسحوق الرجالي، الذي ما تلبث أن جرّواه النضاب الرجالي، حتى أصبحت القاهرة بحلول عام ٢٠٠٤ عبارة عن خيام متحركة. فقد تغيرت طريقة الغلبان لينما لم يتغير أي شيء آخر في أذهان الناس.

وصمد رباب السياسية بوصف مقال للذكورة منار الحويجوي تتكلم فيه هو ظهور ما تصفه بحزب جديد هو الضياء الصامدون، الذي يهود منسوبه الأعياء الشعبية باحثين عن مواطنين يستحقون باكياس فارغة لإحدى ماركات الصامدون ليتموهوم عنها جوائز من ذهب. فهي ترى أن هذا الحزب يصنع الخبثاء الأمل في الحصول على جوائز ذهبية. وهذا ما نفشل غالبية الأحزاب الأخرى في منعه للثاس.

من هم الإسلاميون الجدد؟ الإسلاميون الجدد الذين يهددهم الكلاب هم، أسناد القانون، أحمد كمال أبو الجيد، الكاتب والصحفي، فهمي هويدي - الحامى، محمد سليم العوا، الشيخ/ محمد الغزالي، المستشار طارق البشري، الشيخ/ يوسف القرضاوي، شكل هؤلاء الإسلاميون تياراً فكرياً جديداً يتميز بوسطيته، ويأنه امتداد حقيقى للثيار الإسلامى الأوسع، وتختلف هذه المجموعة من رغبة إيجابية تستند إلى أكثر التقادير الإسلامية رسوخاً على مستوى الفكر والممارسة بدلاً من التمسك بالمتخفق في المخاوف. وقد حرص التكبير على وضع صورة قوشرافية لكل منهم في الكتاب في الصفحات التي يتكلم فيها معهم أو سجالاتهم ومناظراتهم من بقية التيارات الفكرية في مصر وهو يؤكد أن كل واحد من هؤلاء يتمتع بشهرة طيبة للغاية في العالم العربي والإسلامي، مما يبنى أنهم يتقدمون ما يشبه القدوة لجيل قادم إن لم يكن لجيل الحالى من المسلمين في العالم العربية. أعلى الإسلاميون الجدد عن صياغة اتجاههم في بيان أصدره في بداية الثمانينات، وقارنوه المتخفقون آنذاك بشكل واسع. وبسبب الظروف غير المواتية لم يجد ذلك البيان طريقه إلى النشر إلا عام ١٩٩١ بواسطة مؤلفه الرئيسى الدكتور أحمد كمال أبو الجيد، فقبية القانونى المستورى المعروف دولياً، آثار البيان (كتاب رؤية إسلامية معاصرة)، مناقشات وأصداء واسعة.

وكان على شخصية ومنهج تكبير الإسلاميين الجدد، يذكر المؤلف قصة اعتداء المتطرفين الإسلاميين على الكنائس البروانى الكبير لجيب محفوظ، وكيف أن الإسلاميين الجدد سارعوا ويؤدوا إلى إقالة المتطرفين الذين ارتكبوا ذلك الاعتداء. إلا صارع الشيخ المنحرف الخزانى إلى زيارة جيب محفوظ في المنشئى لثاخرمتان عليه، واعتبر الاعتداء جريمة ضد الإسلام، رغم أن أنه ذاته كان قد انتقد رواية لجيب محفوظ، فبالأحرار، كانت كالتدافع وراء اعتداء المتطرفين. من ناحية، يرى المؤلف

الإسلاميون الجدد



أن جدور مثل هذا التطرف لكن في قصور النظام التعليمى ومؤسسته من مدارس وجامعات عن مواكبة حركة التربية والتعليم في العالم أو تأهيل الخريجين للحصول على فرص عمل جيدة. ويتكلم المؤلف عن سعى المسلمين المتطرفين لقمع منهج الاعتدال الذى يدعو له المسلمون عن طريق تصنيفهم أو اعتبارهم في نفس السياق مع المتطرفين. ويحتج أن مثل هذه المشكلات الاجتماعية لا يمكن حلها بين ليلة وصباحا، يقترح الإسلاميون الجدد مضاركة الناس بدمهم المدارس والمستشفيات والانضمام إلى جهود جمعى في إصلاح المجتمع. كما يرفضون الأقوال البقية التي تهمش دور المرأة في المجتمع، وينتقدون الدارويش، الذين يركزون على العبادات العصرية ويمنعون المجتمع. وبسبب الارتباط بين الدارويش والصوفية، لا يخفى موقفهم القادى من التصوف (في جهود الحماضه على الأقل).

وعلى نصوص صفحات الكتاب الممتدة، يبين المؤلف، وبإعجاب واضح، كيف يجادل

الإسلاميون الجدد من أجل تأويل عقلائى معاصر للثران الكريم لفضين الدعوة ولكن ما يمكن اعتباره غير عقلائى بالنسبة لكل من موقعهم النقدي. ورغم أن الدعوة من العروضة والاقتصر على العبادات الفردية والسياسة، إلا أن قضايا إصلاح المجتمع لم ما يهمل، وإن هذا الجانب العلم المادى الاستهلاكى المعاصر إلى التصوف الحقيقى لا زالت قائمة ولعل إقبال بعض الفريريين على الإسلام من باب التصوف والروحانيات دليل على ذلك. يصعب الإسلاميون الجدد أولئك الذين يسلون بالوجود المسكر الأمريكى في العالم الإسلامى، كما يخافون الذين يدعمون بشكل مطلق كافة أشكال المقاومة، لذلك الوجود المسكرى. بل تنقسم مناقشتهم لهذه القضايا بالمعق والحكمة، وعلى السوى الذى يقدمه هؤلاء من مسلمين من أمثال نعيم توشوكسى، لكن موقفهم لا يقبل التوسط عندما يتعلق الأمر بالقدس، فالقدس بالنسبة لهم ليست مجرد مدينة في بلاد لدعى فلسطين، بل هي فلسطين في بلاد في مدينة لدعى القدس. وتوازن الرؤية أكثر لدى فهمى هويدي الذى يقول إنه إذا كان التخلنى من القدس من المخورة مكان، فإن التخلنى عن حق العودة هو أخطر من ذلك.

من ناحية أخرى، يرى بيجران أن ظاهرة إخفاق أو جمود جماعة الإخوان المسلمين عند مرحلة لا تتلاءم مع متطلبات العمل والتشريع السياسى المعاصر. ورغم أن الإسلاميين الجدد يبدون بالكثير لجماعة الإخوان المسلمين، وكثيراً ما يصرون من تعاطفهم مع أفكار حسن البنا (مؤسس الجماعة)، إلا أنهم يرفضون استراتيجيتها الحركية في تلبية التوجهات الشعبية (التعبوية) على النزعات العقلانية. فالإسلاميون يرفضون الشعارات الشعبية شكلاً وموضوعاً. لدرجة أنهم لا يقبلون الشعار الكلى شبرة (الإسلام هو الحل)، ليس لأن يحمله من مشغون ولكن لما يبرر عنه من قطعية وحصرية.

ملاحظات على الإسلاميين الجدد

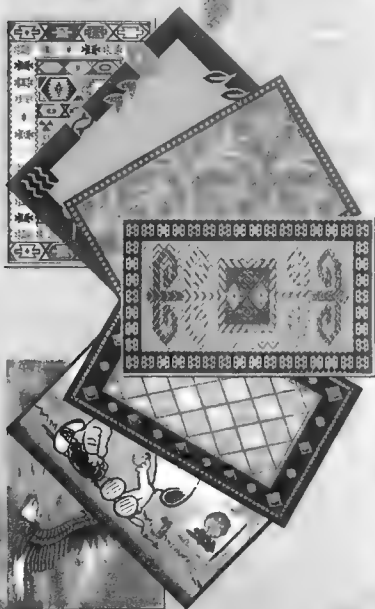
يعرض الكتاب إحدى أهم المناظرات بين الإسلاميين الجدد والعلمانيين، وهي مناظرة الشيخ محمد الغزالي والكاتب المصري فرج فودة بشأن هاليات معرض القاهرة الدولى للكتاب عام ١٩٩٢. وليس غريباً على الكثيرين ما دار في المناظرة. إلا أن المؤلف في عرضه للمناظرة يمدد في تصوير مشاعر الجماهير التي حضرت المناظرة، وروى فعل الشيخ محمد الغزالي إزاءها. فقد شرع الحضور يهتفون ببعض الشعارات الإسلامية تعبيراً عنهم عن رفض موقف فرج فودة، إلا أن الشيخ الغزالي رفض منهم التوقف عن الهتاف. ليمود المناظرة جو من الموضوعية بدلاً من أن تسير عليها الروح الفوغائية. وبذلك يلعب الكاتب إلى حقيقة مفادها أن الإسلاميين الجدد يستمعون بقدر لا بأس به على آراء الجماهير لكنهم لا يتساوون وراء ذلك، بل يصعدون إلى كتف جماع الجماهير عندما يتصور عليهم الترويج للمهاجوعية التي العدد الخامس والسئون. يونيو ٢٠٠٤ م



سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

www.maccarpet.com

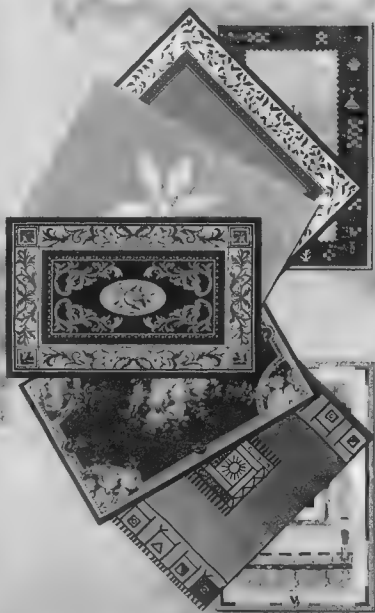
ماك على الإنترنت



متواجد في مراكز بيع بواقى



ماك



وع
ات
كيت
حمام
ظفال
فى

لتصدير المنتشرة فى كل أرجاء مصر

أبيض وأسود وجوه ذلك الزمان



رنا حايك

■ كما السينما.. وربما قبلها، تظل الصورة الفوتوغرافية شاهداً على العصر، شخصه، ومشاهيره، وأزيائه، ومقاييس جمال حسناواته. بل وبعض من ملامح ثقافته التي تسمح أو لا تسمح..

لسبعين عاماً كاملة من القرن الفائت ظلت عدسة هذا المصور ترسم بالنضوء والظل وجوهاً من هذا الزمان. شيئاً من تلك الظلال، جمعته الجامعة الأمريكية بالهاهرة في كتاب.. ومعرض قصة الوقت خلف الكاميرا صورها فيلم تسجيلي عن الرجل.

(المحرر)

فيليب أرمالد غارو. فان ليو. وصورة بالأسود والأبيض معلقة على جدار ماضٍ قريب في استوديو ممتلئ من أحد شوارع القاهرة الصاخبة.

أخبرهم كان هو (نفسه) ليفون إسكندر بوباريچيان، الأرمني الأصل، المصور الذي فزحت أسرته الأرمنية من تركيا (إلى القاهرة، هرباً من أبشع مذابح القرن العشرين).

كمادتها، سقت القاهرة بذور المهبة ونمتها. وكعادة الوافدين الممسوسين بالفن، أبدع فان ليو في ريوها. فهنا، في إحدى عمارات شارع ٢٦ يوليو، كان ستيديو حبس فان ليو نفسه فيه بين سنة ١٩٤١ وسنة ١٩٤٧ حين اعتزل. هنا أخرج، من خلال صور البورتريه المستعيلة الشكل الشديدة الخصوصية في محتواها، لنمذاج من شرائح اجتماعية مختلفة ومن جنسيات متنوعة عكست أهم التحولات الاجتماعية والسياسية التي عرقتها مصر خلال هذه الفترة الفنية بالتأملات.

فان ليو رصد تنوع البشر، وداعب أحلام النساء المتعطشات للظهور

Van Leo Portraits of Glamour

فان ليو: وجوه من السحر

A Zeitouna Book,

The AUC Press, 1997

Her + Him, Van Leo

هي + هو، فان ليو

Akram Zaatar
Video Still, 32 min, 2001

بمظهر فائتات هوليوود كميخائيل لي أو سكارليت أوهارا، وذلك من خلال تلاعبه بالإضاءة وبالظلال لإصماء رونق هوليوود على بورتريهاتهم. فقد قصدته الكثرات ممن حلمن بمجد الفن لأخذ بورتريهات لذييه بأرياء وأوضاع مختلفة تصلح لتقديمها لخرج ومنح يملك مفتاح الشهرة، وتضمن إبراز صلاحيتهم لأداء الأدوار المختلفة. صور الكثرات، منهن شريهان وداليا وبرتنتي عبد الحميد... وجاء محمد سراج (وصفها البعض بملكة جمال) وميرفت أمين، التي قال أن وجهها هو أحلى وجه صوره لأنه يحتل التصوير من جميع الزوايا دون أن (تؤثر) الزاوية على مستوى جمال الوجه.

وفان ليو عشق السينما، وفتش طويلاً في غرفة التحميض الممتمة خاصته، عن التأثير الضوئي لشهد تحول جيكل إلى هايد في فيلم «جيكل ومستر هايد»، التي تجسد تحقيق ميذا حربة الصرد بعد فصل جانبيه المظلمين. وعندما وجدها، كانت صورة صديقه الأرمني لوبار.

صور فان ليو أفراد الجيش الإنجليزي والصنانيين الأجانب الذين اتوا للترفيه عنهم عندما حولت الحرب العالمية الثانية القاهرة إلى مركز استقطاب فني.

ثم رحلت الملكية ورحلت معها الجاليات الأجنبية، فاقصر زبائن فان ليو على المصريين، يسطلونهم وروزمهم في السياسة والفن والجمع... والحركة النسوية، فصور إحدى السيدات الحركية، درية شفيق التي أخذتها عسة فان ليو، أصبحت أشبه بالصورة الرسمية لها. لكن الأفرام لم يحتضروا البطولة في صور فان ليو. فالحظارة الفرعونية أسرته، وكذلك فعل تراكيم الحضارات المتجسد في تراث المدينة المعاصر، فكانت صورة أهرامات الجيزة التي أخذت من استراحة ميخائيل، من الغرفة ذاتها التي التقى فيها قادة العالم خلال الحرب العالمية الثانية؛ وروظت تشرشل وستالين.

وكانت صور أخرى لقعة صلاح الدين ومدرسة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وغير ذلك... فان ليو خلف عالمًا من النور والعتمة، وأضاء من حوله مسحة من الوميض كانت كافية لتحقيق له شهرة لدى



فان ليو سنة ١٩٤٤



فان ليو سنة ١٩٤٦



رتوش



San-Lee
1950



حافظت على رياضة جاشها وقالت له: بورتية. حيكلفك. بعدين أنا بصور ابيض وأسود والعصريين مايحبش دم. فقالت له وهي تبسم: بس أنا مش مصرية.

كان ذلك في اوائل التسعينيات. بعد أن شهد هذا الكهل مراحل كثيرة انتهت بهيوب عاصفة الانفتاح

والتحديث التي جلبت معها

لها عن مجمل أعماله ليضمن حفظها وإعادة ترميمها بعد مماته. فكان العرض الذي أقامته له سنة ٢٠١٠ ثم كان الثاني سنة ٢٠١٢، قبل وفاة بمدة أشهر. وأدركته له إحدى التصنيفات التي زارته في الأستديو بعد أن رأت أعماله في المعرض فأعجبته.

قرعت الجرس ذات يوم وانتظرت بضع دقائق... فَتَح الباب. ووقف هو بوجه عابس، عابسة، عابسة؟

زعتري في إطار مشروع كانت تقوم المؤسسة من خلاله بدراسة أعمال أهم المصورين في العالم العربي وأسفرت القابلة عن إنتاج فيلم أخرجه كما بعنوان Her + Him + Van Leo أسفرت الأبحاث عن ترشيحه لجائزة الأمير كلاوس في التصوير التي حصل عليها سنة ٢٠٠٠.

ثم أدركته مكتبة الكتب النادرة في الجامعة الوطنية في مصر حين تنازل

المواطنين العاديين من حول ولة وتخللهم بعض الرموز وكل مبع في العالم العربي، حاز في حياته مكانته التي يستحقها في الضمير الجماعي للأفراد المبين أحاطوا به وأولئك الذين عرفوا بأمره من خلالهم مقصود، وذلك كله في غياب دولة ومؤسّسات. فمن أدرك فإن هو قبل بحيلة أدركته المؤسسة العربية للصورة سنة ١٩٩٩ حين زارته المخرج السناتسي، أكرم





فاطمة رشدي ١٩٥٠



رجاء ١٩٥٨



ميرصيف ١٩٦٥



شهرهان ١٩٧١

أبيض وأسود

ليو بثلاث لغات، زبائنه كانوا في كل بلدان العالم، جاليات اجنبيه في مصر او اجانب قصود في الخارج.
لكنه مات مصرياً. مات إنساناً.
ولم يفرق الموت، الذي عاش معه خلال مشواره الإبداعي الطويل ظلالاً على صوره وهاجساً في داخله وأسود كاحل في شرفة التحميم بين لغاته الثلاث وانتماءاته الثلاثة، هالوت وطن لا لغة فيه ولا حوار. ■

العدد الخامس والمستون - يونية ٢٠٠٤ م

حروب مع إسرائيل ما كسيوش حاجه. طيب، غير كده، الإزهاب آخر ١٠ سنين باليلد. الجلد مش ماشى طبيعي. أنا مامشيتش عشان الأستاذيو يتأصي هنا. بس أنا بحب مصر. بحب تاريخها ومتعود أعيش فيها. كان عندي ٣ سنين لما هربنا من تركيا ووصلنا الإسكندرية.
فان ليو تكلم بثلاث لغات خلال الحوار، يتقن اللتين منها تماماً ويتعلم من الثالثة التي هي العربية. عاش فان

الجزئي لثقافة الأقليات الانتمالية التي ترتدي قناعاً من الجفاء يخفي قدراً كبيراً من التألم يفرض نفسه رغم جهود إخفائه.
قال في الحوار المصور الذي شكل اللذة الأساسية في الفيلم الوثائقي «Her + Him + Van Liok» سنة ٩٢ ولما البلد، خلصنا من ده بعد ٦ شهور عملوا ثورة ومشوا الملك. خلصنا من دول، طلعت لنا حكاية فلسطين. كل شوية. عملوا ٤٠٣

بدعة الألوان لجمال التصوير الفوتوغرافي فحاول التماشي معها رغمًا عنه، مع احتماظه بطفة صميرة من الزبائن الذين ما زالوا يقدرون صورة الأبيض والأسود. هذه المغالبة التي بدأت مشحونة بقدر كبير من الجفاء من قبله انتهت «ببرودة» «حمية»، ويتبادل أرقام التهاتف.
فان ليو فعل الشيء نفسه مع الكرم حين ذهب هذا الأخير لحاورته. لعله مزاج الفنان بشكل عام. أم لعله التجسيد

وجهاهات نضطر ٤٨



ذكرت وزارة العدل الأمريكية أن عصابات الجريمة المنظمة تجلب نحو ١٧ ألفاً و ٥٠٠ شخص سنوياً إلى الولايات المتحدة، وأن هؤلاء الأشخاص يضطرون إلى ممارسة الأعمال الشاقة والدعارة أو كخدم في المنازل الأمر الذي يشير إلى أن الرق لازال موجوداً في الولايات المتحدة رغم إلغائه رسمياً منذ ١٢٠ عاماً. وقالت الوزارة، في تقرير لها، إن الإتجار في البشر جريمة مروعة وانتهاك لحقوق الإنسان.

رويترز- ١٩ مايو ٢٠٠٤

■ مع إعلان تحرير العبيد الذي أصدره
عقب نهاية الحرب الأهلية الأمريكية في
ستينيات القرن التاسع عشر، اعتقد
العالم أن ممارسة الرق التي استمرت
الآلاف السنين انتهت إلى غير رجعة. ورغم
مرور ما يقرب من قرن ونصف على هذا
الحدث المهم إلا أن كيشن بيلز يقدم في
كتابه الجديد، أشخاص يمكن التخلص
منهم، الرق الجديد في الاقتصاد الكوئي،
الحجة على أن الرق مازال قائماً، وأنه في
وقتنا هذا أزمة على نفس القدر من
الإلحاح الذي كانت عليه فيما مضى.
ويقدر بيلز أنه يوجد حالياً ما يزيد على
١٧ مليون عبيد، وهو رقم يزيد على عدد
كل الأفارقة الذين نقلتهم تجارة الرق عبر
الأطلسي. فقد تطور الرق في العصور
الحديثة، إلا أنه مازال وحشياً وخالياً من
المضامير الإنسانية. كما أن العنف والقهر
من مفاصله الأساسية، في الوقت الذي
تلاشت فيه البنى الشكلية والملاحظة.
وهكذا نجد أن هذا الرق الجديد على قدر
من المخادعة والمعاورة يزيد مما كان
عليه سابقه، وهو بذلك أكثر قدرة منه
على البقاء. لقد ولت أيام الرق من المه
إلى اللحد التي كان الجنوب الأمريكي
نموذجاً لها. إذ حل محله شكل مختلف
من الرق. ذلك أن الرق الحديث فرع فاسد
من فروع الراسمالية، وهو يعطي قيمة
كبيرة جداً لتحقيق الأرباح عن طريق
اعتصام كل زيادة في قيمة العمل من
القوة العاملة (الأسيرة) بفرض تقليل
النفقات. وينتج على ديموغرافيا
الاقتصاد الكوئي الجديد، أصبحت
المصالة متوفرة بكثرة في العديد من
المناطق الفقيرة، وبذلك بات العمال
أشخاصاً يمكن التخلص منهم. ويلخص
بيلز جوهر الرق الحديث باستعماله
تموير، يمكن التخلص منهم، ذلك أنه
حين يمرض العمال أو يصابون، أو حين
يتمردون، أو حين لا يصل إنتاجهم إلى
الحد المتوقع، فإن أسيادهم يتخلصون



Disposable People: New Slavery in
the Global Economy
(العبودية الجديدة في الاقتصاد العالمية)
Kevin Bales
University of California Press, 2000

بتريثب خاص مع
National Strategy Reporter
ترجمة: أحمد محمود

السؤال... هل المنهج...

كترّم بذلك العامير، وكان هذا الشكل من الاحتجاج باستعارة الشخص لمحاظفة تقوده هو وصفة بيلز الأساسية للقضاء على الرق، وهي وصفة جيدة.

إلا أن الشيء الذي فلاحظ غيابه هو الترويج لـ «استراتيجية» المبادرة المباشرة، للقضاء على الرق. فطوال الكتاب يكرر بيلز حقيقة أن الناس في أنحاء الأرض يعيشون في ظروف مزرية وربما مميتة (وهو ما يتضح بشكل خاص في الفصل الذي يتحدث فيه عن صانعي المطوب الباكستانيين) لأنهم مدينون بأجورهم تلك الأجور تعد ضئيلة للغاية بالنسبة لأي أمريكي عادي من الطبقة الوسطى.

وما يقيد الغالبية العظمى من عبيد المدين، سواء أكانوا عاهرات أم فلاحين أم صانعي مطوب هو أن الواحد منهم مدين بما يقل عن ٥٠ دولاراً أمريكياً. ومع أن بيلز يستعصر قضاؤه أَسْماَ الرق، لم يختلف، فإن العلاج الواضح الذي لم يأت له ذكر فيما قال هو، «اشتروا الدين عن المستعبدين».

وهنا النسبة للفرديين الذين يرغبون حقاً المساعدة في القضاء على الرق، قد لا تكون المظلمة وقرص السرقات هي الإجراء الوحيد. فتسديد ديون العمال

المضموين من خلال جميع لقروض الصغيرة أو الفتح غير المشروطة. وبالتالي تحريرهم، هو الحل الذي لا يبحته بيلز (على الأقل ليس فيما يتعلق بتدخل المجتمع الدولي). ويكون هذا السهو هو الأبرز حين تأخذ في اعتبارنا أن ما قاله عن الهند لا يبحث جهود الحكومة (أحد أكثر الحكومات تقدسية في الحرب على الرق) للقضاء على عبودية الدّين بإلغاء الديون ومنح قروض للعمال.

ربما كان السبب في سهو بيلز عن إستراتيجية شراء ديون المستعبدين هو أنه غير مستعد لمعبور الحد الفاصل بين المحلي والدولي، فبيلز راضٍ كل الرضا عن توبيخ المجتمعات والحكومات الأجنبية لسماعها بهذه الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان داخل حدودها. كما أنه يكيل الاتهامات بالفساد والعجز ضد الكثير من النخب في تلك المجتمعات. إلا أن بيلز لم يربط بين حقوق الإنسان العالمية ومسئوليات حقوق الإنسان العالمية. فالرق مازال موجوداً بسبب مبدأ الرأسمالية القاسي الخاص بالإنزعة النسبية. وبسبب آثار الإنزعة الكونية التي تنسم بالعوضي على المجتمعات المحلية.

وحينما يتفحص نصيب المجتمعات التقليدية تحت ضغط الاقتصاد العالمي، وحينما يصبح الفساد وسيلة لإدارة الأعمال التجارية بدلاً من أن يكون عائقاً في سبيلها، وحينما يصبح العنف هو العملة السائدة، فإن الرق ينتعش. ورغم ذكر بيلز لمرات الرق في الولايات المتحدة وبريطانيا وأوروبا، فإن تركيزه الحقيقي على الدول النامية، أو «العالم الثالث». فهناك الدول والمجتمعات التي لا يمكنها التعامل مع هذا الموقف والغارقة بشدة في طغيان لا يعرف القوانين. وتلك المجتمعات على وجه التحديد هي التي ينبغي استهداف المجتمع الدولي لها بالتدخل إذا كان يريد بالفعل القضاء على الرق.

ولا يزيد بيلز التدخل إلا بالمعنى الاقتصادي شديد التجرد. فشراء السحاح الذي يحمل علامة «رجمارك» من باكستان لفتة لا بأس بها، ولكنك ليس إلا لفتة لحسب. والواقع أن الإنزعة الاستهلاكية التي يحركها الضمير لدى الأمريكيين والأوروبيين لا يمكنها من واقع الأمر تغيير حال الرق في المجتمعات التي على ذلك القدر الذي عليه المجتمع الباكستاني أو الموزناني من تحطم. وفي

تاريخ.. وفلسفة.. وعقائد

الكاتب العجوز أحمد هُزاد بليج، عرفناه قبل عشرات السنين مترجماً، لكنه مترجم من نوع خاص، إذ أنه لا يكتفى بالتترجمة، إنما هو يلحق بها تعقيبات وتعليقات وجواشٍ وتذيولاً. ولا يتوقف عند إضاعة النص، بل يملأ

مؤسسة الرق من فجر البشرية حتى الألفية الثالثة الجزء الأول، من نشأة الرق حتى مطلع الإسلام المؤلف: أحمد هُزاد بليج الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٣

وفي أعماق المكان، تتعدد مساريه، وتتباع مذاهبه، ويكتنفه الغموض أحيان لتزارة المأدبة، ويكتنفه الغموض أحيان أخرى لغزاتها، وربما يحار المؤلف، فلا يدري من أين يبدأ وكيف يبدأ، وإلى أين ينتهي به السير، والأهم أنه يجد نفسه مضطراً إلى أن ينهل من موارد معرفية متباينة بطبيعتها، وتتطلب قدرات خاصة في التعامل معها. وهو أمر ليس بيسير، ثم إنه، إلى ذلك، يطرُق أبواب موضوعات مسكونة عنها، فظاهرة الرق التي صاحبت التاريخ الإنساني حتى نهاية القرن التاسع عشر، جاورتها ديادات سماوية

المترجم جهداً فائقاً في ترجمته تلك، لأن الكتاب يقص منقول من مصادر عربية، طبعت منذ سنوات بعيدة، ويصدر الطمر بها، كما أن المؤلف لم يهتم كثيراً بتوثيق هذه النقول، مما أهدى المترجم لأن يردّها. وهي عملية. إلى أصولها. تمضي سنوات العمل ويشعر الفارس وقد استبدت به الترجمة بجأته. لأن يدلي بدلوه في مجال التأليف، فيطرق بجسارة إلى موضوع صعب مرقاه، ربما يحتاج إلى أعمار عدة، وليس عمراً واحداً. وهو موضوع الرق، والحق إنني لمدى ولوجه موضوعاً يضرب في الزمان

فراعاً، ربما غيب عن ذهن المؤلف نفسه. ثم إنه في هذه الترجمات المتنوعة يخلق في عوالم شتى، تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية وأنتروبولوجية، ولا تشعر وانت تطالع ترجماته بكونها مترجمات، وقد يساورك حاسب بأنها مؤلفات، وهذه فضيلة.. وأية فضيلة. لعل من أهم مترجماته كتاب الإسلام والوثنية، المؤلفة لاسرارد بالنيكار، والتي لأعجب كيف تم ترجمته هذا الكتاب. وقد نشر قبل عشر سنوات. دون تنويه من أحد، فمع كونه كتاباً كلاسيكياً تقادم العهد به، إلا أنه لا يزال مصدر لا غنى منه لتاريخ الفارة السوداء. وقد بذل



كل البلاد التي تناولها البحث سوف يكون حل مشكلة العرق العنصري هو اتّخذ لنرض حقوق الإنسان العالمية التي تدعم حجة الكتاب. لأن هذا هو جوهر المشكلة. ذلك أنه إذا كان لابد للمجتمع الدولي – وبالأحرى الغرب – أن يتدخل في بلد مثل البالاو أو الهند، اللتين حكم على كل منهما بأنها ديكتاتورية مستقرة إلى حد ما، لن يكون ذلك عملاً ينطوي على الغزو؟ وهل يجب فرض حقوق الإنسان العالمية على حساب الاتفاق من التوافق؟ وهل لابد من التصحية بالشفافة لمصلحة المعايير العالمية؟

يجب أن تكون الإجابة عن تلك الأسئلة هي «رياء» بإيماننا بحقوق الإنسان العالمية في الأصل ثرفت شخص بالغرب المزدهر. ذلك أن الحديث عن الكرامة الإنسانية العالمية والفرصة المتاحة يكون أصح بكثير حين يكون الشخص منتمياً إلى إحدى الدول الغنية والمزدهرة كالولايات المتحدة أي ذلك الشخص الذي لم يكن في يوم من الأيام ضحية للغزو المتكرر (الهند) أو الكوارث الطبيعية (باكستان/ موريتانيا) أو العنف العرقي (السمر/ كاستا) في نفس كثير من

الأحيان تطورت الأنظمة
السوقية الاقتصادية بطرق مختلفة
التي تطورت به بسبب الظروف معكسة
استمرت فروقا، والإعلان أن كل الكائنات
الشرية لها "حقوق عالية، فحسب هو
التزام ذو مبادئ سامية والتمزام يجب ألا
تخلخله عندئذ مجرد أن تقهقهه بعض صغبا.
ولكن مثل هذه الإعلانات قد تسمم
بالخطر، وبالحقد، فهي قد تكون
مفسدة بسبب بعض الأشخاص في الظروف
السوقية الاقتصادية ليست معادية، إن
ما هو ممكن في الولايات المتحدة أو
غيرها من الديمقراطيات الصناعية قد
لا يكون ممكنا في العالم النامي. فهل
من الأفضل أن نتوقع من تلك الدول
اللاتزام بمعايير يفرضها عليها الأرباب
الذين يفتقرون في الغالب إلى فهم
العادات والتقاليد المحلية وعلى سبيل
المثال، كم من الأمريكيين يفهم حق
الفهم كم كراهية ضحايا ما مجرد أنه
ينتمي إلى الجوردة وليس العاصفة؟
بعض الشيعة والسنة يقولون بعضهم
يوم في باكستان يسقطون الخلافات
الدينية، وبناء على ذلك فإن الخطأ
اقتراف أن مجرد إعلان معيار على
لحقوق الإنسان فهو يكون له أثر

مستدام. فكثير من الحفافات مهمة
بالضمانات المحلى بالقرن الذى ينمىها
من التفكير فى معايير العالمى
ويمكن أن تبدو تلك الإعلانات
وفيه لسياسى. أولاً: هناك الحقيقة
التيخائية التى تقول إن أمريكا
الشمالية وأوروبا التى إدعما على
العمال العبيد. ولا تزال العنصرية
موجودة فى كثير من تلك المجتمعات.
ثانياً: لاند أن نسال لماذا يجب
هو الشوط الذى لى الغرب الاستعداد
لقطعة كل قضى على العمودية. ونظراً
التحديات التى تواجهها فى الداخل،
وهى التشرد والفقر شديد الوضع،
فكيف عد 11 مليون مواطن بل بأربعة
صحية مناسبة. لى الواقع الأمريكى
إلى قبول الأمريكيين للمخاطرة أو
التضحية العنصرية كى يعضوا على
قوما الأخرى لتعويض الرق بكل أشكاله؟
والذى بقا لى إذن فى النهاية؟ وإذا
كتنا باعتبارنا مجتمعة ولدينا أن نستطيع
المدخل لوقف الظروف الاجتماعية
الهاكمة التى تشجع على نمو الرق، أو
لسنا على استعداد لذلك، فهل لا يزال
الرق يستحق نمو عانا اجتماعى وأخلاقى؟
الذى فى سياق حقوق الإنسان العالمية؟

بكل تأكيد، فمن غير المحتمل أن
توصم الحكومات المتواطئة مع تلك
التي تهافتات بالمال. ذلك أن الدول لا ترغب
في النظر إليها على أنها مبريرة، حتى
وهي تقترض على التدخل الخارجي.
ومينند لا ينبغي النظر إلى كتاب
«داخشان» يمكن التخلص منهم، على أنه
بيان لشككة مستعصية، بل على أنه
تذكير بأن الاعتماد الاقتصادي المتبادل
يحمل في طياته مسؤولية أخذ كل
التكاليف إنتاج السلعة، البشرية والتقنية
في الاعتبار.

إن الأشخاص يمكن التخلص منهم،
 كإبائهم يستحقون الضمائم، ليس بسبب
 أحوالهم المحزنة لتفاهة الرق وعلم
 اجتماع الرق فحسب، بل كذلك ليحتمل
 الميزاني للرقوق داخل الحفص، التي لم
 يتأثر الرقأ فاما فيها هجعت، بل بيزدهر.
 ويقوم بيزل بعمل كل ما يؤمن به الصبح
 من الشايع الأخلاقية وبين الجواب
 العملية الخاصة بالتصدي لرق
 التحدي، والكتاب قصص إنسانية وأخرى
 بالألم والمهانة، ولكي بيزل يترك القارئ
 وقد انتبه بأن نهاية القصة، أي القضاء
 نهائيا على الرق. قد تُروى في يوم من
 الأيام. ۞

مؤسسة الشروق عبادة كحيلة

وغير سماوية، اتخذ بعض من يثنتون إليها أو يقومون بمواقف من هذه الظاهرة، قلة لا يرضى عنها ذو الضمائر المهمووم، بالإنسان وحقوق الإنسان، ما يفضي إلى خرج الكتاب يثنتي إلى إحدى هذه المياديات.

الحزن في الكتابة عن الرق، شأنها شأن الكتابة عن الفجر (وكتاب عن السطور مكتبة بولندا (الأواخر) أنه لا تتوارث لدينا . على الأقل فيما يختص بالعصور القديمة. مصادر مسنودة إلى الرقيق انفسهم، لأنه لم تتوارث لديهم إمكانية الكتابة عن انفسهم، وربما توافرت هذه الإمكانيات في عصور تالية،

فتكون شهيرة كشجرة العبيد بزعمه
سائرنا نحن، نلقى على أجليها كما عند
صومهم الزمان. لذا لنا منوعة من
الاعتماد على كتب الأفيال من الأحرار،
ويضاهي بصدرنا فيما يتكهن من منافع
عصرية أو غير موضوعية يشوبها
الانحياز من غير جهة.

أخيرا فاقضوني بطلانيته، يفرس
عن الكاتب أن يكون محققا، لا أن يكون
محققا، لكن القريب أنه جمع الخصلتين
معاً، فكان محققا بفرس ما كان محققا.

قبل أن تغرب شمس العام ٢٠١٣ صابر
السنر أول من هذا العمل الكبير،
ويختص بالعرفان القديمة، أي العصور

السابقة لتطور الإسلام، واعتباره نقطة مفصلية في تاريخ البشرية.

يبدأ القرآن كتابه بحديثين ربما تكون فائدة إلى طائفة الرق ووقفه منها

قالوا: الذين ليس طائفة تاريخاً عبرت ثم ولدت، هو طاعة عاشت على حواشي المجتمعات البشرية دون تأثير طاعة ومولس أو تبعات لها بغيره، وإنما هو طاعة لازمت البشرية منذ جاز حصارها، وضربت بجورها صميقة راسدة في بنيتها الاجتماعية، وأصبحت جزءاً عمالها الصارخة، وذلك منذ أن استقر الإنسان، وأصبح له وطن، ومنذ أن أدرك العمل الجماعي، وبين أن ليس سبيله ان تحته. نعتهم الخطم، وتدين أن اكتشاف

مملوك لغيره، يعامل معاملة السليمة
المطلوبة، بضعة فوارق تقتضيها
الطبيعة البشرية.

ما كان الحق طاهرة تاريخية، فهو
ظاهرة أدائية وليست أثرية، وهي
مستقبلية الإنسان المتحضر، وليس
الإنسان البدائي، إقبال التاريخ لم تكن
تعبودية لأن الإنسان يجد حاجاته
متغيرة في الطبيعة حوله، وليس من
ضرورة الجهد كبير يبدله في سبيل
الوصول إليها، وعلى أنه لا ضرورة لذلك
أن يستبعد بغير وحتى عندما كانت
تحدث صراعات على الموارد، فإن المتضرر
كان يكتفي بأكل لحم المنهزم دون أن
يستوف.

بعد عملية تاريخية طويلة، شرع الإنسان في الاستقرار، وازدادت أعداد، ولم تعد الموارد متاحة كما هي، سيما بعد اختراع الزراعة واكتشاف المعادن، وتوجب عليه بذل جهد أكبر، حتى يؤمن لنفسه ما يحتاجه، ويبدأ عدل عن أكل لحم المنهزم، واستبدل به استثماره كقوة عمل .

ظهور الرق إذن تحدد بظهور أول
مصادره وهو أسير الحرب، وقد ظل الأسر
على مدى التاريخ مصدراً مهماً للرق. فل
العصر الأهم فيما يختص
بالعصور القديمة.



تركب على هذا المصدر مصدر آخر. هو أرقاء الميلاد، أي الأرقاء الذين ولدوا في الأسر، بعد استرقاق آبائهم الأسرى. بيد أن هذين المصدرين، أسرى الحرب وأسرى الميلاد، لم يعودا متكافئين لاحتجعت الاسترقاق الاسترقاق، وأضحى جزءاً من مسجعه، فظهرت مصادر أخرى داخلية وليست خارجية، أي أن يكون الأرقاء من أبناء المجتمع نفسه، وليسوا وأقاربين عليه، فقد بيع الصغير نفسه أو أولاده، من أجل أن يكمل له ولهم حاجاتهم الدنيا، أو أن يبيع الحبس نفسه، لأنه لا يستطيع أداء دينه، أو أن يبيع المجتمع السارق عضوه له على جريمته ارتكبها.

بمرور الوقت ظهر مصدر آخر هو الاحتطاف الذي تطور إلى ما يعرف بـسجارة الرقيق، وقد أصبحت هناك منافسة بين هذه التجارة والحرب كمصدر أهم للرقيق، فربما يتم اقتداء الأسرى، وربما تشجيع الحرب سنة أو سنوات على أنه في أحيان كان يتجاوز المصدر، فكان النخاسون، لا سيما اليهود، يتجهون الحيتس العارضة، ليتولوا هم بأنفسهم بيع أسرى الحرب.

في عصر الإمبراطورية الرومانية أحرزت جزيرة ديولس اليونانية شهرة عالية باعتبارها المركز الرئيسي لتجارة الرقيق في العالم القديم، وكان يباع بها كل يوم ألف عبد، وفيها كما في المدن الكبرى كان النحاس يعرض بصاعته البشرية في مكان مخصوص، ويقع في رقبة الواحد من الرقيق قطعة من الجلد (الرق) تتضمن خصلته ومزاياه، ويبدل (الرق) ما وسع من جهد للتعبية على عيوب نصاعته، حتى يتسنى له بيعها بالشئ الذي يريده.

هذه هي المصادر الأصلية للرقيق، وهي مصادر مشتركة بين الحضارات القديمة جميعها، لكن هذه المصادر في حضارة منها، كانت تنقسم بعلامح خاصة، تختلف عنها في حضارة أخرى، فهي فارس كان الرقيق في معظمهم يؤتى مهم من خارجها، فتوجب على كل ولاية من ولايات الإمبراطورية أن تسدها بحاجتها منهم، وكانت الحال في مصر قديمة من ذلك، أما عن العبرانيين فلم يكن يجوز استرقاق أحدهم، إلا لأسباب محددة ولاة محددة، وعلى نحو مشابه كانت الحال في بلاد اليونان، حيث كان مكروها استعبد اليوناني الليوناني، أي في روما فكان الأصل أن المواطن لا يسترق داخل

من عجب أن الفلاسفة

ساروا على نهج مواطنيهم

في نظرتهم إلى الرقيق، وهم لم يقضوا عند

حد قبول هذه الظاهرة وتبنيها،

إنما دعوا إلى الصرامة فيها

من الرقيق. لكنه عندما كانت تتوافر هذه الموارد على نحو ما في المناطق الحضرية، كان الرقيق يراولون الزراعة وغيرها من الأعمال التي يأخذ منها ساقطهم المتصرفون للحرب، ودرجت الحال على أنه لدى قتل الحرب عبد، فلا قصاص وإنما دية أو تعويض يؤدي إلى ملكه.

استمكلت مؤسسة الرق أركانها في بلاد اليونان، وصار الرقيق يتكلمون غالب سكانه، بحيث لم يكن اليوناني يتصور مدينة يونانية واحدة تخلو منهم، وكان هو نفسه يمتلك رقيقاً واحداً أو اثنين وربما أكثر. وفي زمن أفلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد، وصلت أعداد الرقيق في أثينا وجدها إلى أربعمئة ألف، في مقابل المائة ألف من المواطنين الأحرار، وأصبحت بولاء الرقيق الأعمال كافة، في حين حرما من الحقوق كافة، فليست للواحد منهم شخصية قانونية ولا دمة مالية.

من عجب أن الصرامة ساروا على نهج مواطنيهم في نظرتهم إلى الرقيق، وهم لم يقضوا عند حد قبول هذه الظاهرة وتبنيها، إنما دعوا إلى الصرامة فيها. وكان أفلاطون، ومن بعده أرسطو، من منطلق إيمانه بالتفاوت الطبيعي بين البشر يؤمن بأن على الفرد مزاوله العمل الذي تؤهله له طبيعته، بل إنه أتان العظيم الديمقراطية في وطنه أثينا، لتهاون في التعامل مع رقيقه، وليفت به العنصرية مداه، إذ لم يكن يتصور استرقاق أحد من أبناء قومه على أيدي أبناء قومه، حتى لو كان أسير حرب، وعلى نهج اليونان سابق الرومان، بل إن مؤسسة الرق عندهم صارت أكثر اتساعاً، مما كانت عليه لدى سابقيهم، وإذا كان أفلاطون يعتبر الرقيق نظاماً طبيعياً، فإن سنيكا اعتبره حالة نفسية من حالات الضمير، فيمكن للعبد إذا كان فعلاً أن يعيش حراً في الواقع، أما العبد الحقيقي، فهو من كان أسير شهواته.

وصلت الحال في بالرق في عهد الرومان إلى أن تم التوسع في حقوق السادة تجاه عبيدهم، بل حقوقهم في قتلهم، كما وصلت الحال إلى دفعهم لمنازلة الوحوش مشوفين بدمائهم، ولم يوافق قوانينها سنها أي طائفة متأثرون بالفلسفة الرواجية كاندونيون بيبس (الورق) في الحد من هذه الظاهرة.



حق الرقيق الذي يشكو من معاملة سيده أن يهرب منه، ويلود بأحد المعابد، فتنحق له حريته، وإجاز العبرانيون تحرير العبد إذا أصابه سيده بعاهة، وإن ذهب البعض من فقهاءهم إلى تحديد هذا المبدأ بالعبيد من العبرانيين دون الواهم.

عندما ظهرت المسيحية كانت تحض هي البداية على عبث الرقيق، خصوصاً من كانوا يدينون بها. لكنها لم تعد تكثر بهم هي عهد قوتها، بل إن البابا جريجوري الأول (أو الكبير) كان يمتلك أعداداً كبيرة من الرقيق يقدرهم البعض بالمئات.

عندما كان يتم تحرير الرقيق، فإنه كان ينتقل من مؤسسة الرق إلى مؤسسة أخرى، هي مؤسسة العبودية، أي تصديره من علاقة مع نوع ما مع هؤلاء السابق، فكان من واجبنا أن يؤدي إليه بعض الخدمات، كما كان من حق هذا السيد أن يرده في أحيان إلى حالته الأولى، حال الرق. وكان المعتاق في بلاد اليونان لا يتكسبون حقوق المواطنة، وإنما يعملون في المدينة اليونانية معاملة الأجانب الفروا.

تد تصحيح ظاهرة العتق ظاهرة شائعة، فكان كسرأعلى على العبيد في معظمهم أن يتخلوا عنهم، مما جعل بهم الزمن.. لذلك بزغت في فترة مبكرة لواجبهم، إياهم.. وقد تصدبت واسبل لواجبهم، فكان من المنحجب وباع علامات معينة على أجساد العبيد لإعانة هربهم، كما سر موارىي بعقوبة العبيد، كما في نيلو أحد في العبيد الأتقيين.. طاهرة الأبالغة إلى كانت ظاهرة محدودة، وكان البديل هو الهروب، وتعلم أن لهم حقوقاً في الزواج وتوافره لقضاياهم لتجنّبها، ووما لم يتيسر في معظم الأحوال، لذلك ليست لدينا معلومات عن قوائم باع في العبيد في حضارات القديم، لكن لدينا معلومات عن ثورات قاموا بها في إيظاها في عهد الجمهورية الرومانية، أهمها الثورة التي تزعمها سياتراكون في سنة ٧٠ ق.م، وبعثت سرائها في مدرسة من مدارس الجائدين بعقوبة كذا أسرفت عن هرب أعداد من العبيد، ولحق بهم إخوان لهم من أبناء الجزيرة، التي ولصحت هذه الأعداد إلى مائة وعشرين ألفاً.

قام سياتراكون بمجمع العبيد، وذهب بهم شمالاً إلى جبال الألب، يحدوه الأمل في إنقاذهم إلى أوغستان التي أتى بهم منها، لكنهم وسعهم غير

ارتبطت ظاهرة الرق بظاهرة الحجاب، فقد كان الأصل عند المرأة هو السفور، لكنه مع ظهور مؤسسة الرق وازدياد أعداد الأرقاء من النساء، أضحت هناك ضرورة للتمييز بينهما وبين الحرّات، فبدأت ظاهرة الحجاب

أفضت ظاهرة البغاء بدورها إلى ظاهرة أخرى هي شيوع التشرّف والإحلال ونقضى علل اجتماعية وأدواء. فكان لها أثرها المصغر في بقية الحضارات القديمة، خصوصاً الحضارتين اليونانية والرومانية، وأعان على تعاقبها ما درجت عليه الحال من الركوب إلى الرقيق في مزاولته على نأى عنه الأحرار من أعمال. يقوم على أساسها المجتمع وزفاته هذا المجتمع.

أخيراً فقد ارتبطت طاهرة الحق بظاهرة الحجاب، لكنه قد الأسهل من أن يرى هو السور، لكنه من ظهور مؤسسة المرأة وازدياد أعداد النساء، وتحدث وضع بعضهن كسر أو حظايا. وجدت وضع بعضهن كسر كيبانيا. أصبحت ذات ضرر ولا للتعمير بينهم نحن الحراري، فبنات طاهرة الحجاب التي كانت قديماً عليهن (الحراري) ومن غيرهن. فوراً كانت البداية الأولى للحجاب في هابس، حيث أنزلت المرأة من النساء باليسون، كما أنزلت المرأة من الرجال، بتقليد شعور وروهم وذكورهم وشوارهم، لمعنى لهم جميعاً من الأحرار.

ومع ما شاع من كون الرق حلالاً مؤيدة، إلا أنه ظهرت في لحظات معينة ضوابط أخلاقية الفرصة لتعلق الأرقاء أي تحريرهم، وأقدم تشريع تكافى إلىنا في هذا الشأن يعود إلى حمورابي الذي يقدر بأن أبناء السيد من أمته يعتقون مع أمهم عند موته، كما يتيح الفرصة لتعبد الاتباع حرطية، ويحدد أوصاف الرق المدين بثلاث سنوات رتبته بعدها. وأصدر العتق في كل حالة مستتدة في مصر، إلا أن كان من

لجتمعات الزراعية.. وكان هؤلاء الأثافي حوزون الأرض حياة النطاق من السيد، ظير رسوم ثابتة تؤدي عينا أو نقدا، أو على هيئة خدمات، وللسيد حقوق أخرى على اقله لا تقابلها بالضرورة حقوق لهم جابه، وقد ظل هذا النظام موجودا إلى أن انتهى في غضون القرن التاسع عشر بعبارة الرق.

ترتبط ظاهرة الرق كذلك بمظاهره
عصرية، وهو ظاهر لم يسرها
للإنسان في صوره التاريخية المبكرة،
كانت هي نفسى الارتفاق وإذليل أعداد
الأعداء صان يولتي بهما أحيايا من بلاد
الفرقة ومن أرقاق غالبا ما تخلف عن
الفرق الأحرار من السمك، والتقى بعد
استمراره بعد الظاهرة. المكان، والرق
ن أضحت ضرورية في مجتمع كالجمبع
الفيوناني أو المجتمع الروماني،
كان علاقة ضمنية أو تعلق بين مفهوم
الرق وبين مفهوم البرابرة (الأجنبي)
حيث كونهم المنسود الذي يأتى منه
الرق، وقد دللت هذه الظاهرة مؤسسة
لرق، من عاشت بعدها، ولا تزال نحن
نرى من تعالها.

لا يخفى أيضاً ما جرى من ارتطاب
في ظاهرها، وقد روين بطوره أخرى في
ظاهرة البعاء، وقد نشأت بطوره شأنها
بالإختصاص، نشأة مستقلة، وتتصل
بمثلها ببعض المراتب الدينية التقديرية
عبارات (العبد) لا إلا مع تثنائي مؤسسة
في صارت هذه المؤسسة رأس في البراءة
الأهم للبناء، وزاد منها ما شاع في بعض
تجتمعات من امتثال للمادة تفرغوا
كانت حرقة، وواضح للمادة تفرغوا
ما هم على ممارسة البعاء كوسيلة
لجلب المال، وكن عند العرب قبل الإسلام
يضعن على أبواب بيوتهن رايات تيمس
بالحسن.

مع مقدم المسيحية يد يواور تحسن
طراً في أحوال الرقيق، فقد كان المسيح
عليه السلام وتلاميذه يحضون الناس
أن يبيعوا الناس بما يحبون أن
يأخذوا، وكانت الكنيسة في الصدر الأول
على عتق الرقيق، بل إنها اتاحت
فرصة لهم للانخراط في صفوف
الربان، فيصيرون أحراراً حالاً يدخلون
الدير.

[illegible]

وترتبط ظاهرة (أو مؤسسة) التي
مجموعة من الظواهر (أو المؤسسات)
ألا ظاهرة الخصاص، وهي ظاهرة نشأت
من مستقلة، فقد كان من الأماحور
فيهم لظهور لأسباب ظاهرة (فهم الشوق)
وعقاية (الزنى) لأن الكثرة الغالبة من
الظواهر صارت يتخذونها دليلاً على
الفرق، وكانت اختصوا طرفين، طريقة
الحجب، وهي قطع القصبي والأثنيين،
والفهم القصبي بالحجب والوجرة، أي
الأثنيين فقد، فيعرف القصبي من
الظواهر توكّل إلى الجباببي من الضماني
كانت حفظ النساء. وقد بلغت أعداد
الضماني في بعض العصور مبلغاً كبيراً،
أما كانت بابها تدفع إلى فارس في عهد
إمبراطورين الذين خصمهم من الضماني
في كل عام. وسيدري بالكون أنه كلما برع
المهود في تجارة الرقيق، فقد برعوا لذلك
في كل الحضارة.

ثانية هذه الظواهر هي ظاهرة القنانة، وكان يجري أحياناً الخلط بين الظاهرتين للشابه الواقع بينهما. ويختلف القن serf عن العبد slave بكونه يقع في المنزل بين منزلتين العبودية والحرية، وهي حال



كتاب الزواوية



۳. حیاتیاتی

أسباب ضعف المسلمين

تعرضت مرة وأنا في السنة الثالثة لحادث خطير كاد يفصلني من المدرسة التي لم أدخلها إلا بعد عشاء. ذلك أنه أقيم سنة ١٩١٠ احتفال في المدرسة لعيد رأس السنة الهجرية، وعهدت إلى لجنة الاحتفال اختيار موضوع، فاخترت «أسباب ضعف المسلمين» وبنيت محاضرتي على أن أسباب ضعفهم ترجع إلى شيئين رئيسيين: الأول فساد نظام الحكم في البلاد الإسلامية وما جرّه ذلك من ظلم للربعية وعسف بحريتها، واستغلال الحكام لمالها وتسخيرهم قواها لملازمه الشخصية، والثاني رجال الدين فقد شابهوا الحكومات الظالمة وأيدوها، وتآمروا معها وبنوا في نفوس الشعب الرضا بالقضاء والقدرة والاعتماد على نعيم الآخرة إذ حرموا نعيم الدنيا. كل هذا أضعف من نفوس المسلمين وأذلهم وأهلك قواهم، ولا أمل في صلاحهم إلا بصلاح رجال الحكومة ورجال الدين إلخ.

فلما أنتمت الخطبة دوى المكان بالتصفيق، ولكن راعى أن استدعاني عاطف بك إلى جانبهِ، وقال لى: هل جنت؟ أمثل هذا يقال؟ وطلب منى المحاضرة فسلمتها إليه ورأيتهُ يسر إلى الشيخ الخضرى كلاماً، فيقدم يعقب على ويقول إن المحاضر. بالطبع. يقصد الحكومات الماضية ورجال الدين الماضين، أما الحكومة الحاضرة فلا مأخذ عليها، وهى العادلة الحازمة، وهى التى رعت مدرسة القضاء وانفتحت عليها وعلمت طلبتها وغمرتهم بالخبرات، وأما رجال الدين اليوم فمثال للنزاهة والطهر والرقى.



هل هانت علينا لفتنا الجهمية؟

شهادتان وتبوءتان

■ هل كان شاعر النيل، حافظ إبراهيم (١٨٧٢ - ١٩٣٢) يستقرئ المستقبل، ويرى بعين القلب ما سوف يحدث بعد مائة عام، عندما نشر في عام ١٩٠٣ قصيدته «الغة العربية تنعى صنفها بين أهلها»، مقدماً شهادته على واقع هذه اللغة، وما أصابها من ضعف وهوان على السنته أهلها وأقلامهم، وصينته على لغة الصحافة أو الجرائد، بحسب تعبيره. وما أمثالات به من «مزالق»، وكيف سرت «لوعة الإفرنج»، في اللغة المرفقة التي كان يستعملها الناس في زمانه، مستهمل القرن العشرين؟ وهل كان على حق في كل انتقاداته، وفي غضبته الهائلة وهو يقول:

رجعت نفسي فانتهت خصاتي^(١)

ونادتني قومي، فاحتسبت حياتي^(٢)
رغموني بقم في الشباب، وليتي
عقبت فلم أجزع لقول عدائي^(٣)
ولدت، ولما لم أجد لعراسي
رجلاً وأكسده وأدت بنسائي^(٤)
وسمعت كتاب الله نفضاً وغاية
وما ضقت عن أي به وعظايت
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة^(٥)
ولتستيق أسماء لخرقنا؟
ثم يجهن بينه الجميل، المحكم
الصياغة، الذي اتخذته شعراً لبرنامج
لغتنا الجميلة، منذ سبعة وثلاثين
عاماً:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فيا ساموا! الغواص من صدقاتي؟
وفي الديوان أيضاً: فهل سألوا بدلاً من
فهل سألوا

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
ومكمن إن عزّ الدواء أسأتني^(٦)
هنا تكوين للرسمان هائلي
أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ورمقة^(٧)
وكسب عزاً أقوام بعز لغات
أترا أهلهم بالهجمات تفتنا
فيا ليكنم تأنون بالكلمات
حتى نصل إلى قوله وهو يشخص
الواقع السري وأحوال المتدنية للغة
العربية في زمانه،
أرى كل يوم بالجرائد مزقاً^(٨)
من القبر يدنيتني بغير أنا^(٩)

العدد الخامس والستون - يونيو ٢٠٠٤ م

وأسمع للكتاب في مصر نسجاً^(١٠)
فأعلم أن الصائحين ثماتي^(١١)
أبهجرتي قومي، عفا الله عنهمو
إلى لغة لم تتصلل برواء^(١٢)
سرت لؤلؤة^(١٣) الإفرنج فيها كما سرتي
لعاب الأفاعي^(١٤) في مسيل فرات^(١٥)
فجاعت كئيب، ضم سبعين رقية^(١٦)
مواتها، إلى معشر الكتاب وإلى الجمع
الحافل أي المجتمع كله، قائلًا:
إلى معشر رجائي والجمع حافل
بسمت رجائي بعد بسط سكاتي
فإما حياة ليمت الميت في البلى
وتست في تلك الرموي^(١٧) رثاتي
وأما مسحات لقيامة بعده
مسحات لمسر لم يقس بمعات
ولم يقتصر الأمر، في التقنيته
والتحجير أو الانشراح إلى واقع اللغة
العربية، على صيغة شاعر النيل حافظ
إبراهيم، فقد دخل معركة اللغة العربية
شاعر القطرين خليل مطران (١٨٧٢ -
١٩٤١) بعد أكثر من عقدين من الزمان،
من خلال قصيدتين شرعيتين أولهما يحمل
عنوان: «دعيت اللغة العربية على أهلها»
وقد أنشأ عليها اللغات الأخرى، لأنها
تستجير بالذكور، وله حينئذ بكه:

يقول مطران متحدداً باسم اللغة
العربية كما فعل حافظ إبراهيم:
سمعت بأن قلب صوت عتب
له رفاقك دم مستهل^(١٨)
تقول لأهلها الفصحي: أعدل
بريكمو اغترابي بين أهلي
المست أنا التي بدمي وروحي
غدت متعب، وأنت كل طفل
أنا العربية الشهود فضلي
أغدو اليوم، والغمور فضلي؟
إدا ما القوم بالغة استنفوا
فضاعت، ما مصير القوم؟ قل لي
وما دعوى اتحاد في بلاد
أخاف أكون في بلاد
ضاد القول فيه دليل عجز
فهل هم يكون صلاح فعل؟
بُنْيات الحمى أنتن تسلي
فإن تكررنتي أنكن نسلي؟
ويا تبنانه إن أخطأتني

مركبكم، فإن التكل تكل
يُعَارِنِي الأولى^(١٩) جعدوا جميلي
ولم تردعهمو حرسات أصلي

وفي القرآن إعجاز تجلت
جلال^(٢٠) بنوره أسنى تجل
وللعلماء والأديباء، فيما
نأت غاياته مهَّدت سبلي
إذا ما كان في كلمي صباب
فلا تأخذ كثيري بالأقل
وهل لغة قديماً أو حديثاً
تد بروفة الحصنات مثلي؟
وبغير مطران من قناعه الشرعي
متحدداً بأم اللغات العربية ليصبح صوتاً
ثانياً يخاطب الأديب، ويعلمتها إلى
أبنائها اللياميين الذين يهرون لنصرتها
والحفاظ عليها، وفي مطلعهم «له، أي
الذكور، طه حسين الذي يضره مثالا
لهيلى النهضة ويعاشي الروح في شباب
العصر، يقول مطران:

فيا أم اللغات عدلك منّا
عقوب سادة وعقوب جهل
لكك العود الأحمد، فأنت شمس
ولم يحجب شاملك غير ظل^(٢١)
دعوت في من شلى التواحي
ميامين أول^(٢٢) حزم ونيل
براي فيك يكفل أن تردى
مكرمة في أي أسى تحل^(٢٣)
يؤور شعرهم في كل واد
وزهر تزهيم في كل حقل
ومله، في ظلمة من أجابوا
يهين نوضه في المستهل^(٢٤)
بموفورية^(٢٥)، من أدب وفن
ومذخورية^(٢٦) من عقل ونقل
يفحص كما يفحص النيل خصبا
ويهجي الحرب في حزن^(٢٧) وسول
ويصمت في شباب العصر روحاً
هو الروح الذي ينبي ويعل
إذا ما حاول الفرسان جلي^(٢٨)
وخلف شقة^(٢٩) دون المصل^(٣٠)
فكيف به إذا ماثن حربيا
على يد^(٣١) الضالول أو المنفل^(٣٢)
فما الذي أذا هذا الشاعران
الكبيران؟ وهل هناك الشهادتان
مقبولتان على عليتهما؟

من الواضح أنهما متفقان على ما
يمكن تسميته باعتراث اللغة أو غربة
اللغة بين أهلها، الأمر الذي يتكرن قول
المتنبي: شاعر العربية الأكبر، في وصف
حاله وهو يخترق شعب بوان في بلاد
فارس.
ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان
هذه الغربة التي يحذر منها
الشاعران مصدرها شيوخ كلمات اجنبية
حافظ. وهي بالتأكيد الفاظ الحضارة
الحديثة أو الفاظ الحياة العامة
ومصطلحات العلوم التي لم يكن من
استخدامها ن حين يتعنر المخالين
العربي، وحافظ يركز على لغة الجرائد
«لوعة الإفرنج»، ولو كان بيننا الآن
الوجدها، أي الظاهرة، أوسع شيوخاً
وأكثر تردداً وانتشاراً، نتيجة لانحجار
المعرفة وحلول عصر العلم، واعتلاء
الصحف، وأجهزة الإعلام جميعاً.
بالجديد من الكلمات والمصطلحات
والتعابير.
ومادامت اللغة قد اتسعت للبيان
القرائي وإيجارها، فهي، في رأيه، غير
عاجزة عن وصف الألات وتنسيق الأسماء
للختمتار. ونس حافظ، كما نسينا
نحن، أننا لن نفرض استعمال على هذه
اللمتارعات إلا إذا كانت من صنعنا
وبتأكرنا نحن، وما دمت لا نخترع شيئاً،
ولا نضيف إلى كتاب العلم المعاصر شيئاً
كما أضاف السلف العظيم في الماضي،
فستبقى مشكلات تعريب الاصط
الحضارة ومصطلحات العلوم قائمة حتى
يوم القيامة!
بيما يبدو شاعر القطرين خليل
مطران، أكثر وعياً وإدراكاً لتحقيق تطور
اللغة، وتغير معجمها، وإتساعها لنهضة
مواطنة يضعفها ابتلاءها اللياميين من أمثال
طه، من أنهم، وهم أصحاب الأساليب،
هم الذين يطورون اللغة ويحولونها،
مستكين على ثقافة تراثية أصيلة
مستنيرة في ثقافة النقل، وعوى
عصرى مفتوح على تطور المجتمعات
والأوم والثقافات الأخرين هو وعى
العقل، والانتقل والعقل مما يتحقق
مشروع النهضة اللغوية كما يراه
مطران. لا شك أن لفتنا الجهمية مطران
الغربية، والأفريقية على وجه
الخصوص، كانت وراء تطهرته
التقدمية كثيراً في نظره حافظ، وإن
كان حافظ يظل صاحب
الطلة الأولى، والتحذير



هل هانت علينا لغتنا الجميلة؟

الدوية في كتابه «خطوات في النقد، عن حاجتنا إلى أسلوب جديد، منادياً بما أسماه بالأسلوب العلمي الذي يعتمد على تحديد المعاني، ومن ثم اختبار أنماط محددة لها. أنماط حتمية، بحيث لا يكون المكان صالحاً إلا للفظ واحد، ويتمتع أن يستبدل به لفظ آخر. فإذا كل عمل الزيف والتبرج الفارع والتزييق الذي لا طائل حتمته.



وفي رأي يحيى حتى أن متى تحدثت الأنماط وأصبحت حتمية، زال الأسطرطد، وصيب الإنصاف، ومال الأسلوب إلى الجمل القصيرة التي ترتبط برباط ذهني لا لفظي، فتقل بذلك الزيادات. وهي عوائل لا داعي لها من كثرة حروف العطف فإن سير الذهن في الأب ليس خلواً متاعها رقيقاً. بل هو توثب يفرض على ذهن القارئ توليداً مثله يخرج من سكون إلى حركة، ويستخرج أيضاً من الإطالة والإفازة إلى الإيجاز النبيل الكريم، وهو سر البلاغة في العربية.

ويحيى حتى في هذه الشهادة العميقة الوعى والاستارة. يؤكد أنه لا يقصد بهذا الكلام الأسلوب الملتصق الذي نادى به آخرون (نظمهم سلامة موسى)، بل هو يتكلم عن الأسلوب الأدبي. الجمال من شرطه الأساسي التي لا تضي عنها، لا يوجد به بلا صمعة.

ثم هو لا ينكر موسيقى الأسلوب، إنه على العكس يتمسك بها، ويحرص عليها حرصاً شديداً. لكنه يقصد بها الموسيقى الهارمونية لا موسيقى النطوف التي تعزف لحناً واحداً، هذه الموسيقى الهارمونية لها إيقاعات مختلفة لكي مجال في النص الواحد، متشابكة، ولا يتمسك فيها من أولها إلى آخرها لحناً أساسياً الواحد المتعدد الألوان، بحيث تعتمد موسيقى الأسلوب لا من الأثر البدائي الأثني الذي يولد ويصوت عند التلطف بالكلمات والابتهاار بأول زلفينا، بل تستمد من روح الكاتب أو الشاعر من نفسه ومزاجه وشعوره، وفيضه وانطلاقه. هي موسيقى تسمو عن الأثر المادج الفقير البسيط إلى نحن غنى أعشق متشابك، ينشأ بالتأمل الشامل والاصبر، ستكون هذه الموسيقى في حقيقة الأمر، وليس الأنماط، مهما حدثت. المبرعة عن المعاني.

لقد جاءت دعوة يحيى حتى إلى

ويقوة، وهو يتحدث عن الأدب العربي، إبداع اللغة العربية الحقيقية، وعن خصائصه وسماته وما ينبغي له حتى يستمر في محافظته على هذه اللغة التي وليمت لغة عين. ولغة الأذن تخاطب دالماً الجوانب الموسيقية في النفس وتعتمد على الجرس، جرس الكلمة واللفظة، وجرس الجملة أو العبارة. ومن هنا كانت الحسنات اللطيفة والبديعية، وكان السجع، السجع اللفظي والسجع الدلعي، في مجتمعه تسوده الأمية، وينتقل فيه التراث من جيل إلى جيل بالرواية والرواة.

والدكتور إبراهيم الخليلي يسوق أمثلة من بين شعراء تراثها العرب من تجسدت في إنتاجهم هذه الخاصية الموسيقية يقدم تحليلاً لشعر الأملح (مناجاة العرب) وأبي العلاء المعري (صاحب الزمويات). ثم يؤكد أن الذين حرصوا نعمة الإصرار من الأبياء والشعراء يكونون عادة أكثر اهتماماً بإبراز الجوانب الموسيقية. فهم يعنون بجرس الأنماط وولفها الموسيقي، وكثيراً ما تشغلهم موسيقى الكلام عن مرامييه وأهدافه، فيفهمون المعنى القليل بغيض من الألفاظ والعبارات المتكررة ذات المعنى الواحد أو المتشابه في الدلالة.

ولكن يكمن أديبنا الكبير يحيى حتى بعيداً عن هذا كله، وهو يطلق دعوته

والتي مزدهر لغير اليوم لنمش معاش زماننا، ولننتهز فُرص النجاح بقَرَبٍ أو نسلَم لن ترجع العربية الفصحى إلى ما كان منها في الزمان الأقدم ما لم يعد ذلك الزمان وأهله والصاد والأخلاق حتى جُرم للجاهلي لسانه، ومن الذي ينق من الفصحى لسان مخصص؟ إن التحسد للسان حياته ومن الذي يعيبه غير المُتَمَدِّ في عصرنا للضاد فتح باهر فريدت به فخر، فهل من ماثم؟ من فرق الأخوين يستيقان من طرق لرفعها اليس بمرهم؟

ثم يصيف الدكتور طه حسين: «وليس أدل على ذلك من أن العرب في جميع عصورهم لم ينعوا بشيء، قط عنايتهم بمصاحاة اللفظ وجزائته، وركبة الأسلوب ووصالته. وقد جعلوا الإعراب واصطفاً اللفظ واللامعة بين الكلمة والكلمة في الجرس الذي يمس على اللسان نطقه، ويزين في الأذن وقعها، أساساً لكل هذه الحवाल».

وتستوقف العالم النموي الدكتور إبراهيم أنيس. رائد الدراسات اللغوية الحديثة. ظاهرة «الجرس» في اللغة، واهتمام القدماء بها، وحرصهم عليها في إطار عنايتهم بموسيقى الكلام، فيقدم تفسيراً هو بمثابة شهادته في كتابه «دلالة الأنماط»، حين يقول: «على العرب القدماء بموسيقى الكلام، أنهم لم

الأول. الذي سار في غياره كثيرون في طليعتهم مطران ويصصح مطران عن توجيهه التحديدي في النظرة إلى اللغة، وعن نزعتة إلى التطوير والتحديث، في مناسبة شعرية أخرى، يكشف فيها عن جملة رأيه في وضوح ساطع وتحديد قاطع حين يقول تحت عنوان: «في تقدم اللغة العربية والعيب في الجحود»:

ماداً يريد من المبالى نائم والنجم مزدهر لغير اليوم لنمش معاش زماننا، ولننتهز فُرص النجاح بقَرَبٍ أو نسلَم لن ترجع العربية الفصحى إلى ما كان منها في الزمان الأقدم ما لم يعد ذلك الزمان وأهله والصاد والأخلاق حتى جُرم للجاهلي لسانه، ومن الذي ينق من الفصحى لسان مخصص؟ إن التحسد للسان حياته ومن الذي يعيبه غير المُتَمَدِّ في عصرنا للضاد فتح باهر فريدت به فخر، فهل من ماثم؟ من فرق الأخوين يستيقان من طرق لرفعها اليس بمرهم؟



هنا مطران المعصرى، الذي يطلق شعار: لنمش معاش زماننا، منذكراً بالجاهلي لسانه ولنا. نحن أيضاً لساننا وكأنه يصنع صنيع الخلفيين المعاصرين هم يفرقون في مستويات الفصحى بين مستويات رئيسيين، تراش، مثله الأعلى في الماضي، وصفاته صفات الفصحى التقليدية القديمة، وعصرى أو معاصرة مثله الأعلى في المستقبل، وصفاته متجددة لا التجسد للسان حياته. في رأي مطران، الذي يرى أن عصره عصر فتح باهر للضاد: فريدت به فخر، فمن الذي يؤكده هذا الازدهار أو يعترض عليه؟

المبدعون هم صنّاع اللغة

في سياق هاتين الشهادتين وهاتين الثبوتيتين لشاعرين كبيرين ومبدعين عظميين المكانة والتأثير. والمبدعون هم صنّاع اللغة الحقيقيون لا علماء اللغة. بعد شهادات متتامة للدكتور طه حسين نفسه، الذي اعتبره مطران نموذجاً

نسى حافظ، كما نسينا نحن،

أفتنا لن نقرض أسماؤنا على هذه

الختراعات إلا إذا كانت من صنعنا وإبتكارنا.

وما دمنا لا نخترع شيئاً، فستبقى مشكلات

تصريب أنماط الحضارة ومصطلحات

العلوم قائمة حتى يوم اللغاة



أسلوب جديد، مستندة إلى كائنات أساسية في رأيه، إلى التحديد والحتمية والعق، في مواجهة ظواهر مرضية شائعة، هي البوذية والمسيحية والهندسة. وهي بعض أمراض هذا الزمان، وبعض الظواهر السلبية في واللغة المفرد الآن. في هذا السياق أيضاً، وهو سياق حافل، يأتي الهجوم الذي نشرته مجلة دويجين مصباح الفكر التي تصدرها مجلة رسالة اليونسكو ومركز مطبوعاته (عدد ٤ مايو سنة ١٩٧٤) في صورة بحث لتأستاذ أنطون مطر عنوانه: «اللغة العربية والطروف الحاضرة، وما ينتظر تحقيقه من آمال، في مستقبل عالم المتكلمين بها». وقد ترجم هذا البحث إلى العربية الأستاذ علي آدم.

والاهتمام بهذا البحث وما يثيره من قضايا، من شأنه أن يكمل صورة اللغة العربية، في حيون الكتاب والأدباء والباحثين والمبدعين واللغويين. ويضيف إلى الشهادات السابقة وشيقة حافلة بالانفتاحات والسيلايات، فاليابح، الحظن مطر. يرى أن اللغة العربية ليست لغة حديثة، وهي لا تستطيع بقاءها الراثة القديمة، بل يجب اعتبارها وسيلة صالحة لتفاهة تقدمية إنسانية، إلا بطريقة تعسفية، وأن الإعلام الجماهيري، مثل الإذاعة والتلفزيون، قد اغتصها في تروء وجزلياً، من جمودها. وذلك بأن أرفعها على قبول لظهور إيجابي ولكنه ليس كافياً، لأنه لا يؤثر إلا في مجتمع بعض أوان الإنتاج الأدبي مع استخدام المجالات العلمية والتفنية.

ويقدم البحث أسباباً لعدم إمكان استعمال العربية، وهي أن لها طابعاً دينياً، وأنه ليس للعرب لغة قومية عاملة، وأن العربية مرتبطة بالقديم فكانها لتفكير من التاريخ، وأن التطور الاجتماعي تجاوز العالم العربي. وهو يبين على هذا أن العربية قد خربت الصطلحات الفنية اللازمة لتقدمها، وأن وسائل الاتصال بالترقية الحديثة لا تتأتى في مجتمع يكتب لغة لا يتحدث بها، أو يتكلم بلغة لهجات تنشأ عن لغات قومية لا تكتب.

ومن أخطر ما يقدمه هذا البحث الانشقاق الهجومي إحصائية لليونسكو، بين جودها في نسبة الإنتاج العلمي في الإنجليزية ٢٢٪ وفي الفرنسية ١٩٪ والفرنسية ٢٢٪ وفي اللغة الإيطالية ١٩٪ والأسبانية والصينية والإسكندنافية. فأما الإنتاج العربي فليس بشيء تقريبا، والعربية ليست ذات إنتاج علمي له قيمة في كل علم نظري وتطبيقي وعلم اجتماعي يسبب بطء تقدمها.

نصيب لغتنا

والنصيب هبتها

السهم. إذن، تنهال على اللغة العربية من أبنائها وأعدائها معاً. أما الأعداء فموقفهم معروف ومفهوم. لكن أبناء العربية وموقفهم من لغتهم الأم أمر يدعو إلى الدهشة والاستغراب. لا يبدو أنهم لم يسمعوها يقولوا القدماء: نحب زماننا والعيب فيها، وما لزماننا عيب سوانا، وعلى غرارهم يقال: نحب لغتنا والعيب فيها. أما هذا العيب فأسبابه شتى وتجلياته لا تغطيها المي، نحن، أولاً، لم نضع على عار الأمية، لا في مصر، ولا في كثير من المجتمعات العربية، بالرغم من أن برامج مكافحة الأمية تعود إلى أربعينيات القرن الماضي في مصر. وبالرغم مما تدعيه الدولة، ممثلة في وزارة المعارف أو التربية والتعليم أو التثمين (أي كانت التثمين) فإن الأمية لا تزال عاراً وطنياً وقومياً. ولاتزال نسبة التثمين في التعليم الأساسي فادحة، ومجزع المراسر من استيعاب من يسمن بالزمن في مراحل التعليم الأولى قاطماً. بل إن هذا العجز في تزايد، بالرغم من الإعلان المستمر عن خطط عاجلة لبناء مدارس جديدة، كيف تنوع إن وجوداً جدياً للغة العربية، واحتراماً لها واحتراماً لها في مجتمع يضم هذه الكثرة من الأميين؟

هذا عن الأمية، بصنعنا الضالعة البسيطة، أمية القراءة والكتابة فما بالنا بأمية ثقافية، ينتجها تعليم لا يؤدي إلى التفكير، ولا يحضر على، لا يسج على القراءة ولا يتعمق مقروماً أساساً من مقاومته. وغاية ما يحمله مثل هذا التعليم، نتيجة لخناخه وكثيرة وطرق تدريسه وتوجيه مدرسه ومسئول إعدادهم وسوء اختيار نصوصه وموضوعاته. غاية ما يحدثه هذا القصور

الذي قلصه لدى النشء المتعلم من كل ما يتصل بالعربية من قريب أو بعيد، والانقطاع عن القراءة بالعربية، وإشراق القراءة بغيرها. إن أمكن. والرتانة. على سبيل التباهي. ببعض ما علق بالناس من مفردات هذه اللغة الأجنبية أو تلك، كن أشير بالطبع إلى مستوى ثالث من الأمية، هو ما يتصل الآن، بالصعج عن استخدام الكمبيوتر وشبكة الإنترنت، والدخول إلى عصر المعلوماتية والاتصال بمجالات المعرفة العالمية.

هي إذن مستويات ثلاثة من الأمية، لا نصى، حتى الآن. أننا انتهينا من عار مستواها الأولى، وتفرغنا لمستوياتها الثقافية والمعلوماتية، وهو عار يمتد بنا ويلقى ظلاله على تعليم العلوم في المستوا الأولى، والحجز عن تعليمها بالعربية، كما فعلت كل الدول الحريضة على لغتها القومية، لأنها لغة الفكر، ولغة التعبير ولغة الإيجاز والإضافة في مجال المعرفة الإنسانية وتبذل تعليم وتعلمها بالعربية، سبقت هذه الثالثة التي تعوق فاعلتنا الأولى، بالمعلم، لأننا نقرأ وتتكلم بلغة، ونفكر بلغة، ونعبر المسافة بين الفئتين. في عقولنا. عن طريق ترجمة ركيكة، تقرب إلينا الأشياء، بلغة سطحية وهامشية، ولا نجعلها من قلب لغة العلم الحقيقية، التي لا بد أن تكون لغتنا القومية، التي نحسن امتلاكها، والإبداع بها، في كل مجال.



وتنتقل إلى ما حولنا في كل موع. والعميات وللجهات المحلية تسف الناس في قضاء مصالحهم دون حاجة إلى دعته، استخدام الأجهزة، بحيث تد في الحوزات والمؤسسات والشركات والمصالح الحكومية وفي شئون الإدارة المحلية والأجهزة الشعبية. لا



لم يكن أدبيتنا الكبير يحيى حقى

بعيداً عن هذا كله، وهو يطلق دعوته المدوية

في كتابه «خطوات في النقد، عن حاجتنا إلى

أسلوب جديد، متادياً بما أسماء بالأسلوب العلمى

الذي يعتمد على تحديد المعانى، وما ثم

اختيار الفصاف محدودة لها

يتوقف أحد أمام لغة هابطة، أو استعمال خاطئ أو تعبير غير مناسب، واللغة التي أنشأها السكتيون في مصر وفي كثير من البلدان العربية. منذ عام ١٩٥٢. لغة هشة حائلة على أخطاء اللغوية والعرفية والصوتية. هضلاً من جعل العامية، واللهجات المحلية. لغة للخطاب الرسمي، في خطاب الرؤساء والنزراء وكبار المسئولين، في الواقع التي لم يكن يسمع فيها، فيها مضى. غير صوت العربية الصحيحة، في ألقى صورها وأجمل مستوياتها، يوم كانت حصة الزعماء وكلماتهم وتصريحاتهم، ولغة القضاء والمحاماة، ولغة الكتاب والأدباء، ولغة الفنان والتشكيل، في السينما والمسرح. لغة عالية المستوى. لا تهبط أبداً إلى العامية المبذلة أو العامية، لأن الحصر على اللغة، والاهتمام بوجوبها، كانا من سمات الشخصية المصرية. المؤثرة في الحياة العامة، والتي يظن إلهيها. دوماً. باعتبارها القوة والثال.

اعتماد العامية، واللهجات المحلية، لغة خطاب وطني وقومي، في المجالات السياسية والاجتماعية والأدبية والفنية، أدى إلى منزلق خطير في المستوى المتداول من اللغة، وهو مستوى عامية الأميين، لغة السفينة، التي تزحف بضعفاتها على الأسنة والأفلام، وتشتت بها حناجر الفئتين، الذين يردون كتابات نوعية، أمية، من مؤلفي الأغاني، الوجدان والتنظيف والتكوين، وتصعدنا ونحس نسمع إليها في الأفلام والمسرحيات والمسلسلات والإعلانات، باعتبارها فتحاً لغوياً يركب المعسر، وهو في حقيقته فتح لأبواب التمدن والهبوط، لا يمر إلا في عصر يفقد نخوة الكبرياء، والشعور الأصيل، بالكرامة، فأدى به الهوان إلى هوان لغته، والندرة والسخرية مما كان، ذات يوم. شامخ رفيعة سامقة في الشعر العربي واللغة العربي والفن العربي، وتنتقل إلى ما حولنا أكثر وأكثر. التسميات الأجنبية تلاحقنا في كل خطوة وفي كل مكان، المحلات، الفنادق، الشركات، المؤسسات، القرى السياحية، أماكن اللهو والمتعة، البرامج في الإذاعات والتلفزيونات، كلها تتردى زياً أجنبية وتحذف تحت اسم أجري، إمعاناً في الرقي والتقدم وجلباً للوجاهة والمسمى الأرفع، والمساءة في تخلفها إحساس بالهوية، والنقص، والحق، وعندها عارمة في التزني يرى الآخرين، لعلنا نصبح منهم، أو شبيهين بهم، أو أقرب ما تكون إلى رغباتهم وتوجهاتهم، ونسبنا أن هؤلاء، الذين نقلهم، عندما يأتون إلى بلادنا، فإن

كتاب الزاوية



٤. حياتي

النشوء والارتقاء

شغفت أياماً نظرية النشوء، والارتقاء لدارون، فقرأت فيها كتب شيلي شميل بالعربية، وبض الكتب الإنجليزية التي تعرض للموضوع عرضاً مبسطاً، وأعددت محاضرتين فيها أقيمتها على طلبة مدرسة القضاء وبعض أساتذتها وبحضور ناظرها وكانت إحدى المحاضرتين في معنى مذهب النشوء وما يرمى إليه، والثانية في تطبيق نظرية النشوء على الأخلاق، كما اتجه إلى ذلك سينسر وغيره، وأحدثت هاتان المحاضرتان دويلاً: كيف يلقى مثل هذا الموضوع على طلبة القضاء الشرعي؟ وكان من نتيجته أن أرسل شيخ الجامع الأزهر إلى ناظر المدرسة يسماله: كيف أباح لمدرس في المدرسة أن يلقى محاضرات في مذهب الزنديق دارون؟ فأهمل الناظر السؤال ولم يرد عليه.

.. وقد أثر في عاطف بركات ناظر المدرسة أثراً كبيراً من ناحية تحكيم العقل في الدين، فقد كنت إلى هذا العهد أحكم المواظف لا العقل، ولا أسمع لنفسي بالجدل العقلي في مثل هذه الموضوعات، فالدين فوق العقل، فإن جاء فيه ما لا يدركه العقل أماناً به، لأن علم الله فوق علمنا، وهو أعلم بما يصلحنا وما يضرنا، وهو يأبى إلا تحكيم العقل والبحث عما لا نفهم حتى نفهم، وكان له غرام بالبحث، وصبر على الجدل، وطول نفس في المناقشة.. كان من أثر هذا الجدل الديني أنني عملت عقلي في تفاصيل الدين وجزئياته، أما جوهر الدين من إيمان الله وجلاله وعظيم قدرته فظل ساكناً في أعماق قلبي لم ينل منه أي جدل ولم يتأثر بأي قراءة، وكل ما في الأمر أنني صرت أكثر تسامحاً مع المخالفين، وأوسع صدراً للمعارضين.



هل هانت علينا
لغتنا الجميلة؟

الوقفة القومية ضرورة،

لا بد إن. وهوان لغتنا الجميلة علينا قد بلغ هذا الحد، من وقفة قومية تقوم بها الدولة، إذا كانت واعية بأن التنمية اللغوية مدخل حقيقي لكل ألوان التنمية الأخرى: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعشرية، ولابد لهذه الوقفة القومية من تشريع، ينص على الاهتمام بعلى اللغة، والمحافظة عليها، والحرص على استخدامها في كل مجالات الدولة، في الوزارات والشركات والمؤسسات والشركات والإدارة المحلية والأجهزة الشعبية، في الوثائق والتعاملات والعلاقة مع الجمهور، في الداخل ومع الدول الأجنبية كما ينص على الارتقاء بها في مجال الفنون المكتسمة، وفي وسائل الإعلام، بإتساع المساحة المخصصة لتسليم بالاعربية الصحيحة، والبعد عن استخدام المستويات المبذلة والهاهنة من العامية.

ولا مفر من أن يكون تعليم هذه اللغة وتعلمها، باعتبارها لغة حية، مسموعة منطوقة، يجيد النشء التعلم النطق بها، والتفكير به، والتكلم بها، والتعبير بها، عودة إلى نظام الهوياتيات في المدارس، يوم كانت حصص الهوياتيات مناسبة لممارسة اللغة الحية الصحيحة في الصحاح المدرسية والتمثيل الخطابية والمناظرة وتشجيع الكتابات الأولى للموهوبين من الطلاب، وحثهم على القراءة الخارجية بالمسابقات والجوائز. ولا مفر من أن يستعيد الإنسان المصري والعربي اعتزازه بنفسه ووطنه وهويته ولغته التي هي وعاء ذلك كله، نافضاً عنه كل ما يعيش فيه ويمارسه من صور الهوان، وما يتقبله من صور القبح والتفكيل وما يستكت عنه

من صور التخلف والتفريب والتراجع. شجاعة العربية، التي نادى بها علماء اللغة الأولون، بحاجة إلى إنسان شجاع، ولا يمكن أن تتحقق إلا على يد قوم يمتلكون القدرة على المفارقة والافتحام والتجديد، يقتحمون العصر ولا يتخلفون عنه، يتحاورون معه ويأخذون ويصيفون يرفعون شعارات العلم والتقدم، واللغة المصرية التي تفتنى بالمعرفة الجديدة، ومخزون المعلوماتية، وثورة الاتصالات، وتوسع مكتزها للجديد التهمر في كل يوم، عندئذ لن يكون حال كل منا كحال المثقبي في بيته المشهور:

غريب الوجه واليد واللسان. ففيرة الوجه ضياع وأمتان في حمام الأجناس والتشويب، وغربة اليد فقدان للطلاقة والقدرة والإمكانية، وغربة اللسان هي هذا الذي لغته في العصر بوطاته وتندعو إلى مواجهته والتصدى له، ونحن نتساءل بصوت مسموع، هل هانت علينا لغتنا الجميلة؟ وأولى بنا أن نقول: هُئ! هُئ! نحن على الفسنا إلى هذا الحد؟ هذا هو السؤال! ■

الهوامش

- (١) الحصاة: الرأى والعقل
- (٢) احتسبت حياتي: ادخرها عند الله.
- (٣) العبادة والعباد بكسر العين وضعها، الأعداء.
- (٤) الأساق: جمع الأسى، وهو الطيب.
- (٥) التهمة: العثرة والغفوة والجمالية
- (٦) المثلث: مكان السقوط والرائل
- (٧) التائب: التائب والإبقاء
- (٨) الحماق: جمع السامع وهو من يخبر بالهوت.
- (٩) اللوثة: عدم الموضوع والإبقاء
- (١٠) لعب الأهاسي سبها
- (١١) الفرات: لغة اللعب
- (١٢) الرموس: جمع رمس وهو القبر
- (١٣) المزار: ما توجب حيايته من وطن ومجس
- (١٤) أي، أي الدين
- (١٥) حلالى بلاش بيباشي وجماليات
- (١٦) أولو: أولو حرم أهل حرم
- (١٧) بوفوفوه بما يمتلكه من الأب والص الأوفويين
- (١٨) مدغويو: ما يحترمه من عقل ونقل (أي) ثرات وتجديد
- (١٩) العجز: الأرض الصعيرة
- (٢٠) سبي: سبي وجاء أولاً
- (٢١) شدة: مسافة
- (٢٢) المصلى: من سحن ثانياً في الترتيب
- (٢٣) البدم: البصة والتضلال
- (٢٤) اكتر كتاب: مع طه حسين لسامى الكيالى (سلسلة الرأى دار الماروف)



SUNFLOWER BOOKS

Dar el Shorouk

"عياد الشمس" سلسلة جديدة يسعد دار الشروق أن تقدمها إلى قارئها الصغير. كتب باللغة الإنجليزية. تحكي من تراث الأدب الإنساني. تزدهر بأشهر الكتاب والرسامين سلسلة طبعت لكي تفتني

■ إلى الإطلاقة، ولو العارفة، على التاريخ الأدبي العربي، يؤكد أن المساهمات الأدبية للمرأة في مختلف الحالات الأدبية تأخرت كثيراً، حيث لم تكن ملحوظة على نحو كاف إلا في الآونة الأخيرة.

لكن هذا الوضع لم يمنع ظهور أصوات نسائية متميزة وإن كانت نادرة وبخاصة في الإبداع الشعري، بقيت متناثرة ومتباعدة في صفحات التاريخ مثل صوت «الخنساء» التي اشتهرت بمرثياتها لأبيها «صخر» كما عرف الأدب العربي من الجوازي والإمام والمحطيات في بلاط الخلفاء ورجال الدولة، مقطوعات شعرية غنائية إلى جانب المطراحات والمناظرات ذات الطبيعة العاطفية الحسية مع غيرهم من شعراء البلاط، ولقد عرفت هذا الأفعال طرقياً إلى الصفات الأدبية مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأنصاري.

ولكن مع بداية القرن العشرين، تغيرت أوضاع المرأة الاجتماعية تدريجياً تحت تأثير عملية الاحتكاك الحضاري الأوروبي وثقافتها، فتولدت الدعوات والأطروحات النظرية التي تحاول محاربة الظروف والملازمات التاريخية المؤثرة بما عليها من تهمة لندول المرأة الاجتماعية واستلاب حريتها، والعمل بالصوت بحق المرأة في التعليم والميل والمساواة بالرجل على المستوى الاجتماعي والسياسي.

وفي هذا الإطار مع التسليم باختلاف السياقات التاريخية لدعوات تحرير المرأة العربية عن مثيلتها الأوروبية، صدرت الصحف والمجلات التي أعطت مساحات لهذه القضايا وما يرتبط بها من تفاصيل، ومن بينها مجلات شعرية وأسبوعية نسائية في اهتمامها وتوجهاتها وفي مادتها الأدبية، مما عمق الصوت وطوره، وكان لها أثرها وتداخلها في الواقع الاجتماعي الفعلي، فظهرت عاتقة التيمورية، شاعرة متميزة، ومن الصفحات والمفكرات كانت ملك حنفي ناصف، وفي زادة وأقتر، اسم، نازك، الملائكة، بحركة التجديد الشعري ومحاولات التمرد والثورة على القالب التقليدي الموروث للنقبة العربية وتقنياته.



ومع بداية الخمسينيات اتسعت الرقعة التي ساهمت فيها المرأة بالإبداع في خريطة الحياة الأدبية وتمتد مجالات المساهمة، لتضيف إلى جانب الكتابة الصحفية والشعر والقصة والدراسات الجامعية، كتابة المرام، فنجد المسرح المصري يشهد بين عامي ١٩٥٠م، ١٩٥٥م أول مسرحيات الكتابة العربية، وهي مرحلة متقدمة سبقتها مشاركة تامة في كل عملية الإنتاج المسرحي من تهيئة وإخراج وتلحين وغما، ورفض وغيرها من مظاهر انخراط الفنانة المصرية في الحياة الثقافية للمرأة المصرية في المجتمع المصري مؤثر عبر مراحل التاريخ

المختلفة، لكن الناظر بعين البحث لهذا الدور سيجد أن هذه الدور سار في خطوات تتراوح بين الصمود والهجوم، بل الفصم الصمود وأدنى الهبوط بحيث كانت مرحلة الكفاح والمثابرة لتحقيق منجزات تعقبها انتكاسات تهدم كل المنجزات، التي ما لبث أن قام جيل آخر لتحقيقها.

الانشايد المسرحي

الخاص (الأهلي)،

إن مجال البحث في المسرح والممثل وفنون المرتبطة بالعمل المسرحي وجانبها النظري، التأليف المسرحي والكتابات النقدية والذاكرات الفنية، تطلعت في جانبها العملي لدرس ما يخص كل عناصر عملية العرض المسرحي وجمالياته وتطورها.

وبالتفصيل تهتم هذه الدراسة بدور المرأة في هذا جميعه ليس بمحزل عن العناصر الأخرى، وخاصة الفنان المسرحي صاحب الإسهام الأول في وجود هذا الفن فن الثقافة المصرية. ولكن التأكيد أن الفنان والفنانة كلا الأساس الذي قامت عليه فنون العرض في الشرق كما وهو امر شاق البحث نظراً لاهتمام الأبحاث والدراسات والتوثيق



اهتمت الأبحاث والدراسات والتوثيق

طوال عقود طويلة بدور الرجال فقط في المسرح، بينما توارى في الظل دور المرأة. وهو دور كان يؤكد الوجود، لأن المسرح فن الحياة، منها يأخذ مادته ومشاعره وعناصر صراعه، فلم يكن من المنطقي إغفال طرف دون الآخر



غالبية

شاميات.. زوجات



سماية حبيب

ففي المرحلة الأولى للمسرح في مصر عندما كان يعقب صنوع يقدم مسرحياته على مسرح حديقة الأزبكية تجده يكتب من عمل الفئات معه في مسرحه وهما (ليرة وماتيلده) بعد أن علمهما نفسهم القدرة والكتابة والتشغيل في أقل من شهر ويقول (كانا تظهرهما على المسرح رنة عظيمة، واستقبلتهما الجمهور بتصفیق شديد، وجياهما حبة حارة مما دعاها إلى مواصلة العمل في هذا أدوار أطول وأهم).



إن هذه العبرة التي يذكرها صنوع جرت عام ١٨٧٠، وفي أصل عمله مع هاتين الممثلتين كما يتضح من حادثة الخلاف مع الخديوي إسماعيل، والتي على إثرها أطلق المسرح وهي حادثة مسرحية (المرسدين) حيث كانت تعارض تبعد الزوجات، كانت عشرين امرأة رجل واحد جعلنا من زوجاً شياً بغيرتهما ومعالجتهما. وهو ما يعني أنه كانت هناك ممثلتان تقومون بعمل التوجيه للنوع الجنس، وفي مسرحية له تحمل اسم (البيت المصرية) تصوير مدى التقليد الأعمى للمعادات الأوروبية من كل قناة مصرية. وله أيضاً مسرحية (الأميرة الإسكندرانية) عن سيدة مصرية متفجرة، فنجد أنها تموت درامية لتتطلب بالضرورة ممثلة مصرية مدربة للقيام بأدوارات أبعاد درامية كهذه الأوار.

وتتقدم خطوة تجاه فريق أخرى لنجد فرقة يوسف الخياط (في فبراير من عام ١٨٧٩ تترك الفرقة وتأتي إلى القاهرة وتحتل الأوبرا رواية الطلوع وخصص دخل هذه الليلة للممثلة الأولى بالفرقة) وعلى الرغم من عدم ذكر أسباب حول هذا التخصص هل كانت سر بطرّف احتجاب إلى المال أم كانت تشترط على الخياط ماذا كبيرا أم غيرها من الأسباب؟ إلا أنها معلومة تدل على محاولة من للممثلة الأولى داخل الفرقة.

وفي الفرقة نفسها نجد في تاريخه متقدم بضع سنوات وبالتحديد في ٢/٧/ ١٨٥٥ تقدم الفرقة مسرحية (شارلن) للممثلين الشيخ سلامة حجازي وقته الله الراوي والمثلة هيلانة بيطار.

وفي فرقة أخرى في فرقة أحمد أبو خليل القباني، نجد معلومة تقول (في أبريل ١٨٩٠ ذهبت الفرقة لتقديم عروضها إلى المنيا بعد أن ضمت إلى أعصالها الممثلين الشقيتين مريم ولبية سامط). واسم مريم سامط سوف يستمر معنا ولادة خمسة وعشرين عاماً، كما سوف تكتب في مذكراتها التي ستؤلف هندها بعد قليل بصفتها أول منكرات أصلية مع الثقافة العربية ككل.

وتصفها المراجع بأنها (من أولى الممثلات اللاتي ظهرن

المراة.. وتأسيس



پورتره «فاطمة رشدي» لوجه زيتية للفنان حلمي التوني من معرض «وجوه جميلة من زمن جميل» ١٩٩٨

المسرح العربي



أجر الممثلات كان يخضع للخبرة والأقدمية في المهنة عامة والفرقة بصورة خاصة، فنجد ملياديين وهي من الممثلات اللاتي يبدأن العمل منذ مطلع القرن العشرين تحصل على أعلى أجر



استمر حتى نهاية العشرينيات على الأقل. إننا نستطيع إلى حديث الفنانة أمينة زرق عن بداياتها في فرقة رمسيس التي بدأت بالفعل عام ١٩١٣ في مارس بالتجديد، تقول: كان أجرى أربعة جنيهات في الشهر وكل أدوار الأولاد في الروايات كانت من نصيبهم.. وأذكر من هذه الروايات الولدان الصريدان وجاكي الصغير والجلياتشو، وتضمن أدوار الرجال أو الصبيان في ذلك الوقت لم يكن بدعة جديدة، فأول ممثلة أدت أدوار الرجال على خشبة المسرح منيرة المهيبة عندما مثلت دور (وليم) في رواية صلاح الدين، وقد أحدث قيامها بهذا الدور ضجة كبيرة في الوسط المسرحي.. ثم جاءت بعدها روزا اليوسف عندما قامت بتضمين دور (ديفيد كوبر فيلد) في رواية الذهب. فنجحت نجاحاً كبيراً، فقتنع بعض من ممثليها من الممثلات على اقتفاء أثرها وبدايات بعضها فاطمة رشدي التي أدت دور الصريدي في رواية الشريدان والتسر الصغير.

إن حديث الرائدات عن تمثيلهن أدوار الرجال موجود في أكثر من مرجع فاضحت فتقول فاطمة رشدي في مذكراتها عن قرارها تمثيل دور (عيس العاصري) حيث اعتبره مجنون ليس بعد أن اختطف الفنان عزيز عيد فخرج الرواية مع بطنها حميد علام صاحب الدوا في الأصل، حول أمة كل منهما إلى أمه الأولاء التي كانت تمثل دور (ليلى العاصري) فاختفت القرار الجريئ التي تقول إنه (لعلها أنسى إذا من سامهه وصعباً أو لا كيف تمثل فتاة) عواشي بدي، ثم زال عنهم عندما تكروا أننى مثلت قبل اليوم هبت والتسر الصغير وروكاملو..) وقامت بميلتي زينب صفدي أماس بدور ليلى.

إن هذه الحقائق التاريخية تضمنت أمام صورة للتسر المصري تتواصل مع بدايات هذا الفن في كل الشغافات تقريباً. أولاً، ثم إسناد أدوار المرأة إلى ممثلين رجال وهو ما حدث من قبل في (المسرح الإفريقي والإيراني والسمر الديني في العصور الوسطى، حيث يتكرر الرجال في أدوار النساء ويتحدثن صوتهن). وهو ما حدث بالفعل في المسرح المصري.

ثانياً، تمثيل الممثلات الأوائل لأدوار الرجال في بداية ظهورهن على خشبة المسرح وهو ما ذكرته المراجع عن منيرة المهيبة وروزا اليوسف وفاطمة رشدي وأمينة زرق وريما غيرهن من سعة من ذاكرة التاريخ. وهذا الأمر يحيلنا إلى تقصيرات متعددة، منها ظروف الإنتاج التي وضعت منيرة المهيبة في مكان فنان رجل وهو سلامة حجازي، ومنها الخوف من مواجهة التقاليد التي عازلت تلك زمزم جيلهن، فهنا رغبة كائنة في إسكات الذات والموجهة الفنية التي خلقتها رغبة تحدي التقاليد وتكرس ما تعارف منها

عندما نتحدث عن الفترة التي بدأت العمل بها في أواخر القرن الثامن عشر تقول: (وكان يشتغل بالتمثيل فيها لذلك العهد جوفان عاملان أولهما تديره جماعة المعارف ورياسها محمود أفندي رقيي والثاني جوق الرجل الجليل المرحوم أبى خليل قبانى، وكان يقوم بأدوار النساء في كلا الحولين شبان من الممثلين لم تظهر شواربهم لعدم إقبال الفتيات على التمثيل وقلة جراتهن على الوقوف على الساحة).

تقدم مريم سمسات سبيني يجب وضعها في الاعتبار لكونها أقدمت على هذا العمل في إطار هذه الظروف التاريخية التي أحكمت فيها التقاليد بعد إقبال الفتيات الصغيرات على التمثيل. إلى جانب قلة جرة الفتيات على مواجهة الآخر ذلك جاعة التي تأخذ شكل الفقه والحديث مع الآخر الذي هو بالضرورة الرجل. فكيف تستطيع الفتيات في ذلك العصر فعل ذلك وهن من أخفين خلف حجاب من الملابس والجلباب أي البيوت ذات الشريبات التي لم يكن يسمح لرجال من الأحرار أو الأقارب أيضاً باختراقها. فما بالنا ونحن نتحدث عن المسرح، حيث الشقاء بين الفسقة وعشتران من الجمهور الذي كان غالباً من الرجال. إن المسرح يبدو في إطار ذلك العصر من الأمور المستعصية.

لنا كل تمثيل الشباب أو الأطفال لأدوار الفتيات وأدباء، أما الممثلات فكان الرجال يقومون بتمثيل أدوارهن أو يتم التماثل بينهما للتشابه. وهذا هو الحال في الموسيقار محمد عبد الوهاب كان أحد هؤلاء الأطفال في تلك الفترة التاريخية فمسرحة الموت الذي لفرقة عبد الرحمن رشدي ١٩١٧، تضمنت دوراً لفاتمة مصرية تدعى دادة فاسند هذا الدور إلى محمد عبد الوهاب وهو بعد لا يزيد على تسع سنوات فكانوا يلبسونه شتاتاً قصيراً إلا أن الألوان وبريقه شعره بالأشرطة الحرورية.

ويبدو أن تبدال الأدوار بين الممثلين والرجال والممثلات الصغيرات في المسرح

أبيض تقاضى أربعة عشر جنيهًا شهريًا، وتقاضى روزا اليوسف اثني عشر جنيهًا مثل زميلاتها اللاتي كن أكبر منها سنًا وغيره، وهن نطقة مزراحى (١٢ جنيهًا) ولطف وأختها إبريز ستاتي، ومريم سمسات (١٠ جنيهات)، وإستر شهاج (٨ جنيهات)، وسليما إبراهيم (١٠ جنيهات)، وزكية إبراهيم (٨ جنيهات) باستثناء واحدة هي ملياديين التي تتقاضى خمسة وعشرين جنيهًا.

من الواضح من هذا أن أجر الممثلات كان يخضع للخبرة والأقدمية في المهنة عامة والفرقة بصورة خاصة، فنجد ملياديين وهي من الممثلات اللاتي يبدأن العمل منذ مطلع القرن العشرين تحصل على أعلى أجر ويذكر أن روزا اليوسف حصلت على أجر مماثل لى من أكبر منها سنًا، ما بعد الأمر سابقة أجر معمول بها في ظلم القرن الثامن عشر. أما عن علاقة هذه الجسور بأجور الممثلين من الرجال، فنجد حسيب يرد من المرجع نفسه أنه كان راتب زكى طليمات ١٢ جنيهًا، وعباس فارس وعبد الوارث عمر وعبد العزيز خليل وأحمد فهم مثله، أي أن هناك تفاوتاً للممثلات المخضمرات أو رجال الفرقة في المرتب على زملائهن.

٢. تبدال الأدوار.

إن دراسة تاريخ التمثيل في المسرح المصري منذ الثلث الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الثلث الأول من القرن التاسع، يقدم لنا ظاهرة جلية بالتوافق والتبعية وذلك لأن الصيادات والانتاسات المصريات لم يقمن بالتمثيل على خشبة المسرح في هذه الحقبة. فقد حل العصر النسائي بعيداً عن المسرح خلال المرحلة الأولى من هذا العصر حيث كان محور الأعمال في المسرح ومطرحاتها الفرار منه، خروجاً عن الدين والأخلاق فكان يعبد بأدوار النساء إلى شبان صغيري السن.

إن مريم سمسات تؤكد هذا صراحة

على المسرح فكانت جميلة رشيقية القوام قوية الصوت سليمة العبارة. اضطلعت بأدوار البطولة في أغلب روايات الشيخ سلامة حجازي، وأدات بدور نسباو أم هملت ومازى تيودور وغيرهما). وقد استمر عملها حتى ساهمت في وجود أول فرقة تقوم على يد ممثل متملم وهو جورج أبيض (ولاً كون أبيض فرقة الأولى كانت في ممثلة الفرقة الأولى وقامت في رواية الافتتاح (أوديب ملكا) بدور الملكة جيوكاست فأدته كاكوى الممثلات في العرب).



إننا إن توفلقنا حتى عام ١٩١٥، نجد أن سلامة الربيل الأول كن كما تذكر المراجع: ١. من أصول غير مصرية غالباً شامية. ٢. من بدايات غير إسلامية. منهن يهوديات ومسيحيات غير مصريات أيضاً ويتضح ذلك من أسمائهن. ٣. عدد الممثلات المصريات بالفعل لم يكن كبيراً، بل كان عدداً محدوداً في أسماء بعضها كن يتقارب بين الفرق، لعدم وجود غيرها.

من الواضح أن الممثلات الأوائل كن يودين أدواراً محددة، أي لم تكن الموهبة أو الدراسة غير المتوفرة تؤهلن لتنوع وتعدد الأدوار، فنجدن في ذلك في المراجع بنوعية معينة من الأدوار فحتى عام ١٩١٥ نجد الممثلات الشهير نادوا محددة: ١. ملياديين: إجازة الإفراج والتسر. ٢. لبيبة مانيكس: أدوار الدراما والتراجيدي.

٣. مريم سمسات: أدوار الملكات. ٤. هيلانة سمسات: الأدوار البسيطة الساذجة. ٥. لطيفة: أدوار المزاحات. ٦. وردة هيلان: أدوار العجائز. أما عن الوضع الاقتصادي فنجد روايت الممثلين تتراوح بين (١٥٠) قرشاً و (٧٥٠) قرشاً في الشهر في حين نجد ممثل الممثلات تتراوح بين (٣٥٠) قرشاً و (٤٠٠) قرشاً.

أي أن العائد الاقتصادي للنساء الفئات يزيد كثيراً عن الرجال ولم يوضع المرجع أسباب هذا التفاوت الكبير. هل يعود هذا إلى قدرة العصر النسائي مع أهمية ذلك في عملية الإنتاج المسرحي ككل، أم يعود ذلك إلى مراعاة تكلمة تحضير نفسها للور، فهل كانت الممثلات يقمن بإنتاج ملابس أداورهن أم هناك أسباب أخرى؟ ولجدي في أحد المراجع معلومات عن أن الممثلات والممثلين في فرقة جورج أبيض حتى عام ١٩١٧، قد قلص لنا ميزاناً من الأضواء حول الوضع الاقتصادي لفنانة المسرح (ولاً التحق عزيز عيد بفرقة جورج



وتجد يوسف وهبي يورد في مذكراته تحت اسم لوحة الشرف للمؤسس فرقة رمسيس أسماء الممثلات، (روزا اليوسف، سونيا إبراهيم، إحسان كامل، زينب صدقي، فاطمة رشدي، نعمات كمال، فردوس حسن).



إن الباحثة في إطار هذا الاستعراض التاريخي لابد أن تتوقف أمام حقائق عدة، أولاً، أهم هذه الحقائق أن هذه الفرق الخاصة بصاحباتها أو المشاركة في تأسيسها اعتمدت بصورة أساسية على الرجل مخبراً ومديرًا ومترجمًا وممثلًا.

- ثانياً، إن شريكه الفنانة الأولى كان زوجها وهو فكان بالضرورة
- منيرة الهدي، زوجها محمود جبر، مدير الفرقة
- فاطمة رشدي، زوجها عزيز عيد، مدير ومخرج الفرقة
- فكتوريا موسى، زوجها عبد الله عكاشة، شريك الفرقة
- عليّة فوزي، زوجها زكي عكاشة، صاحب فرقة عكاشة
- دولت أبيش، زوجها جورج أبيش، صاحب فرقة
- روزاليوسف، زوجها محمد عبد القدوس، ثم ركي طليحات
- بدوية مصباحي، زوجها نجيب الريحاني، صاحب الفرقة
- عقيلة زكي، زوجها حامد مرسى، مطرب فرقة الكمار معها
- علوية جميل، زوجها محمود المليجي

الممثل

• تحية كاريوكا، زوجها هاينز حلاوة، شريك الفرقة

ثالثاً، حدث تطور في وضع المرأة، فلم تعد ممثلة أو مطربة، بل بدأت محاولات تأليف قامت بها دولت أبيش أو إخراج قامت بها فاطمة رشدي كما قدمنا، وهي محاولات لم يكتب لها الاستمرار في هذا الجيل وإن كان جيل تالي في مطلع الخمسينيات قام بالتأليف والإخراج وتواصل مع أجيال أخرى حتى وقتنا هذا وهو ما سيأتي ذكره.

رابعاً: إن الكساد الاقتصادي في النصف الأول من الثلاثينيات أثر في وجود كثير من هذه الفرق، فتفككت منها فرقة فاطمة رشدي التي تقول عن توقف فرقها عام ١٩٣٣م:

(أثفت فرقة صيرة لا تفرقني لنفاتيها أقدم بها لوئاً خفيفاً وجديداً في نفسي المسرحي وبدأت في نهاية عام ١٩٣٣م عرضي جديداً... ولكنني لم أستطع مقاومة الكساد فتوقفت أنا الأخرى مرغمة.)^٣

إن توقفنا حتى عام ١٩١٥،

نجد أن ممثلات الرعيل الأول كن:

١. من أصول غير مصرية غالباً شامية.

٢. من ديانة غير إسلامية، منهن يهوديات

ومسيحيات غير مصريات أيضاً

ويتضح ذلك من أسمائهن



عكاشة وتوجيه فيكتوريا موسى في شركة الترفيه العربي كونا فرقة مسرحية تحمل اسم فرقة فيكتوريا موسى في أغسطس عام ١٩١٦م على مسرح (المانستيك).

ج. فرقة فاطمة رشدي، حيث استمت الفرقة مع استاذها زوجها عزيز عيد بعد انضمامهما مع فرقة رمسيس، ولقما بإنتاج مسرحيات مصممة دخلت في منافسة طويلة مع فرقة رمسيس وظلت الفرقة تعمل طيلة ثمانية مواسم حتى عام ١٩٣٣م. وكان من أهم الأحداث بها قيام فاطمة رشدي بإخراج مسرحية (أنا كاريوكا) بإشرافه من عزيز عيد وتعلق فاطمة على هذا العمل (وقد علمتني التجربة أن الإخراج عمل شاق يحتاج إلى جهد الرجل الآن).

د. فرقة تحية كاريوكا، وهي فرقة عملت في الستينيات والسبعينيات من هذا القرن، وبعد فرقة معاصرة قدمت مسرحيات ذات اتجاه سياسي، بدأت بمسرحيات (ياسمين ولدي) و١٩٧١م وانتهت في مطلع الخمسينيات بمسرحية (شكليات) ١٩٨٢م. ه. أسهمت فنانة بالتمثيل أو الغناء في أكثر من فرقة فانات في الفترة الزمنية نفسها ثم عليّة فوزي وعزيزة أمير ودولت أبيش في فرقة الرعيل الأول، فيكتوريا موسى، وبدوية مصباحي والرحماني أحمد في فرقة الريحاني وأمين صدقي التي تأسست عام ١٩١٥م. وفي فرقة علي الكسار كانت البطولات النسائية لفنانة رتيبة رشدي (شقيقة فاطمة رشدي) وبعد انفصال رتيبة عن الفرقة أسست الفرقة الخاصة للفنانة عليّة فوزي التي لم تستمر بالفرقة سوى عام واحد، ثم حلت محلها الفنانة عقيلة زكي.

وحتى ممسى (أحداث الفنانين) تأسست في عام ١٩١٣م فرقة تعمل بنظام الممثلات الأرباب ومن أعضائها نغرا أسماء الممثلات دولت أبيش وزينب صدقي وعلوية جميل وفردوس محمد، ومن وجد مسرحية قام الممثلون وهم وصفي بيطولتها وإخراجها باسم (دولت) من تأليف ويطولت دولت أبيش، وهي خطوة كبيرة في حينها.

رمسيس منظور إليه نظرة مهانة لا تتفق مع كرامة الفن والفنانين به، فلم تكن ترضى أسرة كريمة أن يكون واحداً من أفرادها أو واحدة من بناتها ممن يقفون على خشية المسرح وإمام انظار الجمهور. فلما اتقسم يوسف وهبي وهو ابن لملك الأسرة الكريمة العريقة ذلك الميدان كسب المسرح المصري شيئاً من الكرامة وهسي التقدير. إن هذا التقدير الذي تتحدث عنه الفنانة الراحدة كان بلا شك دافعاً على الاستمرار والطاء، كما كانت تلهيها دائماً للتصوير والحظر والمغنى من قبل، مما سيجعل الفنانة الأولى يتفهم خطوة نحو تثبيت دعائم فنهن عندما يقمن بتأسيس فرق مسرحية كاملة تحمل أسمائهن، أو يكس ححر زاوية في بناء هذه راسخة مثل فرقة رمسيس كما سئري.

٣. صاحبات فرق مسرحية:

عندما ولقت الباحثة على مرحلة لاحقة لتطور المرأة في المسرح في مصر وجدت تقدماً كبيراً بعد لحرق عهد الدورى حيث عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين، حيث أكثر كن من فنانة فرقة مسرحية تحمل أسماءهن، تنتج وتمثل فيها مع مجموعة من زملائها، وما سبب ذلك لهن من مشكلات فنية وفصلية بل وفي اجتماعية أثرت على المسرح وعلى حياتهن الشخصية.

أ. صاحبات الفرق: تأتي أولاه منيرة الهدي التي أسست عام ١٩١٧م فرقة خاصة بها ثم حلها في مطلع العشرينيات، ثم تكون فرقة أخرى من ١٩٢٥م وحتى ١٩٣٣م قدمت طوال هذه الفترة الأوبرا والأوبريت، وهذا يعود لكونها مطربة صاحبة صوت جميل. ولم تكن الهدي صاحبة لقب أول ممثلة فقط، بل وأول صاحبة فرقة أيضاً.

ب. فرقة فيكتوريا موسى، وهي ممثلة وزوجة عبد الله عكاشة صاحب فرقة أولاد عكاشة مع الشاذل، وقدمت عدد كبيراً من المسرحيات التراجيدية التي تتفق مع ميولها كممثلة فقط (بعد انفصال عبد الله

على منع المرأة من كثير من المهن والأعمال الفنية خاصة.

ثالثاً، دعونا هذه الحقائق إلى النظر في أمر التطور الآخر من العملية المسرحية وهو الجمهور، إن شقين صبيبة لأنوار صربيا وتمثيل فتيات لأنوار رجال في مسرحيات أمر استمر سنوات ليست قليلة، فكيف كان قبول هذا الجمهور له؟

نستطيع أن نجيب عن خلال استمرار هذا الوضع طوال سنوات قبول الجمهور ولا توقفت الفرق والممثلات عن العمل. فهل يرجع هذا إلى فهم الجمهور لما يشوب مسرحه من قصور نتيجة ظروف اجتماعية حكمت عصره، أم أن هذا الجمهور كان من الوعي، بحيث قبل الوهم المسرحي في داخله، النعية المسرحية بكل شروطها ولم يحاول أن يقلل من معتقه الفنية التي كان يبحث عنها.



يقول جرجي زيدان عن جمهور الفرق المسرحية في مطلع هذا القرن، (اضطر اصحاب هذه الفرق إلى تمثيل الروايات التي تلفت انتباه العامة وتسترسى أسماهم، فوجدوا الجمهور يميل على الخصوص إلى الصوت الطرب والكتك المحسنة، فوجهوا عنايتهم إلى التقاء أطرب اللشدين وتمثيل الروايات المضحكة، ثم أخذت هذه الفرق ترتقى تدريجياً بارتقاء أدواق المشاهدين).

ولم يكن الجمهور من الرجال فقط، بل كان من النساء أيضاً خاصة جمهور فرقة الشيخ سلامة حجازي الذي من الواضح أن حب سماع صوته كان له التكرير على المسرح في مصر. فقد ارتداء الرجال والسيدات من جميع الطبقات (أو السيدات فكن محبات ويضاغنن التمثيل من مقصورات خاصة مغلفة باستار تحجبهن عن أعين الطارء، وقد لفت ذلك طبقة السيدات اللاتي يضاغنن محبوبة جداً).

وفي مرحلة تالية سوف يتم العناية اللازمة بأماكن السيدات المتفرجات على المسرح، وعن تنظيمهم مع الفرق عنيات صاحب فرقة دار التمثيل العربي بحديقة الأزبكية ١٩١٧م. يقال إنه (ألق بسبخاء في تنظيم وإعداد مسرحه وخمس الدور الثاني من المقصورات للسيدات وجعل الدخول إليه من باب خاص يسلم خاص).

إننا عندما نلحظ أن عدد جمهور من الرجال والسيدات يغم محدودي، إلا أنه جرت العناية والاهتمام بوجوده في المسرح، وبالتالي مراعاة ذوقه ويوجد من يمثلته من الممثلات وهو التطور الذي سيجد ترحيباً اجتماعياً.

تقول أمينة رزق: (لعلني لا أبالغ إذا قلت أن التمثيل كان إلى ما قبل ظهور فرقة

انتقل حنين إلى بغداد حوالي (٨١١هـ/٨٣١م) على الأرجح، وكان عصره حينئذ سبعة عشر عاماً تقريباً حيث بدأ نشاطه العلمي بترجمة كتاب طبى لجالينوس في التشريح، لكبير الأطباء في بلاد الخليفة المأمون (جبرائيل بن بختيشوع) متوفى (٨١٤هـ/٨٢٩م) الذى أتى عليه ووضعه تحت رعايته. كما أقر له بالفضل ولعرفه استأذنه القديم (يوحنا بن ماسويه) بعد ما أطلع على شيء من ترجمته فأعجب ببقيتها وفصاحتها، فقتلوا الأمير بينهما إلى صداقة واحترام متبادل تابع بعدها حنين دراسته الطبية بأشرفه.



وكانت تلك المرحلة بمثابة الإعداد للمستقبل إذ قرّبه (جبرائيل بن بختيشوع) من الطبعة الميامين التي كان مهتماً بنقل الكتب من طب وفلسفة ومنطق لأرسطو وغيره من الحكماء اليونانيين إلى العربية وذلك في بيت الحكمة، وهو مؤسسة لترجمة وأكاديمية للتعليم ومركز لجمع الكتب، وعلى أثر ما تبين من لصاحبة ومقدرة حنين ونبوغ شهرته على صغر سنه، فقد انتدبه كثير من أهل العلم وذوى اليسار والجاه في بغداد للترجمة ونقل الكتب ومنهم بنو موسى بن شاكر، وهم، محمد وأحمد والحسن، هؤلاء العلماء الإخوة الثلاثة كانوا يرفعون النشاط العلمى ويهتمون بجلب المخطوطات اليونانية والأشرفاء على ترجمتها.

وإلاضافة إلى ترجمة كتب الإصراف وجالينوس وغيرها من الكتب الطبية واللمعية والتاريخية، كان «حنين» يقوم بتصحيح وتحسين بعض النصوص التى يترجمها غيره، والتعليق على بعض الكتب بالغة الفصحى حينئذ، حينما مع مخالطة ينصصوا أخرى لتوثيقها، كما يروى (إبن أبى أصيبعة) أنه شاهد بعض هذه الكتب بخط (الأزرق) كاتب «حنين»، وعليها تعليقات كتبه «حنين» بخطه باليونانية وعليها كتبه المأمون.

تولى الطبعة المتوكل الحكيم سنة (٨٢٢م/٨٤٧هـ) وكان حنين في تلك الفترة (٢٣) عاماً وهو يزداد وعظايمه نظره بالنقل والتفسير حتى صار يشيهاً لعلم ومعدلاً للفضائل، فلما انتشر ذكره بين الأطباء اتصل به جماعة بالخليفة المتوكل الذى أكرمه وجعله طبيبه الخاص، إلا أنه آزاد استعانه لكثرة شكايات الحساد ومضايقاته به وحتى يتأكد من عدم وجود مؤامرة يديرها له ملك الروم عن طريق طلب من أن يصف له سما لقتل أعدائه مقابل خمسين ألف درهم، فرفض «حنين» فسجنه الخليفة في إحدى القلاع وولك به من يرفع خبره إليه وقتاً بعد وقت، فمكث سنة في حبسه ذابته النمل والتفسير والتصنيف وهو غير مكترث بما هو فيه حتى تبين للخليفة



فى ميدان التقاء الثقافات حنين بن إسحق

محمد فؤاد الزكوى

الجنديسابورى الأصل وكان من أطفاه البلاط العباسى والمهيمن على التعليم الطبى فى ذلك العهد، حينما يعامل تعليمه (حنين) بجشاعة وبغسرة، لأن أطباء (جنديسابور) كانوا يتوارثون احترام الطب ويتسمون بعدم ميلهم إلى تعليم مهنة الطب إلى الغريباء وينحرون عن أهل الحيرة (المنصرين) لأعمال التجارة والصيرفة، كما كان «حنين» يتصف بأنه صاحب سؤال ودائم الاستفسار عما رما بالكتب الإسلامية، ليجوزاً فى المحاضرة، ويحدث أن أوفر صدر استأذنه يوحنا، بسؤال صعب حول كتاب طبى يونانى فأنصف بطرده بنوعه غضباً قاتلاً: «ما لأهل الحيرة تعلم صناعة الطب».

بعد هذه الصدمة المبكرة هجر «حنين» مجلس يوحنا، الطبي وأختار الرحيل إلى بلاد الروم لدراسة اليونانية ومكث هناك مدة لا يمكن تحديدها، كما أن الأماكن التي قصدها والمدارس التي درس فيها غير معروفة. دامت هذه الرحلات فى طلب العلم مدة ست سنوات زار «حنين» خلالها بلداناً عديدة مثل الشام والإسكندرية وبلاد الروم وفرنسا فأتاحت له اكتساب ثقافة زائدة زارها عن الكتب على دراسة الطب وجمع الكتب القديمة وبذلك أصبح يجيد اللغة العربية واليونانية والفارسية واسرائيلية لغته الأصلية.

اتخذوا (يا آل عباد الله) شعاراً لهم عندما حاربهم سابور الأكبر، وقيل أيضاً فى تعليل هذا الاسم أنه وقد على كسرى خمسة منهم، وكانت أسماؤهم تتردد بكلمة عبد وهم: عبد المسيح، وعبد لا تيل وعبد يسوع وهب الله، وعبد عمرو، فقال كسرى: أنتم عباد كلهم. فسموا العباد، والمقصود بالعباد هم عرب الحيرة النصرانية الذين كانوا يعبدون الله فى كنائسهم، وقد سكن البوهر الحيرة وبقوا بها حتى الفتح الإسلامى، بالإضافة إلى النبط والعرب، وأهل نجم الحيرة، بعد بناء الكوفة على بعد ٥ كم منها سنة (١٧هـ). كان «باسحق» والد «حنين»، صيدلاً، ومفهوم الصيدلة يعد ذلك صناعة العقاقير بتركيبها من الحشائش والنباتات ويبيعها بطريقة تستوجب الحكمة والدراية بأمر الطب، وفيها شيء من التجارة بالنقد واستبداله.

فأما «حنين» مولعاً بصناعة الطب كأيده، كما أن ميادى العلم الأولى تلقاها فى مسقط رأسه، فأصبح متمكناً من السريانية لغة كنيسته، حتى أنه لى الزنار فكان يقيم الأهلون ثم توجه بعد الطب فانتسب إلى الأكاديمية الطبية المشهورة فى «جنديسابور» وفى بيت لافاز، قاعدة إقليم الأهلون، ثم توجه بعد ذلك إلى بغداد فخرم مجلس الطبيب (يوحنا بن ماسويه) (١١٦هـ/٧٢٤م).

وقب الرجل وقد بدأ عليه التعب والإرهاق يحضره الخليفة العباسى المتوكل، وبعد حوار طويل ومتعصب، أرفف الجميع أسماهم بانتظار قرار المتوكل، كانت كلمات قليلة صادرة كافية بأن تنفذ حكم الإعدام وتزحف روح رجل وصفه المستشرق (لوسيان لوكارت) بأنه: (أقوى شخصية أنجبها القرن التاسع الميلادى، بل من أشد رجال التاريخ ذكاء وأحسنهم خلقاً، فخلقاً أبحاثه الشاسع الأطراف واختلاف أنواعها واستيائها وأهميتها، والحنن التي تحملها بشجاعة وثيل فى بدء حياته العملية وفى اشتغالها، مما يبعث الاهتمام ويحبذ القلوب إليه وهو وإن لم يكن باحث النقص فى الشرق إلا أن أحداً لم يشارك فى تلك النهضة مشاركة فعالة وراسخة ومثمرة كما فعل). ولكن الحكم الملتزم لم يصبر وعاش الرجل ليروى لنا حكاية لا تنكر.



ولد حنين بن إسحق العبادى (١١٤هـ/٧٣٢م) من أسرة عربية نصرانية، وجمع أغلبية المصادر على أنه ولد ونشأ فى الحيرة وتقع على الشاطئ الغربى لنهر الفرات مما أهلها أن تكون ميناء مهما ترسو فيه السفن العابرة من الشرق إلى الخليج، ويقدر بعض المؤرخين أن إمارة الحيرة نشأت ضمن الفتح الفارسى فيما بين عام ١٦٥ وعام ٢١٢، وذلك مع قيام الدولة الساسانية فى إيران، وتنتصف بأنها رقيقة الهواء عذبة الماء صافية الجوار أرفع مكانها من صفق أرياف العراق وانخفض عن ارتفاع ما جاورها من صحراء، واتصلت بالمزارع والجنان والمتاجر العظام وكانت على حافة العراق وحافة البادية، وكان فيها من ميناء العرب الجاهليين قصور عظيمة منها قصر الخورق.

اختلف العلماء فى معنى اسم الحيرة، فقول أنها سميت الحيرة لأن تبعاً الأكبر من ملوك البلى وتسمب إليه كثير من (التوحات) إلا الأقل بحيوشه فبلغ موضع الحيرة ضل دليلاً وتجرى شمس (الحيرة) ويرى بعضهم أنها من أصل أراضى بينى المسكر والحصن، بينما ذهب طائفة إلى أنها من (الحسين) مأخوذة من كلمة (حبرانا) السريانية التى أطلقت على الأصل على معسكر عرب فارس المنقل والحيرة الأرامية والحير العربى من أصل سامى واحد، إذ أن المضرب والمسكر والحمى الواحدة يدل أصلها على معنى واحد. انقسم عرب الحيرة فى أوائل القرن الثالث الميلادى إلى ثلاثة أصناف: تنوع ويولزون غريبى الفرات بين الحيرة والأبارهم وأصحاب الظلال بيوت الشعر والوبر، والأخلاف وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة وتزاول فيها العاجم من أهل سكتوى الحيرة واتبعوا فيها الماسكن والأفدرة وعرفوا بذلك لأنهم كانوا يعبدون الله أو لأنهم

مدى إخلاصه لعمله ومهنته، فأمر بإحضاره وطلب تفسيراً لقرضه فأجاب: (يحيان هما الدين والصناعة، فالدين يامر بفعل الخير والجميل، والصناعة تمنع من الإضرار بالناس، لأنها موضوعة لفهمهم ومقصورة على مصالحهم...) فاستحسن الخليفة جوابه وأطلق سراحه، وبدأت طائفة حنين يوسفه طبيباً لمثلوك، متراشقة مع شهرته كترجم من الذين فقدوا انتباه المتوكل للإشراف على الترجمات وبلغ قمة مجده كطبيب ومترجم، وكان مدرسة منتظمة في الترجمة والنقل إلى العربية ولكن الشهرة التي حققها والإكرام الذي لقاه أثار نموس حاسديه ومنافسيه وأكثرهم من الأطباء، ويصدر حنين، الممن التي لاقاهم من الأضطهاد والأهوال التي نالها من خصوصه وذلك في رسالة طويلة بعنوان (فيما أصابه من الضيق والتشاند من الذين ناصبوه العداوة من شرار أطباء زمانه المشهورين...).

كشف فيها عن الأساليب الملتوية والوشايات الكاذبة التي لفتها خصومه، ومن جملة ما شكاه منهم مصعبهم القديم وعداؤه له لأنه لم يحضر في الطب وتفق عليهم ونقل إليها علوماً وعرفاً ولا يهتمون ولا يهتمون إليها ولا يعرفون شيئاً منها في عبارة واضحة فصيحة، فأخذوا بالاشتباع ضده بأنه مجرد ذئب ومترجم للكتب يأخذ أجره (كما يأخذ الصمصاغ الأجر على صناعاتهم) وكان في طبخه أعدائه ومنقديه الطغيان (ابن زكريا الطيغوسي) وبخشيته على جبرائيل حتى أصابته من جرائم محن وضائل كثيرة، وتعرض للسجن من ثانية في قصة أحد أيقونة مسيحية ثم أخرج بريئاً وأكرم، وهي تلقى بعض الضوء على تفكير حنين الديني واتجاهه الرافض لتقديس الصور، وهي الرافح أن هناك شيئاً من العلاقة بين حنين وحركة تحرير الصور اليونانية (Iconoclasm) التي تمزج برحمتين، الأولى من ١٢٦٦ إلى ٧٨٠ وانتهت رسمياً بانقراض الجمع الملكي الماروني، أما الثانية فهاضت من ١٨١٢ إلى ١٨٤٢، وحنين نفسه صدمه المرحلة التي نشأت أول عصرها في الأغالييم الشرقية من الإمبراطورية البيزنطية. وفي مكتبة أخرى تعرض لمرارة مصادرة أملاكه وكتبه حتى ظهرت براعته وأعيد إليه اعتباره.

لم يحسن بنشاطه العلمي الواسع دوراً في حركة التبادلات الثقافية التي حدثت في بغداد في القرن التاسع الميلادي وهيأت ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في القرن الثاني من الظاهر الثقافية في شخصيته حنين تديان فيما يلي:

١. تجميع الفقه والثقافات، حيث التفت ثلاث ثقافات في شخصه: ١. الثقافة العربية، بعد إلتحاقه باليونانية فقد رجعا إلى البصرة وكانت في ذلك الوقت أكبر معهد لعلوم اللغة

العربية وملتقى الفقهية، فأتقن لغة الضاد بالاعتماد على كتب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، واكتسب من علماء البصرة العلوم السحرية والأدبية، فمن الناحية اليونانية كان حنين واثق الثقافة العربية الإسلامية. ب. الثقافة السريانية: كان للغة السريانية مقام واضح في الحضارة العربية، ذلك أن السريان الأوائل قد نقلوا الفكر الإغريقي إلى لغتهم السريانية ومن ثم إلى العربية، فكانت لغتهم السريانية مصدراً من مصادر المعرفة التي تزود بها المسلمون وعرفوا من خلال هذه اللغة فلاسفة الإغريق، ومن أوائل المترجمين السريان (إبياس الرازي) توفي ١٢٥٧هـ وسرجيوس الراس عيني) وله الفضل في تعريف السريان على مؤلفات أرسطو بترجمته وشرحها، واشتهر بعد ظهور الإسلام (يعقوب الرازي) توفي سنة ١٤٠٠هـ/ ٧٠٨م، وتوفيل بن توما الرازي) ١٦٩هـ/ ٧٨٥م. ومن أسباب قيام حركة الترجمة والتفتل لدى السريان هو الدافع الديني، فقد كانت كثير من المؤلفات الدينية النصرانية مكتوبة أصلاً باليونانية ومنها الأناجيل لأنها كانت لغة المعلمين والحكام أيام الدولة اليونانية، فدفع هذا لفسار الشرق وخاصة الساسطرة التي نقلها إلى لغتهم السريانية. لقد تلقى حنين، المعارف المسيحية في أحد الأبرشية العبدية الموجودة في الحيرة، فمن الناحية الدينية كان واثقاً للثقافة السريانية المسيحية.

ج. الثقافة اليونانية: إن إقامته في بلاد فيها مدارس ذات ثقافة عالية، وانصرافه للعلم والفتنة جنتهما على يد أمهر الأساتذة في ذلك العصر، قبضاً لحنين أن يتقن اللغة اليونانية ويصيب من الفكر الهلنستي فسقطاً وبقراً ويمررس على الترجمة ويتقوى في الطب، فكتسب ثروة فكرية داخراً ونهجاً علمياً يحكمها وقد كانت في غاية الأهمية يومئذ، في مفاهيم الثقافة وقليلون كانوا يتمكنون زمانها لاسيما من العرب.

لعب «حنين» بنشاطه العلمي الواسع دوراً في حركة التبادلات الثقافية التي حدثت في بغداد في القرن التاسع الميلادي وهيأت ازدهار الحضارة العربية الإسلامية في القرن الثاني

لقد تمكن حنين من أسلوب نقدي صحيح بالترجمة وأصبح خبيراً بفخايا الحضارة الهلنستية التي هي عصارة جهد ونشوق وغروب والقيام مستعدة بعبارتها ولغتها وثرائها، منها اليونانية واللاتينية والسريانية والحبشية والقبطية والفارسية، ومنها ما يعود إلى جذور أعرق حضارات حوض البحر المتوسط، الحضارات السامية القديمة وغيرها، فمن الناحية العلمية كان حنين واثق الثقافة اليونانية اللاتينية. إن اختلاط الثقافات الثلاث في شخصيته أدى إلى تكوين ثقافة جديدة شديدة جداً هي طبقة خاصة تميزها عن الثقافات السابقة.

١. تمت حنين بجميع فنون المعرفة البشرية في زمانه، فلم يكتف بجمع فروع الطب وخصوصاً طب العيون وعلم الأغذية وعلم الطب وأطب الأسنان بل اعتنى أيضاً بأعلوم أخرى كثيرة، منها الطببيات والرياضيات، التنجيم وتعبير الرؤيا، الفلسفة والتاريخ، النحو واللغة، ففي جميع هذه العلوم ترجم حنين أو ألف كتاباً مستعدة تدل على سعة معرفته وتبريز عباقرة فيها وتثير إعجابنا حتى وقتنا الحاضر.

٢. قيامه بترجمة عدد وفير من الكتب العلمية من اليونانية إلى السريانية وإلى العربية، فسمح بترجمته وانتقال جزء كبير من العلم اليوناني القديم، أولاً إلى الشرق العربي الإسلامي في القرن التاسع ثم إلى الغرب الإسلامي المبكر في القرن الثاني عشر الميلادي عندما ترجم بعض كتبه إلى اللاتينية.

فقد نرى أن أعين حنين في (اسحق) في تجربة حياته، وهو واقف على طول مساعيه تحت الشمس يتحدث بصوت مسموع على أرض بكر لم يمسسه أحد بالوصول إليها، فكان أول الفاتحين جدارية الحاضرة العقلية العلمية في أهم توابل المعرفة إلى الأملال... في رحلته المتواصلة في اكتشاف المعرفة بأنواعها وبالوغل إلى قبايتها، كان حنين ساعياً لتحقيق الحلم في نفسه وفي الآخرين، ولكنني حاولت أن أكون رقيقاً وشاهداً في اكتشاف الحاضر ومواصلة كل تجلياته

وتقاطعاته وانتصاراته والكناسات منذ أن حملته أقدامه الصغيرة من مدينته الحيرة إلى بغداد مدينة الحلم النهم.



في صبيحة صيف عام (٢٦٠هـ، ٨٧٣) وجدته (ام إسحاق) لا يزال على مقعده المفضل داخل غرفة بعد أن رفض الاستلقاء على حشية الفراش، كان ينام بشكل متقطع لساعة أو أكثر، يستيقظ بعدها ليناديها بصوت خافت، اقتربت منه لتعديل رأسه المتمايل، حدثت فيه وهو لا يزال في وضعية التي رقد فيها، فأتت شفتها.

كان مستسلياً للنوم، كاستسلامه للواقع الذي اضمحس حياته يحاوره ويادرو، يبيت عن ذاته في تحد بالنسب وتساؤله، ألم يكن من الأفضل أن يضع رأسه على الوسادة... لم تعرف تماماً نوع الألفة التي تربطها به، ألم تكن زوجها فحسب، بل ممثلة بكل أشكال الحياة التي تتقافض فيها العنايات النورية وهي تعلقته بحرارة، حبها الباكسة ضاحكا، ألم أخبرك عن الموت؟ إنها الطريقة الوحيدة لتطبيع التفكير بأن المصداق غير مناسب... انشغلت بتربيت الأبناء المبعثرة على الأرض، ثم التفت إليه، كان رأسه يتدلى على صدره ثم يميل على كتفيه، فسرت بأصداء الحيرة ليعايات والإعجابات في دهاليز الروح المظلمة... أحست بثقل الوقت، الساعة أصبحت الجيد، والخطوات ترتميه خاملة الصدى الكتيب ودون أن تنفخ شفاها ليقول بصدته الواهن: أين أنت؟ كاتدته... كان يحسن متصفا بمهمته، لكن روحه قد هارقت هذه المرة وحلقت بعيداً في الفضاءات البعيدة، أين هذا انهار الجسد الذي ظل يترنح كقصبة خائرة في كف الريح. شرعت بنداء خفى من أقاصى السماوات التي حلفت فوق بالجاهها، فهي ستيقي عاقلة في كون الفصحى وسدفين الجسد التعب في جوف الشرى بعد أن خلفت نظرتي الأخيرة على مياه دجلة والفرات وسوق الحيرة ليحسنا في بيت الحكمة وتلال المخطوطات والمعارف المتوعدة المزروعة داخل تلافيف دماغه، يشكك كل الفظة والجملة والجملة والجملة، كل ما كان يكرهه، كل ما يتابعه سيفتحها معه في بقعة من التراب ليقول آخر سفر من أسفاره. ■

المصادر

- (١) مهرجان إدرام وحنين مطبوع معجم لغة السريانية. ١٩٧٤.
- (٢) حنين من إسحق في حمل أسعد والثقة واستملاها. تحقيق أسعد مع فؤاد الذكري. دار القلم العربي. حلب. ١٩٩٦.
- (٣) حنين بن إسحاق دراسة تاريخية ولغوية أحمد الديان. مطبوع في المكتب المذكور. الرابطة الرياض. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣.

أحمد كمال أبو الجعد

إلى إحدى نتيجتين مفجعتين، إما أن تصبح مهلهلة ومترهلة وغير فعالة ولا أمل لها في المشاركة، أو أن تصبح متشددة، وقد تهجر اليوم من الأيام القنوات التي ثبت عدم جدواها إلى قنوات أخرى غير مشروعة ولا يخلو استخدامها من المخاطر.



لذلك فإننا حين نتكلم عن الإصلاح، لابد أن نعمل ثلاثة أشياء. من هذه الأشياء إصلاح النظام الانتخابي نفسه، أي أن نجعله نيابياً بقدر الإمكان، وأن كنت لا أظن أن هذه هي أول النقاط المهمة. ففي الولايات المتحدة حزبان سياسيان، ربما لا يكون الفرق بينهما كبيراً. ولكن جوهر اللعبة الديمقراطية هو التوازن. فهناك حزب ما ينتقد وحزب آخر في السلطة. وهذه الثنائية الخاصة بالحاسبة والوجود في موقع السلطة تخلق الاستقرار، وتوجد رادعاً ما، وتحقق الشفافية التي هي ضمان للجميع. ولكنك حين تضعف الأحزاب الأخرى، فإنه ينتهي بك الحال وقد خلقت احتكارات للسلطة السياسية. وأخطر ما يمكن أن يحدث لدولة من الدول هو احتكار مراكز السلطة السياسية بالقدر الذي يقضي على دور الأغلبية الحقيقية للضعف ويؤدي إلى استبدادها. ولذلك فلا بد لنا من تغيير أو إصلاح نظامنا الانتخابي، مع أنه ليس شديد السوء. بل ليس سيئاً. ولكن الأمر الأكثر

السياسي، فهو أنتي التحدث دائماً عن مثلث الديمقراطية. والمثلث يتكون من ثلاثة مكونات أساسية. أول هذه المكونات هو المشاركة الفعالة والحرص من خلال التصويت والعملية الانتخابية وصناديق الاقتراع. ولكنك صرحاً. صحيح أن هناك أشكالاً من الانتخابات، ولكن معظم الحكومات العربية باتت تدمن التدخل في سير الانتخابات الصحيح، وبذلك أصبحت الانتخابات موضع سخرية. فقليل جداً من الناس يذهبون للإدلاء بأصواتهم، لأنهم يشعرون مقدماً أن أصواتهم لا يعمل لها أي حساب وإن يكون لها أي أثر. ولذلك فإنهم يبقون في بيوتهم ولا يشاركون في الانتخابات من باب احترام الذات، وتوقيراً للجهد الذي لا طائل من ورائه. وشيئاً فشيئاً يفقدون الإحساس بكونهم مشاركين، أو حتى بكونهم معترفاً بهم. وينتهي بنا الحال إلى أن يكون لدينا شكل من أشكال الديمقراطية، غير أنه شكل خال من أي معنى أو أي جوهر، وبذلك نفقد التأيد الفعال لقاعدة السلطة power base - هي كل نظام ديمقراطي - جماهير الناس المشاركين في النظام السياسي والمؤيدين له.

يشمل العنصر الثاني إصلاحات أخرى، وخاصة إصلاحات نظام الأحزاب العنصرية. ذلك أن التعددية هي اسم لعبة الديمقراطية. والتعددية قد تكون اسمية، وربما تكون تعددية حقيقية. حينما تكون لدينا أحزاب سياسية تخلي من أية قاعدية، وليس لديها أي أمل في أن تشارك يوماً ما في إدارة الأمور فلا بد حتماً أن تصل

جماهير غير معترف بها ولا تحظى بالتقدير أو الاحترام؛ بل هي مفروغ من أمرها ومهمشة وتنتسقى التوجيهات ليل نهار، كلاً، لا يمكنك ذلك. فلا بد أن يكون لدينا شعب فعال، يؤمن بأن له مصلحة فيما يجري سواء بالخبر أو الشر. وبذلك يكون مفهوم الإصلاح السياسي هو السعي لخلق الشروط اللازمة لأي تغيير فعال في المجتمع وتفعيل هذه الشروط. هذا هو كل ما في الأمر. ولكنك صرحاً. نحن عاجزون. وأعني نحن هنا الدول العربية كافة. لأن أجندة الإسكندرية أو بيان الإسكندرية. وأود أن أسميه كذلك، لأنه موجز وواقعي ومحدد وعلى قدر كبير من الشجاعة، موجه إلى العالم العربي كله ويتحدث عن العالم العربي كله. وكان ثلث المشاركين من المصريين وكان الشيطان مرعباً. وما يمتنع على بلد قد يصدق بدرجة مختلفة على غيره، إلا أن هناك قواسم مشتركة وطريقاً سائدة. فقد تكون إحدى الدول أكثر ديمقراطية، وقد تكون دولة أخرى أكثر تقدماً، وربما تكون دولة ثالثة أغنى من غيرها، ولكن يظل هناك طابع مشترك لكل الجهود والممارسات يكتنف العالم العربي من النواحي السياسية والاقتصادية، بل والثقافية.



أما الرأي الثاني، وهو ليس رأياً وإنما بالأحرى جوهر مكونات الإصلاح

■ إنه تحد كبير أن يتحدث المرء عن الإصلاح بعيد أن قدمت بشأنه مقترحات ومشروعات عديدة، فالكل يصيح ويهتف ويرفع راية الإصلاح السياسي. ولكن التحدي الحقيقي لكل مكون من مكونات الإعلان إلى الإعمال from declaration to implementation. ذلك أن البون شاسع جداً بين القدرة على صياغة وثيقة بليغة وجريئة وبين إمكانية بث الروح في هذه الوثيقة وتنفيذها على أرض الواقع. وحين تحدث عن الإصلاح السياسي، لا أود التنظير ولا أريد الحديث عن مفاهيم مجردة، بل أريد الدخول في مواجهة مباشرة مع القضايا. وأنا أطرح أربعين تست مسلوفاً عن سواهما.

أولاً: أنا مفتتح كل الافتتاح بأنه لا يمكن بحال من الأحوال تحقيق إصلاح اقتصادي أو اجتماعي بدون الإصلاح السياسي. كما أنه لا يمكن تغيير المجتمع بمجرد إشراك علماء الاقتصاد الممتازين ولا يمكن تغيير المجتمع بتكليف ثلاثين أو أربعين وزيراً جيدين، ومعهم أربعون من الموظفين التكنوقراطيين والبيروقراطيين. فلا بد من تحقيق تنمية مستدامة. ولابد من إشراك الجماهير. ولا يمكنك إشراك

مفتطات من محاضرة عن الإصلاح السياسي ألقاها الدكتور كمال أبو الجعد في غرفة التجارة الأمريكية بالقاهرة

ترجمة: أحمد محمود

تأجيل الإصلاح دعوة للمجهول!

تبالغ. أنت متشائم. كل شيء على ما يرام. وبين الحاضرين في هذا التجمع أطباء. وهم يعرفون أن خطر ما يقال لشخص يعاني من علة ما إنه على أحسن ما يرام «زى الفل» وليست هناك أية مشكلة. فتلك هي بداية الطريق إلى الكارثة. ذلك أن معرفة

المشكلة هي الخطوة الأولى نحو حلها. وأغابر بالقول بأننا نواجه في مصر والعالم العربي، سواء أدركتنا أم لا

لنذكره، واحداً من أخطر الأوضاع المأزومة في تاريخنا الحالي. فالخطر يدق أبوابنا، سواء سمعنا دقائه أم لم نسمعها. والتفريق العربي قد بلغ مداه بل تجاوز كل مدى وعبر عن حجمه الحقيقي في اجتماعات القمة الأخيرة بما لا يحتاج إلى شرح أو

إضافة أو انتحال للمعاذير. وأي تأخير في مواجهة التحدي وفي تمهيد برامج الإصلاح وتنفيذها قد يكون الحد

الذي يفصل بين المستقبل الزاهر الآمن المستقر وبين استدعاء المجهول. وأكرهها: أي تأخير في مواجهة

التحدي وهي تنفيذ الإصلاح الاقتصادي والثقافي والسياسي قد يكون أجهاضاً لكل الآمال الخاصة

بالرفاهية ودعوة للمجهول. وأنهى كلامي بكلمة بسيطة، وهي

أن الضمان الحقيقي والوحيد للأمن والاستقرار هو الحفاظ على ما تبقى من سنوات ديمقراطية مفتوحة لا يحولها شيء. أما إذا ما سدت تلك القنوات، فسوف يكون ذلك دعوة صريحة للعمل غير الشرعي ودعوة غير مسبوقة للمجهول. لا سمح الله ولا قدر. ■

للدستور. صحيح أن هناك فرقاً كبيراً بين بلد وآخر. ولكنني أعمم كي أصف الوضع. ولكننا، حتى هنا في مصر، أمامنا شوط طويل لابد أن نقطعه، ولابد أن تكون لدينا الجرأة كي نعبّر عما يدور في عقولنا.



المكون الثالث هو حكم القانون. وحكم القانون معناه بيساطة، حسب المصطلح المستخدم في مجال القانون ومجال العلوم السياسية، هو تحويل نظام الحكم من حكم

الرجل والنساء إلى حكم القوانين. a government of laws not of men. وفي ظل حكم القانون، يشعر الناس

بالأمان. ويدون الشعور بالأمان، فإن جماهير الناس تلجأ إلى العvisان الذي، بغض النظر عن قوة الحكومة. ومهما كانت قوة وزير الداخلية أو أي

وزير غيره، لأن الأفراد لديهم دائماً وسائهم للتعبير عن الاستياء من

خلال العصيان الذي بالصالح غير مباينين باحتياجات المجتمع وبقضية التنمية.

تلك هي المكونات الثلاثة لمثلث الديمقراطية. والنقطة التي أريد أن أختتم بها كلامي هي أن أحد أخطر الأخطاء التي تواجهنا هو تلك العادة السيئة القديمة الخاصة بالإنكار denial. فنحن لدينا ثقافة خاصة بالرضا عن الذات وأحلام اليقظة والتفكير بالتمنى. واذلك فإنه حين يبدا شخص ما بالنقد، يقال له «إنيك

الإنسانية والسياسية والمادية التي ينص عليها الدستور وتنفيذها. ودستورنا متقدم جداً. وهو يضم فصلاً كاملاً عن الحقوق والواجبات بالطبع، يضارع أكثر الدساتير تقدماً. مثل الدستور الفيدرالي للولايات المتحدة أو دستور بريطانيا العظمى

غير المدون، أو دستور ٥٨ فرنسا، أو أي دستور حديث آخر. ولكن ليست هذه المشكلة. فالمشكلة هي تحويل

الدستور من برنامج ملعن للتطلعات السياسية إلى واقع في الحياة اليومية. ويتحقق هذا من خلال أمرين: التنفيذ السياسي والقضاء

المستقل. وهناك حاجة ماسة إلى التنفيذ السياسي. وقد اكتشفت من خلال تجربتي الطويلة مع حقوق الإنسان أن ما ينقصنا هو ثقافة

احترام حقوق الإنسان. فالشعب، والأفراد، والمحكومون، لم تعلمهم أحد قط أن يتمتعوا بحقوقهم. ولذلك فإنهم حين يطالبون بها يفعلون ذلك

باسكتانة، ويشعرون بالذنب أحياناً، ويتسولون حقوقهم. والحاكم. وأعني بالحاكم كل من لديه جزء صغير من السلطة. لم يقل له أحد في يوم من

الأيام إن هناك حدوداً قانونية للسلطة وأن الموظف العام مهما علا في سلم السلطة خادم مدني وليس

سيداً مدنياً، وإن عمله هو خدمة الناس وليس السيطرة عليهم. ولذلك فإنه فيما بين طرفي العضلة هذين، لم يقل أحد للمجتمع إن له حقوقاً يدافع عنها أو يطالب بها، ولم يقل أحد للسلطة إن هناك بالفاعل حدوداً وإنها تخضع للمحاسبة طبقاً

أهمية هو إحياء التنوع، ومراجعة نظام الأحزاب السياسية، والقانون الخاص المنظم له. واسمحوا لي أن أقدم لكم مثلاً يدل على مدى كون التعددية غير حقيقية. فهناك شرط في قانون الأحزاب في مصر ينص على أنه لكي يتم الاعتراف بأي حزب

جديد، ولكي يشارك هذا الحزب في الحياة السياسية، لابد لهذا الحزب الجديد من إبداء قدر كاف من

الاختلاف عن الأحزاب السياسية القائمة بالفعل. إلا أن اللجنة التي تناقش هذا الاختلاف الذي يجر

تأسيس حزب جديد لا تتعامل مع البرنامج كحرمة واحدة، بل تتعامل مع كل بند على حدة. ولنفترض أننا

أردنا الآن تأسيس حزب يسمى «الحزب التقدمي»، على سبيل المثال، فماذا ستعمل اللجنة؟ إنها لن تقارن أهدافه أو برنامجه أو توجهه أو إستراتيجيته الإصلاح الخاصة بك بما

لدى الأحزاب الأخرى، بل ستأخذ البند الأول. تعزيز حرية التعبير. وتقول هذا موجود عند حزب الوفد، أو احترام الأسرة، وتقول إن هذا على

قائمة الحزب الفلائي. إذن، فالطريقة الوحيدة للحصول على الموافقة هي انتهاك الدستور أو كل المعايير القانونية والالتماع عن سائر الجماهير والأحزاب السياسية.



المكون الثاني من مكونات الإصلاح السياسي هو ضمان الحقوق

تهتم وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والمكتبات والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك. وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لا يرويه من إصدارات.

قصايا أدبية عامة

إيمانويل فريس، جبران مورايس
ترجمة: لطيف زياتي
الكويت عالم المعرفة، ٢٠٠٤، ٢٨٥ صفحة



يتطرق الكتاب إلى قصايا أدبية عامة لم تبحثها النظرية الأدبية البنيوية، ويشتغل بقضايا مثارة في الأذهان الثقافية من نوع ما هو تأثير العمل الأدبي في محيطه؟ وما هو الآخر الأدبي؟ من هو المؤلف؟ كيف يمكننا التعامل مع المشاريع غير الشجرة والمسودات التي يخلقها بعض الكتاب قبل رجليهم؟ ما أثر الرقابة في عمل الكاتب؟ وما هي العارفات التي ينقلها عمل الكاتب الأدبي؟

غير فصول أربعة يناقش المؤلف هذه القضايا نون أن يزعم أن يقدم إجابات حاسمة، لكنه يثير الاهتمام بها استناداً إلى إبحاث سوسيو لوجية تم إنجازها في أواخر السبعينيات، ولذا فهو لا يقتصر على بيئة أدبية يمنية وإنما يبحث أوضاعها في فضاء مفتوح لا ينتمي إلى أدب بعينه، وفي إطار هذا التحليل يتخذ المراكز النظرية التي سيطرت وما زالت على أساليب التعامل مع النص الأدبي، ويوضح وعياً نقدياً جديداً يولد قلقاً من الحيوية الفكرية نحو مزيج من الإنجاز في الإطار ذاته.

هو لا يقدم لقارئ نظرية أدبية جاهزة أو خريطة ومبادئ استرشادية في الدرس الأدبي، لكنه يقدم درساً في بناء النظرية.

أصل السلطة السياسية وطبيعتها

محمد عبد الشفيق عيسى
القاهرة: دار الكلمة، ٢٠٠٤، ١٢٧ صفحة



في أعقاب الغزو الأمريكي للعراق أثارت عشرات الأسئلة، ومازال سؤال الديمقراطية هو أكثر هذه الأسئلة إثارة ليس فقط على صعيد غيبائها، أي

الديمقراطية، وهي بالفعل غالبة، وإنما كذلك عما تمنيه حتى داخل الدول التي تدعى الديمقراطية وفي طبيعتها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وقد كشفت الأحداث الأخيرة عن صلوحتها في قصايا متعذب وحشية وانتهالك صراخ لحقوق السجناء العراقيين، وهو ما يتناقض تماماً مع كل دعاوى الديمقراطية وحقوق الإنسان التي تتشبه بها الولايات.

المؤلف يقدم معالجة تستحق النقاش فيما يتعلق بموضوع الديمقراطية بعيداً عن المثالية السياسية التي صبغت أغلب الطروحات حولها أو حتى الانتهازية التي ميزت اجتهادات أخرى، وهو يجعل الديمقراطية مشروطة بمحددات اجتماعية معينة، بينها طبيعة تقسيم العمل الاجتماعي ومستوى التطور الطبقي والقيومي. والمؤلف في سعيه لتقديم هذه الاستطلاعات يستعين بالأنثروبولوجيا والفلسفة، ويستعني إلى أن التقدم التاريخي يتحقق تلقائياً أو مجانياً، ولكن بتوفير مقومات الإرادة الإنسانية التي تبارس دورها من خلال الحدس الاجتماعي للإرادات.

المقاومة والعالم

عبد الخالق فاروق
القاهرة: إصدارات مسطور، ٢٠٠٤، ٢٢١ صفحة



الفرضية التي يطرحها المؤلف هنا مفادها أن العالم يصعد تشكل ملامح علاقات دولية جديدة، ترسي قسماتها الأساسية المقاومة العربية ضد الاحتلال الأنجلو أمريكي، وهو يشير إلى أن هذه العملية التاريخية لن يكتب لها النجاح ما لم تتحمل المقاومة بعض المغومات والمفاسد الأساسية التي تصمم مواقفها وتوحد صفوفها في مواجهة الاحتلال، ويقدم المؤلف عدداً من السيناريوهات لما يمكن أن تسفر عنه المواجهة، السيناريو الأول، أن تتجلى الولايات المتحدة في صراخ، صرخة، الصراع أي تحويله إلى صراع داخلي بين الطوائف والفرق العراقية المختلفة، وهذا السيناريو يوقر متغذاً أمناً للولايات المتحدة كي تتسبب من

العراق على خلفية المشهد المعاصر ودعاوى الحرب الأهلية، السيناريو الثاني، أن تتجلى الأمم المتحدة في الضغوط على أمريكا في ظل إدارتها الجديدة عام ٢٠٠٤م أي لتجبر معادلة سياسية حقيقية تقوم على التوافق بين القوى السياسية الفاعلة في العراق، وهذا السيناريو يواجه احتمالات استمرار المقاومة أمامات قوات الاحتلال الفاعلة، كما أنه يواجه تطامح القوتين الكبيرتين في الساحة العراقية الجديدة وهما حزب البعث والنيابرية من سنة وشيعة، ويقوم السيناريو الثالث على افتراض نجاح المقاومة العراقية في صياغة برنامج سياسي نوافق يجبر قوات الاحتلال على الانسحاب، ويشير المؤلف إلى نذاتيات كل من هذه السيناريوهات وتناجها، على أنه يؤكد في النهاية على أن مصير الأمم المتحدة واستعداداتها لتوحيدها يبقى مرهوناً بمدى فاعليتها وتوحيدها في الشأن العراقي.

هذراء أورليان

فريدريش شيلر
ترجمة: عبد الرحمن بدوي
الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، ٢٠٠٤



من خلال مطالعات شيلر لتاريخ العصور الوسطى لفتت انتباهه شخصية جان دارك، تلك الفتاة الصغيرة التي كانت ترضى الغضب، والتي قادت الشعب الفرنسي إلى النصر والسيادة ضد الاحتلال الإنجليزي، والتي تمسكت بالصلابة واختارت الموت حرقاً بعد أن حكم عليها بالكفر والإلحاد، تضيعة الجهل والخيالة، بعد أن كشفت أrideة الزيف والاضرابات الكاذبة التي تطلقها السلطة السياسية والعسكرية والدينية، واكتسبت شهية كبيرة بين أبناء وطنها، والحكمة الأساسية التي تشير إليها المسرحية والتي أكد عليها شيلر، أن على الأمم المتحدة إذا أرادت أن تتحرر وتواجه الأطماع الخارجية أن تتصلح ما بينها أولاً، فالأحد هو الذي يصنع إرادة الأمم ويحقق مجدها.

حبر على ورق

نوال مصطفي
القاهرة: الأمل للنشر، ٢٠٠٤، ٢٢٢ صفحة



صور قلمية لشاعر وتكريات ومواقف عاشتها الكاتبة، وهي في مجملها ذات صبغة إنسانية تعاطف الوجدان وتناشد في الإنسان أنقى ما بداخله، كما أنها دعوة للتفائل ومواجهة صعوبات الحياة بالأمل والتطلع للمستقبل. من أجواء الكتاب: الحياة أن تعيش طفلاً منطلاً، وتقاتل ما حوله بحكمة فيلسوف، وتتخذ قرارك بحرية زعيم متمرد، ولا تنظر وراءك لتبكي على ما فاتك، وأن تتطلع إلى القادم من الأيام بروح متوثبة إلى أمل جديد حتى لو كان صغيراً، يجعل للحياة معنى وأغماً.

دوايسر

شريف مليكة
القاهرة: المؤلف، ٢٠٠٤، ٨٠ صفحة



ديوان جديد لطبيب مصري يقيم في الولايات المتحدة الأمريكية منذ عشرات السنين، كتبه بالعامة المصرية مزجاً بين الروح الشعبية الساحرة في النقد الاجتماعي والسياسي التي تتميز بها ديوان التوشن وسلاسة ورشاقة صلاح جاهين، مع احتفاظه بأسلوب معين. من أجواء الديوان: الفقر/دع/ وثنا دمي سايح/ وغضبي جامع/ على كارو سايح/ أبيح موانج/ بالعافية رايح/ قام جاني القارح/ ذو ليلة إصباح/ قال الوايخ/ ليك ما أبيش لايح/ من يوم وايخ/ ويلاش فضايح/ حنيد مطراح/ بأجل ملامح/ وبني السايح/ جيموا الجوارح/ عسكر بكايخ/ ع الحرب رايح/ ومسكني فاطح/ لدعاني فاطح/ وكرامتي سايح/ قولني يا لايح/ إن كنت لايح/ من حل واضح.

المواطن العربي والوعي القومي

حميد قهوي
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،
٢٠٠٤، ٢٦١ صفحة



عبر أساليب البحث العلمي الجيداني ينتمي الكتاب إلى أن الوعي القومي عند المواطن العربي المعاصر موجود في حالة كمن، وهو يظهر في اتجاهات سلبية وإيجابية تبعاً لتوعية الأحداث والخلفية القومية والقطرية، فيما تثير الأحداث اليومية وسمي المواطن العربي اللاحق خلف لقمة العيش هذا الأجاج على الاستكانة، وتشير الدراسة كذلك إلى وعي المثقف القومي بالتحولات الجارية والفتاحة على الخطابات المناقصة وإدراكه لحاظها مثل ظاهرة المولة.

المسجون والتعذيب من المصير القرويعي حتى ثورة يوليو ١٩٥٢
عادل زنتي
القاهرة: جمعية حقوق الإنسان لمساعدة السجناء، ٢٠٠٤، ١٨٢ صفحة



تقدم هذه الدراسة الطريفة والجادة في أن صفاً رؤية شاملة لأوضاع المسجونين في مصر، وهي تكتسب بأستعراض أوضاع المسجونين والمهاجرين وإنما تبحث أيضاً في الأوضاع التشريعية والقضائية التي سادت في كل مرحلة. والمصدر التي لم استقاء النظام القانوني منها، وأنواع الجرائم في كل عصر والعقوبات التي ولقت على مرتكبيها، وعمليات التعذيب التي مورست ضد السجناء.

وفي هذا الإطار تشير الدراسة إلى عقوبات الإعدام والعقوبات الشريعة والعقوبات المدنية والبلدية في العصر الإسلامي، وكذلك العقوبات المدنية الحديثة وعمليات التعذيب في زمن المماليك، من خلال إصلاح القضاء وتنظيم المحاكم في مصر العثمانية، وتشير إلى توثيق من الجرائم التي ربما لم تكن معروفة قبل العصر العثماني أو لم تحدث لها عقوبات واضحة مثل جرائم الوطنية العامة والجرائم الاقتصادية

وجرائم الآداب العامة والجرائم المتعلقة بالجنح العسكرية، ويتناول الأوضاع التشريعية ونظم التقاضي في عهد محمد علي وخلفائه، وصولاً إلى أوضاع المسجونين والمهاجرين منذ الاحتلال وحتى ثورة يوليو.

محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين
جورج بوش
ترجمة وتحقيق: عبد الرحمن الشيخ
الرياض: دار المريخ، ٢٠٠٤، ٦٦٨ صفحة



ملف هذا الكتاب هو الجد الأكبر للوليس الأمريكي جورج بوش، وقد كان واعظاً وزاعياً إحدى الكنائس في أستراليا وبولس وأستاذ في اللغة العبرية والآداب الشرقية في جامعة نيويورك، وله مؤلفات وأبحاث في شروح أسفار العهد القديم من أهمها كتابه هذا، الذي ينطوي على بناءات وإقتراحات تبعها في صعيد من كتب المستشرقين غير الأسماء، والتيين تصميم أعضائهم من رعية الحقائق. والكتاب صدر للمرة الأولى عام ١٨٦٣، وهو يكشف عن أحد مصادر الفكر المعاصر الأمريكي المتطرف، الذي كان متداولاً في دوائر البحث العلمي والأكاديمي ولإثرال. والكتاب، صميماً يؤكد محققه، ونموذج صانع على كراهية الأديان الأخرى وترصيص فج على المنصرمة، فالخلاف لا يقتضي بهاجمة الإسلام بل هو المسلمين، وإنما يهاجم كل المذاهب المسيحية الشرقية.

موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا
أحمد الموملي
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،
٢٠٠٤، ٤٩٩ صفحة



تهدف هذه المجموعة إلى تزويد القارئ بالمبادئ والمفاهيم والمقارنات الخاصة بالجماعات الأصولية الإسلامية

أسس ومفاهيم اتخاذ القرار

تقع الآن في قلب نظم دعم اتخاذ القرار، حيث نجد مفاهيم حديثة مثل قواعد البيانات الشبكية التي تتيج التعامل مع البيانات بجميع صورها: النصوص، الرسومات، الصور، الصوت، الفيديو. وتجد أيضاً الوسائل المصورية لتحليل البيانات (OLAP) والتعامل مع مستودعات البيانات (Data Warehouses) الموزعة على الشبوع المختلفة للموسسة.

ودخلت علوم الذكاء الاصطناعي نقفها لرفع كفاءة وجودة القرار ورفع كفاءة عمليات البحث بين بدائل الحلول المتعددة. فالنظم الخبيرة ساعدت في صياغة نماذج اتخاذ القرار في ظل التأك (Uncertainty) وعدم وجود المعلومات الكافية (Uncompleted) وساعدت في نقل خبرة المتخصصين في التعامل مع المشاكل إلى نظم الدعم، أما نظم الشبكات العصبية الاصطناعية (Artificial Neural Networks) فهي تستطيع التفاعل داخل آلاف محلات البيانات (Data Mining) لاستنباط العلاقات البينية البنية داخل هذه البيانات، وهي تساعد متخذ القرار في الربط بين خصائص المشكلة وبشكلتها نفسها لمساعدته أيضاً في التعرف على الفرص المتاحة من خلال قدرته على التعلم. أما لتكنولوجيا الخوارزميات الحديثة والنظم الخبيرة فقد بدأت في شق طريقها داخل أنظمة دعم اتخاذ القرار بغرض مساعدة متخذ القرار في الوصول إلى الحل الجيد وشبه الأمثل بكفاءة عالية وفي صياغة ما لديه من معرفة بديهية.

Common Sense) عن النظام الحقيقي ومعالجة المشاكل واستغلال الفرص. تكنولوجيا الإنترنت ساهمت بشكل كبير في بلورة نظم دعم اتخاذ القرار الجماعية من خلال عقد جلسات اجتماع افتراضية (Virtual) وعمليات عصف الأفكار (Brain Storming) والحاجة إلى التواجد الفعلي في مكان واحد. كما أفرزت تكنولوجيا الإنترنت تكنولوجيا الوكيل الذكي (Intelligent Agent) كساعة متخذ القرار في القيام بالأعمال الروتينية طبقاً لنمذج وسلوكيات متخذ القرار في العمل، فهي تتمتع بخاصية التعلم والذاكرة وتزاد كفاءة مع كثرة الاستعلام. الفرص الرئيسية لهذا الكتاب هو التعرف الدارس المعروى بهذه التكنولوجيا المختلفة والتي يخلق عليها مجمعة تمييز نظم الدعم الإلكتروني.

نظم دعم اتخاذ القرار والأنظمة الذكية

على فهمي
القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٢١ صفحة، ٢٠٠٤



عبر تاريخ الحضارة الإنسانية الطويل مروراً بعصر الزراعة وعصر النهضة وصولاً إلى العصر الحالي عصر المعلومات لعبت الوسائل المتاحة لجمع البيانات ومعالجتها بصيغ مختلفة للحصول منها على المعلومات التي ساعدت الإنسان في التصدي لمشاكله المختلفة ولقدومه في شتى المجالات. وقد ساهمت الاختراعات والاكتشافات المختلفة في بناء تكنولوجيات متعددة وتطور علوم حديثة. علوم وتكنولوجيا نظم دعم اتخاذ القرار تأتي في مقدمة هذه التكنولوجيات فهي تعتبر بحق وأجدة لتكنولوجيات نظم المعلومات والشبكات بل يقود البشرية، إلا ومع الفادة ونمذخو الفرص يشهد علم دعم اتخاذ القرار تغيرات كثيرة ويرجع الفضل في ذلك إلى التطور المذهل في علوم الشبكات والذكاء الاصطناعي. لقد ولد دعم اتخاذ القرار من خلال التفاعل بين علوم الإدارة وعلوم بحوث العمليات وعلوم الإدارة. ولأن نمذخو هذا العلم في ظل التكامل مع نتائج البحوث المتقدمة في مجال إدارة قواعد البيانات وفي مجال شبكات الإنترنت وشبكات الأنترنت وشبكات الإنترنت وفي مجال نظم الخبرة وفي مجال الشبكات العصبية والخوارزميات الجينية والنمذخو الفاني.

علوم الإدارة وعلوم بحوث العمليات وعلوم الإدارة هي التي أرست المفاهيم الأساسية لعلم دعم اتخاذ القرار حيث نجد مفهوم القرار ومفاهيم اتخاذ القرار ومفهوم النتائج المختلفة الدراسة عملية اتخاذ القرار، وميت نجد عملية نمذخو ومحاكاة النظم الحقيقية (Modeling and simulation) من خلال النمذخو الكمية والنمذخو الوصفية والأساليب البرمجية المختلفة المستخدمة في حل هذه النمذخو مثل أساليب البرمجة الخطية وغير الخطية ونظريات الأرتال والصنفق.

علوم إدارة قواعد البيانات الحديثة

الواقع والأسطورة..

دراسة في الشعر العرب المعاصر
ماهر شبيب فريد
الشاعرة دار المسكن ٢٠٠٤
٢٤٠ صفحة



يعالج الكتاب قضايا مختلفة مثل الحب في الشعر العربي المعاصر، وكيف عبر الشعر عن ثورة يوليو وكيف أثرت سياسات الثورة على الإبداع الشعري، وما الذي قاله الشعراء عن القناعات وتأميم قلعة السويس.

ويتعرض المؤلف لتجارب شعراء السبعينيات، كما يتضمن دراسات مهمة عن عدد من الشعراء الكبار في مصر والعالم العربي.

فيكتب شعر أدونيس ومرفعه في الشعر العربي الحديث، ونزار قباني بين الأسطورة والشعر، وقرابات في شعر صلاح عبد الصبور، كما يكتب عن أحمد عبد الحفيظ جباري ويبر شاكور السياب وصالح جابهين وأمل دنقل ومحمد إبراهيم أبو سنة وفاروق شوملة ومحسن فتح الربيع.

والنقاد الدكتور ماهر سميت فريد عرف دراساته في الأدب الإنجليزي والأمريكي المعاصر وخصوصاً دراساته عن إس.إل.ويلز، إلا أنه يواكب حركة القصة والشعر في مصر وقد قدم كثيراً من الأصوات الشعرية في سنوات السبعينيات والثمانينيات، كما تابع إصدارات عدد من كتاب القصة المروفيين في مصر.

■

أسرار حرب أكتوبر في الوثائق الأمريكية

وليام مير
ترجمة خالد دودو، ٢٠٠٤ ٢٤٤ صفحة



تكشف هذه المجموعة المهمة من الوثائق التي أقرح عنها مؤرخاً كبيراً من الأسرار، مثل:

إسحاق والتخطيط للحزبات الأمريكية في التنبؤ بالحرب، وصول جندبنا في معركة إسرائيل عن هجوم مصر، توضيح كيسنجر كيف يتفادى القيام بعملية استباقية، وقرارات كيسنجر

وكتابه هذا يتضمن مجموعة من القصص التي نشرت في جوارب أدبية مثل مجلة الهلال ومجلة الصحة ومجلة الإذاعة والتلفزيون وهي قصص تنسب لموهبته الساطعة وإعتماده البالغ لآلاف فنتونه وتضم المجموعة ثمانية قصص.

مبدعون ومجددون

أحمد رامل
الشاعرة دار الشروق، ٢٠٠٤ ٢٠٢ صفحات



مددت مصر نهضتها في أعقاب رحيل الحملة الفرنسية، تواصلت جهود عدد كبير من المفكرين وأصحاب الرؤى العظيمة من مختلف الاتجاهات، وتواكبت معها جهود أخرى بطول الوطن العربي واتساعة.

ولم يكن جهد هؤلاء ينحصر فقط في الإبداع الفكري والأدبي، لكنه كان يصب في نهاية المطاف في مصلحة المتجزئ الاجتماعي الأشمل.

وعلى هذا النحو لم يكن ما كتبه الطهطاوي مثلاً عن باريس وشوارعها النظيفة وعمارات الفرنسيين وأساتيب معيشتهم واحترامهم للإنسان وتقديسهم لحقوقه وعشقهم للنظام والإنفاق في العمل، مجرد إنشراح بواقع مغاير، وإنما كان الهدف من المقارنة هو إكثاء الصورة الوطنية وشحن الهمم نحو مسيرة التغيير كإصيص حياة الخاسر أجل وأكمل.

وكن يتقبل المجتمع المصري كله إلى اتفاق أكثر مخيفة وحضارة. وقد أسهمت مباحث التجديد تلك في تحقيق الإلفة التي تشتملها مصر وسيهرها في طريق الإصلاح والنهضة.

والمؤلف في هذا الكتاب يستعرض سيرة وعصبة عدد من أسامهوا في هذه النهضة في العصر الحديث في مجال الأدب وهم:

الشيخ رفاعة الطهطاوي والشاعر محمود سامي البارودي وأسير الشعراء أحمد شوقي وشاعر القبطيين خليل مطران والشارحون العراقيين محمد جبر الجواهري ويبر شاكور السياب والشاعر التونسي أبو القاسم الشابي والأدياء المصريون نجيب محفوظ ويوسف إدريس وتوفيق الحكيم ويحيى حقي وكامل كيلاني.

■

إفطاب جاحنا الأدبية، كالعلاقة بين أحمد أمين وطه حسين وسدى هذه الخلافات هيما كتبها لويس عوض وعبد الرحمن بدوي ومحمود أمين العالم وغيرها من القضايا.

وتقدم صورة غير معهودة للظلم الذي تعرض له بعض الأدباء في مقابل الإنصاف، وأوجه آخرين وفي موضع آخر يستعرض ملامح الحياة الاجتماعية في مصر من خلال بعض النصوص الأدبية، ويخصص لهذه المكرة ثلاثة فصول من الكتاب، فضلاً عن موضوعات عديدة ذات صلة بموضوع الكتاب.

قوم لا يتطورون

محمد كامل حسين
الشاعرة دار الشروق ٢٠٠٤ ٢٦٦ صفحة



ولد الدكتور محمد كامل حسين (١٩٠٩-١٩٧٧) في إحدى قرى النجفوية. وتظهر تفوقه الدراسي منذ بواكير حياته وظل أول فرقته على كفة طه فهدر العيني حتى تخرج فيها ولم يتجاوز عمره الثانية والعشرين.

ثم أوف في بقعة دراسية إلى بريطانيا حيث نال إجازة الدراسة في كلية الجراحين الملكية ثم تخصص في طب العظام وعرف بأنه رائد طب العظام في مصر.

وفي عام ١٩٥٠ اختاره الدكتور طه حسين أول مدير لجامعة عين شمس. وقد عرف الدكتور حسين بين مقضى زمنه وقراء الأدب بوصفه مؤلف القصة الطويلة، بقية ظالة، التي تصور أحداثها في الأيام الأخيرة لمسيح المسيح. وقد أثارت قصة اهتماماً بالغا عند المثقفين واشتهرت على نطاق واسع، وترجمت إلى لغات عديدة كالإنجليزية والفرنسية والإسبانية والهولندية والتركية.

ونال عنها جائزة الدولة في الأدب عام ١٩٥٧ كما نال جائزة الدولة في العلوم عام ١٩٦٧، فاصبح أول مصري يجمع بين جائزتي الدولة في العلوم والأدب. وكتب محمد كامل حسين في مجالات عديدة، في الطب والأدب والشعر والتاريخ، ومن أهم كتبه التي لم تحظ بشهرة، قرية ظالة، متونعات، ولواى القس، والتحليل البيولوجي للتاريخ، والذكر الحكيم، بالإضافة إلى جهود الكبرية في تبسيط اللغة العربية أثناء استعماله في مجمع اللغة العربية.

الطبيب والاستبداد والتنظيم السياسي الواحد.

كما أن الوحيد من المستوليس التمتديين الذين على المؤلف بالحديث عن تجربته معهم، وتجربته في القطاع الذى تولى إدارته والإشراف عليه، فهو عبد القادر حاتم الذى تولى إدارة التلفزيون المصرى في بداية ظهوره.

أما المرأة الحديثة التي اختارها يكتب عنها (الأم) فهي الأوضاع إن تأثيرها على المؤلف كان كبيراً ومستمر.

وهي كما ظهرت في الكتاب امرأة عادية مثل ملايين من الأمهات في قرى مصر ونوعها، إلا أنها استثنائية في اعتزائها بكرسيتها وكرامتها وفهمها المبدع لنطاق المجتمع النكوري وكل ما يحاول أن يعرضه باسم الدين والتقاليد، كما أنها كانت تحتمل مئات من أبيات الشعر العاصى والأساطير والحكايات الشعبية التي أضرعتها لأبنائها، وقد أشر ذلك على توجهات المؤلف الذي شغلت الميتولوجيا والأدب الشعبي جزءاً كبيراً من كتاباته.

ثلاثية التاريخ والأدب والسياسة

محمد الجوادى
الشاعرة: جهاد لشعر والتوزيع، ٢٠٠٤ ٢٤٠ صفحة



يستعرض الكتاب ثلاثية العلاقة بين السياسة والتاريخ والأدب والشاعرات المتداخلة بينها، من خلال عدد كبير من أمثلة الكبار ومعركتها الذين أثروا حياتنا بما قدموه في مجالات إبداعية مختلفة، وهو يقدم من ناحية ثانية الوجه الآخر ل هؤلاء المبدعين من خلال مواقفهم، وبدون هذا الجانب الخفى فإن معرفتنا بهم لنظل ناقصة أو مشوشة في أحسن الفروض.

يتحدث المؤلف مثلاً عن سر حكمة توفيق الحكيم وشخصيته الحقيقية بعيداً عما شاع عنه أو أضافه هو عن نفسه، تسلم إسماعيل هالات من الصوء حوله حينه في تأكيد شهرته، كالحديث عن جد أو عداوته المهرقة للمرأة أو البهارة بارتداء البيريه الفرنسي والعصا.

ويتناول العداء بين العقاد والملك مؤاذ وكيف وصفا هذا الموقف حتى دخول العقاد السجن، وفي الفصل الثالث يقدم الوجه الآخر لعقل حسين، وهي الزاوية يروى قصة زواج عبد الحميد جودة السحار من خلال نصين من كتبه.

كما يتناول ثلاثيات العلاقة بين بعض

كي ترد الإهانة للأبنة، فترفع عنها غطاء الراس فيبين رؤسها التي تماثل شجرة كلة تقريظاً بفعل العلاج الكيميائي، وتساها إلى كي تشف خبيث، هو شركك راح فين؟

وتتمنى الأم أن تموت ابنة خدامتها كي تتفرغ لرعايتها برغم ما تبديه من عطف تجاهها، وتوسلها الأم فاسحة المجال لإنسانها كي يضاجع الخادمة، وتحسن الخدمة من جانبها تقديراً للموقف واستغلاله كي تحصل على بغيتها من الاثنين وتحتولها في لحظة مناسبة إلى عبيد أو خدم، دون أن تخفى سعادتها بتبديل المواقف.

أما عبيد إلى الحصار الغربية واحتقاره لكل ما هو مصري أو شرقي، والذي ترجمه علاقتهم بالسلطة الألمانية، يقول، فإنه يندفع دفعا إلى الهيمان فالجنون.

على أنه التحو العجيب والعاذي في أن من قضى علاقات الشفوق داخل الرواية ويمضي معها المؤلف كاشفاً عن ألبانيا السلوكية وغلظتها وشرستها المظلمة بفلات من الأحاسيس المصطنعة، بقية قصص المجموعة لا تبعد كثيراً عن هذا المنح الرئاسي يعني المؤلف كما أشرنا إلى كتف الحبل السلوكية التي يتخفى خلفها الناس

٢٢

الإنسانية وكشف تناقضاتها وحيلها السلوكية، وميلها إلى المداواة والتحيال، إما بزعج التكيف ومخالفة ما يعرضه عليها واقع جاذب القسوة والنداء، أو لرغبتها في التظاهر بمكس ما يطمح إلى تبدو في صورة نضرة مخالطة، قد تكون مناقضة تماماً لصورتها الحقيقية.

الرواية القصيرة «الذي اقترب وزا»، تلخص إلى حد بعيد هذه المعاني قلصها، مصداقاً، خصوصاً وعلى إدراك أكثر كثيراً من المحيطين حوله، وأنشئ به وعيه إلى العزلة، ثم الجنون في نهاية المطاف.

أما العزلة فقد قادها إليها إدراكه العميق للظواهر الحقيقية لسلكه المحيطين به، ما جعلهم جميعاً يدورن بالنسبة له في حالة اكتشاف كامل، يضعف توازن الرغبات واستجاباتهم العمياء لقيم وأفكار بالذات، من وجهة نظره على الألف.

فألام الرخصة تستكثر على أمها أن تعيش حتى الثمانيات من عمرها، واحدة تدرك بوعياها فيه الغالب حقيقة مشاعر الابنة فتشاهدها حدة بصد، بل وتتعمد إخراجها والإساءة إليها أمام الضيوف، فتحتار معاداة وقت زيارات الضيوف كي تتحول على نفسها فيضحيها الأبنية بالإنسان المتكسب في الجملة تحافظ الضيوف، وتضمن الحدة فرصة مناسبة

التحدة هي كل من مصر والسعودية والأردن وإسرائيل، وكذلك محاضرات جلسات رسمية ضمت نيكسون وبريجيت وكيسنجر وحافظ إسماعيل مستشار الرئيس السادات لأمير القروسي وجولدمالير وغيرهم من الشخصيات التي لعبت بدرجة أو بأخرى أدواراً في حرب أكتوبر قبل ثلاثين عاماً.

وفي انتظار المزيد من الوثائق التي ربما يفرج عنها قريباً، سيظل كثير من أحداث حرب أكتوبر بحاجة إلى جلاء.

ثيرون صديقية

علا. الأسواي
القاهرة: ميريت للنشر، ٢٠٠٤



براعة الأسواي القصصية لا تستند إلى حداثتي أساليب السرد ولا إلى ميله إلى الفطري والتشالغ من مفردات اللغة، وإنما إلى الخوص في أصناف النقص

تيسيل الماخر في سلسلتين جديديتين للأطفال

ون احتاج للسلم في العمود / نطة
واحدة وليت نعود.

والآن يا ماما كما قرين / أنا احتاج
فعلاً إلى كنجارو.

أما السلسلة الثانية فتحمل عنوان «في الفصل حال، وصدرت منها: الطعام، النوم، النظافة، الأمراض، المخاطر».

وأطلق هذه السلسلة مع كيلو وزايم وعفريت صغير، وهم يمشون عبر معماراتهم الشقية معلومات علمية مفيدة، ويجهين عن تتوالب تفضل الطفل ربما لا يجد الكبار وقتاً للإجابة عنها.

كتاب الأمراض مثلاً يجهي من عدد واقر من الأسئلة منها: ما الفيروس، كيف نحسن أنفسنا من الجراثيم الشريرة، ما فائدة التطعيم، ما الحساسية، متى نذهب إلى قسم الطوارئ، ما الفروص التي قد يعطيها الطبيب، ما معنى وزايم، من يعالجه، وهكذا.

وبالمثل ليست في هذا الكم القيد من المعلومات بقر ما هي في طريقة العرض الفكية، لا يخيب الأوال بصحية والديم إلى الكتل عارف الذي يعرفهم بجمع الإنسان وبالطريقة المثيرة في الكشف على

الطفل عن الحيوانات موضوع القصص، فإن هذا النوع من القصص يشن رابطة من نوع ما بين الطفل والحيوان، ويقف حالة من التوافق تروى في الحيوان رفيقاً مضمناً لا وحشاً يهبط على الضفوف ويستعير الرهبة، ويرغم الموضوع الواحد فإن يظل القصص إلى الطفل نفسه، فهو في أريد فيلاً، فتاة صغيرة جميلة، وكذلك الحال في أريد درفيل، ولكنه في أريد كنجارو، طفل أسمر اللون ينشئ إلى بيته كنجارو ذاتها، وهو اختيار مقصود مطمئنة الحال بمنح الحكاية صديقية أكبر.

نقرأ في «أريد كنجارو»، ماما أريد كنجارو / كنجارو له جيب كبير يكفي / أخين فيه كل شيء عني. وفي القصد ثمانية عروسيت أبدأ / ساضعها في جيب الكنجارو وألما. وسوف أضر بألفظ والسلام / عندما أكون في حضن الكنجارو أنام. وسيلعب معي في حوض الرمل / وساعدني كثيراً في الحفر. ومعه إن احتاج إلى عرقي / هساته في جيبه أنا وعروستي.

الجكرة بتقديم مساعده صكرية لإسرائيل مع استمرار الصالة بإسرائيل لحداهم، وتحرره إسرائيل لتحدن فترات الأمم المتحدة.

وطالب بريجيت الذي دفع أمريكا لإعلاء حاله التائب النووي، واتصالات أمريكا ومنظمة التحرير الفلسطينية خلال الحرب.

وتوفر هذه الوثائق معلومات نافلة الأهمية عن السياسة الأمريكية وتموراتها عن الحرب وردود أفعالها على ما تروك عليها.

ولكن ذلك لا يعني أن هذه الوثائق المخرج منها تمثل الحقيقة كاملة فيما يتعلق بهجرات حرب وبيومياتها إن كان القانون حربية الإطلاع على المعلومات التي سمح بنشر هذه المعلومات السرية، يعطى الحق لوكالة الأمن القومي عن حرص السرية على وثائق معينة لا كانت ستؤثر على المصالح الحالية للولايات المتحدة الأمريكية.

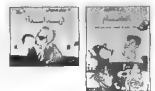
بما يعني أن فترة الثلاثين عاماً التي يسمح بعدها بنشر المعلومات السرية، لا تعني أنها تسمح بنشر كل المعلومات عن الحرب.

والوثائق التي تم الإفراج عنها أخيراً والتي تتضمن الكتاب بعضها، عبارة عن مذكرات رسمية وتشاير سرية كتبها السنوول في وزارة الخارجية الأمريكية ومجلس الأمن القومي وسفارات الولايات

الحيوان صديقي

في الفصل حال

التهرة دار الشروق، ٢٠٠٤



سلسلتان جديديتان صدرتا أخيراً عن دار الشروق، تتميزان بجمال التصميم والإخراج وسهولة الفكرة، والأثنان معبئتان بتقديم المعلومة العلمية في قالب مشوق بسيط، الأولى تحمل عنوان «الحيوان صديقي»، وصدرت منها: أريد فيلاً، أريد أسداً، أريد درفيلاً، أريد كنجارو. والقصص التي تكونت من جوشان ورسمها إخراجية دينون تقوم أساساً على كلمات قلقة تتخاطب خيال الطفل برسوم ذات خطوط واضحة وألوان بديعة، وبالإضافة إلى المعلومات التي يجدها

The Mold in Dr. Fiore's Coat: The Story of Penicillin and the Modern Age of Medical Miracles

(قصة البنسلين والعصر الحديث للمعجزات الطبية)

Eric Lax
Holt, 2004, 352PP, \$25.00



يهدف هذا الكتاب إلى تصحيح المفهم الشائع بأن الكائنات فيلنجن هو أول عالم يكتشف البنسلين وأول من قدم إلى العالم عقار المضاد الحيوي الذي أنقذ آلاف الأرواح وبشكل به عصر طبي جديد.

فيالترشم أن علمنج هو الذي صك مصطلح «البنسلين»، إلا أن أبحاثه الترجيحية حول الفطر لم تسفر سوى عن نتائج محدودة.

وفي عام ١٩٢٠ بحث أكثر من عشرين ستوان من تولف أبحاثه، فاد هيرق باتولوجي من جامعة أكسفورد سراسنة هوراء فلوري وأرست تشاين ولورمان هيتلى ممرارة أبحاث فلنجن الأولية إلى أن توصلوا إلى أول عقار مضاد حيوي. وقد حاز كل من فلنجن وهيرق وتشاين على جائزة نوبل عام ١٩٤٥.

إلا أن الإعلام والذاكرة الشعبية نسبت الفضل كله إلى فلنجن، الأمر الذي جعله المؤلف إلى الليل الشمس، الهوليودي، إلى البطولة المحمية المرمدة.

An Enduring Love

(حب خالد)

Faran Pahlavi
Patricia Clancey (مترجمة)
Miramax Books, 2004, 447PP, \$24.95



بالرغم من مرور ربع قرن على قيام الثورة الإسلامية في إيران وحلج النساء محمد رضا بهلوي، إلا أن الإمبراطورية الحصانة فرح بهلوي، آخر زوجات الشاه، لازالت تعيش في حالة من الرفض للواقع، وفي مفكراتها التي صدرت بالفارسية في ديسيمر الماضي، تميعتها الترجمة الإنجليزية منذ شهرين. تحدث

ماريا المجدية وأنجب منها أطفالاً يعيش نساهم في فرنسا!

يقول مؤلف الكتاب دابن دراون، وهو مدرس ثانوي سابق، أنه يعتقد شخصياً في صحة النظريات التي يناقشها أنشال الرواية، وأنه اعتمد على أدلة أثرية تتم مناقشتها في نطاق العلماء الحقيقي مثل لعاشق البحر الميت التي اكتشفت في خمسينيات القرن العشرين، ولصوص لجع حمادي التي وجدت في مصر عام ١٩٤٥. وتبين «شفره دافنس» أن الإمبراطور الروماني قسطنطين الذي عاش في القرن الرابع الميلادي هو الذي أخفى المخطوطات الإنجيلية القديمة من أجل أهداف سياسية، وأنه هو الذي فرض عقيدة الوحية المسيح عام ٣٢٥ ميلادية.

Who Are We: The Challenges to America's National Identity (من نحن، تحديات الهوية الوطنية الأمريكية)

Samuel P. Huntington
Simon & Schuster, 2004, 448PP, \$27.00



في كتابه الشهير، «صدام الحضارات»، تنبأ عالم السياسة الأمريكي صامويل هانتنجتون بمركبة الولايات المتحدة مع الجماعات الإسلامية المسلحة. وفي هذا الكتاب، يحاول هانتنجتون إظهاره إلى صدام الحضارات داخل الولايات المتحدة ذاتها. فهو يرى خطراً كبيراً يهدد الهوية الوطنية الأمريكية متمثلة في تزايد عدد المهاجرين من مختلف أنحاء أمريكا اللاتينية الذين يتحدثون اللغة الإسبانية ويتدينون بعير المسيحية البروتستانتية.

تلك الثقافة الفريدة التي تمت داخل الولايات المتحدة بعينها هانتنجتون مصدراً للانقسامات داخلية تصير بمستقبل أمريكا ومصلحتها القومية. فهانتنجتون يشد على ضرورة محافظة أمريكا على هويتها المسيحية البروتستانتية وتماثلها الأنجلو مركزية. إيمان أن تضم أمريكا ألها من المهاجرين الجدد الذين لا يشعرون بالحاجة إلى تعلم اللغة الإنجليزية أو الاندماج في الثقافة الأمريكية بفضل شيوع اللغة الإسبانية في الشارع، والكنيسة وأماكن العمل وغير ذلك من الحياة العامة كالمتزل، فذلك من شأنه أن يؤدي إلى إضعاف وتميكن الولايات المتحدة الأمريكية.

الثقافات المختلفة. ونتيجة لانتشار نطاق الدراسة التاريخية لا تحظى الحقب الزمنية المختلفة ومناطق العالم المتفرقة بنص القدر من العناية.

يهتم المؤلف بإظهار التأثير الأوروبي عبر الاستعمار في تقديم أشكال من البقاء دخيلة على المجتمعات التي اقتحمها.

على سبيل المثال، تحولت الصادة الأسبوعية المتمثلة في عقد زيجات مؤلفة تحت التأثير الأوروبي إلى دفع نقدي مباشر في القواعد المفردة.

وفي أفريقيا يعتقد المؤلف أن حملات التبشير الأوروبية ضد تعدد الزوجات والأزواج أدت إلى زيادة عدد النساء المخرطات في أعمال البقاء.

كذلك يحاول المؤلف أن يحلل العوامل الاقتصادية والثقافية والأخلاقية التي تطغى بالثقافة إلى البقاء.

كما يحاول تقديم مداخل (شاهية ومجتمعية) متعددة في طرق النظر والتقييم للبقاء وللحاشية بشكل عام، وأخيراً يعبر المؤلف عن صعوبة تحليل ظاهرة الاختيار الحر المرتبطة بالبقاء في العالم المعاصر وعلاقة ذلك بنتائج تحرير المرأة.

The Da Vinci Code

Dan Brown
Doubleday, 2003, 454PP, \$24.95



تصدرت هذه الرواية قوائم الكتب الأكثر مبيعاً في الولايات المتحدة منذ أن صدرت قبل ١٣ شهراً.

وقد بيع منها ملايين النسخ، وترجمت إلى أربعين لغة، وتجرى مفاوضات الآن لتحويلها إلى فيلم سينمائي مع المخرج رين هوراد.

لكن الأهم من النجاح الجماهيري للرواية، هو التحليل الذي سببته في الأسواق المسيحية الأمريكية، حيث تزعززع شعرة دافنس، الشك في المعتقدات المسيحية الأساسية مما دفع بالكنايس وأسادة اللاهوت بإصدار كتب ومشرورات تصد ادعاءات الرواية وترد على تساؤلات قرائها.

تدعي الرواية التي تنتمي لفئة الروايات البوليسية أن البوذية المسيحية تأسست على الكثرة، وأن الكنيسة قامت لعهد قرون من أجل إخفاء الدليل على بشرة السيد المسيح، وكونه قد تزوج من

Resurrecting Empire: Western Footprints and America's Perilous Path in the Middle East

(بعث الإمبراطورية، أثار الأقدام الغربية ومشرق أمريكا الخطر في الشرق الأوسط)

Rashid Khalidi
Beacon Press, 2004, 223pp.



يتناول كتاب الدكتور رشيد الخالدي تاريخ التدخل الغربي في منطقة الشرق الأوسط.

ويحلل النتائج التي يتوقع أن يسفر عنها التدخل الأخير للولايات المتحدة وبين الكتاب أهمية قراءة التاريخ والنقاط الروسية.

ويستخلص أن من يخفق في ذلك يكون معرضاً لتكرار أسوأ ما فيه، ضاماً كما تتصوّر حالياً الإدارة الأمريكية برئاسة الرئيس «جورج بوش» التي تضخ مصفوية العيش في طريق الصراع والاحتلال والاستعمار دون الالتفات لدروس العظيمة السابقة.

يقدم رشيد الخالدي تحليله لمروقت الحالي لأمريكا في الشرق الأوسط، في حربها ضد العراق ووردها في فلسطين من خلال عدة مداخل ثقافية وتاريخية. الدكتور رشيد هو أستاذ كرس إدوارد سعيد للدراسات العربية بجامعة كولومبيا ودير معهد الشرق الأوسط بنفس الجامعة.

Love for Sale: A World History of Prostitution

(حب للبيع، تاريخ البغاء في العالم)

Nils Johan Ringdal
Richard Daly

Grove, 2004, 480PP, \$26.00



ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية من اللغة النرويجية، وهو مؤرخ نرويجي يقوم بتناول تاريخ البغاء في العالم وعصر

الإنجليزى مينا لوى قال بعد قليل من وصوله إلى نيويورك عام ١٩١٦ مقلته الشهيرة.
من لم يش في نيويورك فإنه لم يش في العالم الحديث.
فقد كانت المدينة مجتمعات هائلة للمفكرين والأدباء والصانين وكانت تتبع بالأفكار والمسرحة والأفلام والصحف بشكل غير مسبق في أي مدينة أخرى.
وهي هذا الكتاب وهو الأول المؤلمة، عرض لحياة مجموعة من النساء غير التقليدية الثلاث لمن دوراً كبيراً في الحركة الفكرية والأدبية في الفترة من ١٩١٢ حتى ١٩١٢.

The Report of the Inquiry into the Circumstances Surrounding the death of Dr. David Kelly, CMG
(تقرير عن التحقيق في ملابسات وفاة د. ديفيد كيلي)
by: Lord Hutton
London: Her Majesty's Stationery office, 740pp, 70£



لورد هاتون، قاض بريطاني حليل ثولى رئاسة لجنة شكلتها الحكومة البريطانية لمعرفة ملابسات وفاة جابر الأسلحة البريطاني ديفيد كيلي العاصمة قبل عدة شهور
وقد فجر التقرير ضجة كبيرة في بريطانيا والعالم نظراً لإتهامه بعضية حساسة للراى العام في الأسباب التى أت عزو العراق من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا

بدأت القصص عندما أذاع السنو جيليان مراسل هيئة الإذاعة البريطانية دوى بي بي سي، في ٢٤ من عام ٢٠٠٣ تقريراً إذاعياً قال فيه نقلاً عن مصادر في المخابرات البريطانية:
أن الحكومة البريطانية نالت وضعت في الادعاء بأن العراق يمكنه أن يستخدم بعض أسلحة الدمار الشامل التى بحوزته خلال ١٥ دقيقة
وعلى الفور تحركت الحكومة البريطانية لمعرفة حوية هذه المصادر.
وبعد ذلك بأيام جاز العصور على جثة جابر الأسلحة ديفيد كيلي الذى شارك في التفتيش على أسلحة العراق والذى ذُبح بعد ذلك أنه التقى مع جيليان.
ويعد أن شكلت الحكومة البريطانية

الحلأ الهيدروجينية، فالهيدروجين يتسبب في تلف الحديد، كما أن عاصفة كهربائية بعد أعمال مكنتها أن تشعل الهيدروجين، بل حتى شحنة الكهرباء في التليفون المحمول قد تتسبب في إشعال حريق للسيارة!

I am no one you know
(أنا شخص لا تعرفه)
Joyce Carol Quites
Ecco, 2004, \$24.95



يقول النقاد أن جويس كارول مؤلفة هذا الكتاب اعتادت أن تكتب رواية جديدة كل عدة شهور والكتاب الجديد يضم مجموعة قصص قصيرة قد يكون من القصص أن تكون الواحدة منها رواية كاملة لكن كل قصة مليئة بالأحاسيس والقدرة المذهلة للمؤلفة على امتاع القارئ بل وجعله يتأمله باهتمام كبير. وكما يقول النقاد فإن هذه القصص تتمتع بلغة غنية وتجادة وهي متنوعة الموضوعات، حيث تتناول عدة أمور مثل الاستغلال غير القانوني للأطفال والاعتصاب، والأباء غير المستقرين ذهنيًا والقصص تركزت على حياة الإنسان العادي وعلاقة اليبس والسود في المجتمع الأمريكي.

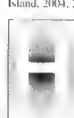
All- Night Party: The Women of Bohemian Greenwich Village and Harlem
(حفلة طول الليلة)
Andrea Barunt



كثيراً ما يتبادر إلى الأذهان عندما يأتي ذكر مدينة نيويورك، أمور كثيرة مثل الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمسرح والفن وكذلك الجريمة والعصابات (حتى ستينيات القرن الماضي). لكن هذا الكتاب يتحدث عن الحركة الأدبية في هذه المدينة العالية في فترة مهمة من تاريخها على من ١٩١٢ حتى ١٩٢٠.
وتأكيذاً على أهمية نيويورك الفكرية، فإن الكاتب والشاعر والعمان الطليعى

ينتقل المؤلف بسرعة من خبرته الشخصية إلى التاريخ والفن، الرسم، وعلمه، وحياة الرسامين الكبار والإمبراطور الذين عرفهم.
وهو من خلال دراسته المصاحبة للرسم باعتباره ممارسة ثقافية للمعبر عن الذات يكشف أنه أكثر من هذا بكثير. فالرسم رد فعل جماعي لحاجة بشرية متأصلة في نفس الإنسان.
ويهتم المؤلف برسم الأطفال ويتناول العلاقة المفضية بين اليد، والحن، والعين. وموضوع الرسم خاصة في رسم وجوه وأجسام البشر

The Hype About Hydrogen: Fact and Fiction in the Race to Save the Climate
(الضجة حول الهيدروجين، الحقيقة والخيال في سباق الإنقاذ المناخ)
Joseph A. Romm
Island, 2004, 240PP., \$ 25.00



روح الرئيس بوش في خطابه إلى الأمة الأمريكية العام الماضي لشكرة الاقتصاد الهيدروجيني، مما جعل الاهتمام الإعلامي والجسمائى يزداد بخصية الطاقة التى يتلخص بها الهيدروجين فى الولايات المتحدة وغيرها من الدول التى تصعد فيها الحركات والأحزاب المدافعة عن البيئة.

وفي هذا الكتاب يقوم جوزيف روم، الذى كان قد عمل في وزارة الطاقة أثناء إدارة كلينتون بإظهار مدى الخطأ والخطأ الحاد في قضية إحلال الطاقة.

فيديا، يؤكد جوزيف روم على أن الهيدروجين هو حامل للطاقة وليس مصدرًا للطاقة (على الأقل حتى يتم ترويض الاندماج النووي).

ثم يشير المؤلف إلى أنه على الرغم من إمكانية استخراج الهيدروجين من مياه البحر، إلا أنه الآن يتم استخراجه بالأساس من الغاز الطبيعي، والذي يصدر عنه غازات ملوثة تماماً مثل الوقود العادي.

أما بالنسبة لاستخدام الهيدروجين لإحلال وقود السيارات، فإن روم يجرع عن عيب هذه الفكرة وصعوبتها الشديدة التى قد تحتاج لتضارعت العتصين لكى يتم الاستعداد لتأخير هذا. هذا بالرغم من أن بعض شركات تصنيع السيارات قد بدأت في الترويج للسيارة التى تسير بوقود

الشماعلو عن ظلم التاريخ لتزويها التراجيل. ويظان كل ما كتبه المؤرخون والمصرون عنه باعتباره قائلاً صمغياً، ومتبرداً، وانفعالياً.
ففى نتجها على سبيل المثال أن عودة الشام لعرضه عام ١٩٥٢ احتاجت لانقلاب مدرته وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، كما تقلل من الدور الإلهي الذى كان يقوم به، المساهات، البوليس السرى للشاه الذى كان يتجسس على خصوم الشام ويهدمهم ويقتلهم ويتألف فرج ديباً عن الاحتفال بالادخ الذى اقامه الشام عام ١٩٧١ بمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على الإمبراطورية المارسية والذى تكلف ٢٠٠ مليون دولار، قائلين ان تلك الاحتفالات كانت مناسبة رائعة لممارسة العلاقات العامة

وهكذا يهضم كتابها، سلسلة من المرافعات للدفاع عن حكم الشام، والهجوم على الثورة التى تراها لا كثورة شعبية وحدت جميع طبقات المجتمع ضد الشام، وإنما مؤامرة استخدم فيها الشيوعيون الدين لكى يولبوا الشعب ويرى الضمن أن السبب الذى دفع بالإمبراطورية المارسية أن تكتب هذا الكتاب فى هذا التوقيت هو حسد التنابيد العاطفى لإعادة التاج لاشاه رضا، الذى يتزعم الآن حركة معارضة للجمهورية الإسلامية من مكنته ومثرتل بوشاطى، ومن خلال موقعه على الإنترنت، وكان رضا قد نصب نفسه شاهاً في احتمال صغير اقامه في مصر عام ١٩٨١ عندما أتاه عامه العشرين

The Undressed Art: Why We Draw
(الفن الطبيعي، لماذا نرسم)
Peter Steinhart
Knopf, 2004, 272PP., \$23.00



يعتقد البعض أن شيوخ التصوير الفوتوغرافى والاشعار الكاميرات زهيدة الثمن قد أدى إلى انحصار الرسم كشطاش إنسانى أساسى.

هذا الكتاب يثبت خطأ هذا الاعتقاد ويؤكد أن الرسم يزدهر بين الأفراد، الذين يكون لديهم مجموعات خاصة لممارسة هذا النشاط جماعياً.
ومن ضمن هؤلاء الأفراد المؤلف نفسه، الذى هو ليس بالرومان المحترف، إلا أنه يمارس هواية الرسم مع مجموعة من الاصدقاء ويتناقشون في التقنيات المختلفة ويتبادلون الرسومات

في الانتخابات الرئاسية التي ليس من المألوفة القول إن الجميع كان يعرف أن بوبين سيغزو بها ولذلك فقد تراجع الكثيرون عن منافسته.

كيف وصل بوبين إلى هذه الدرجة من القوة؟ هذا ما يحاول أن يجيب عليه هذا الكتاب الذي ألفه أندرو جاك مراسل صحيفة فاينانشال تايمز البريطانية في موسكو

ويقول المؤلف إنه عندما هبط بوبين على رئاسة روسيا في اليوم الأول للرئاسة الجديدة بعد استقالة يوريس يلتسين علق أحد المحللين قائلا:

نكرة جساء من المجهول ليكون رئيساً ومن الواضح أن بوبين أصبح رئيساً نتيجة لصعوبة شخصية وحيدة فيه. وهي

ولاؤه التام لرؤسائه السابقين. فبعد أن انتهى عمله في المخابرات السوفييتية، كس جي بي، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١، خدم بوبين تحت رئاسة عدة سان بطرسبرج الآنولي شويك قبل أن ينتقل إلى موسكو عام ١٩٩٦ ليتحقق بإدارة يلتسين وكان موهباً د كفاءة عالية. لكن أحداً لم يكن ليتوقع أن يتراهي ليصبح رئيساً بهذه

السرعة لكن الطرف الذي ظهرت عام ١٩٩٩ جعلت الحلم المستحيل واقعاً فصعوبة يلتسين تتدهور والانتخابات الرئاسية وشيكة ومعظم المقيرين من أسرة يلتسين قياد التحقيق لنهايات التهمة التورط في الفساد والأسرة والتعاظم والقرصون في حاجة إلى وريث يمكن الثقة فيه بشكل مطلق مع ملاحظة أنه سبق لبوبين أن ساعد شويك في الهروب إلى باريس لتجنب المحاكمة.

وتوصلت حاشية يلتسين إلى أن بوبين الشخص المناسب، وكان أول قرار أصدره كرئيس هو مرسوم يعيّن يلتسين من المحاكمة.

وعقب ذلك أصبح بوبين زعيم روسيا بدون منازع والتف الروس موله باعتباره رقيباً قواع أبعاد لثلاث عهبتها بعد سنوات من الصراع والموردة والتراتبع المجرى داخلها وخارجياً

ومثل بوبين سياسة داخلية تقسيمية وتعقب الفاسدين والتمزق بتصفاه إلى تجميع كل السلطات في يديه ووضعه لخدمته الإعلامية المستقلة والمعارضة. كما تعاضد على الحرب العنصرية التي يبعوها في الشيشان والتي لم تنجح حتى الآن في وقف المقاومة الشيشانية

ودعم بوبين الرئيس الأمريكي جورج بوش بشدة بعد أحداث ١١ سبتمبر فزادت مكانته الدولية وتعاظم العرب في ميده إلى تجميع كل السلطات في يديه ووضعه لخدمته الإعلامية المستقلة والمعارضة. كما تعاضد على الحرب العنصرية التي يبعوها في الشيشان والتي لم تنجح حتى الآن في وقف المقاومة الشيشانية

والتي لم تنجح حتى الآن في وقف المقاومة الشيشانية

النايوت النخبى لهذا الصرعون أكثر من أي آخر للحضارة الفرعونية ومؤلف الكتاب هو الدكتور واهي حواس أمين عام المجلس الأعلى للأثار في مصر وأحد أبرز علماء الآثار المصريين وهو يحكي قصة هذا الملك الذهبي والعصر غير العادي الذي عاشه والكتاب يضم ١٢٠ صورة ملونة.

The Lamp of Umm Hashim and Other Stories

(قندليل أم هاشم وقصص أخرى)
Yahya Hakki
Translated by Denys Johnson Davies
Cairo-Auc Press, 2004, LE 50



تعد قندليل أم هاشم، أحد أبرز أعمال الكاتب الكبير الراحل يحيى حقى إن لم تكن أشهرها على الإطلاق.

وقد سبق حقى في هذا العمل روايتين كثيرين عندما استكشف واديا رائعتين العلاقة بين الشرق والغرب من خلال القباب المصرية التي ذهب لدراسة الطب في الغرب ليعود وقد أصبح حاملاً لكل قيم الغرب ساحتها على محتتمعه المتخلف وغاصبا على مواطنيه الذين طال عليهم الامد في الكسل واللامبالاة والتأخر.

ويعد هذا العمل الذي قامت الجامعة الأمريكية في القاهرة بإصداره مترجماً إلى الإنجليزية والدا بكل القاميس وقد احتضى له التقاد والقرء العرب منذ صدور قندليل عدة عقود.

Inside Putin's Russia

(داخل روسيا لبوبين)
Andrew Jack
Granta, 2004, 352PP, 20 £



أدى الرئيس الروسي فلاديمير بوبين خلال الشهر الماضي اليمين الدستورية كرئيس للبلاد لفترة رئاسية ثنائية وكان بوبين قد فاز قبل ذلك بأغلبية ساحقة

John F. Kerry: The Complete Biography

(جون إف. كيري، السيرة الكاملة)
by: The Boston Globe reporters
Public Affairs, 2004, 448PP, \$14.95



لم يأت جون كيري المرشح الديمقراطي للرئاسة الأمريكية إلى دورة الاحداث من المجهول فقد كان أحد أبرز أعضاء مجلس الشيوخ الذين حملتهم ولاية ماساتوشوستس إلى واشنطن خلاوة على أنه يمثل أمريكي حارب في فيتنام ثم انخرط في الحملة المطالبة بوقف الحرب بعد ذلك

وهذا الكتاب ذميج ٧ حلقات نشرتها صحيفة بوسطن جلوب، الأمريكية الشهيرة عن جون كيري تتناول كافة تفاصيل حياته ويشكل خاص حياة كيري السياسية في موسطن عاصمة ماساتوشوستس. ويرسم الكتاب صورة لكيري باعتباره رجل مناقضات فهو أحد دبلوماسي ترعرع في عالم من الشراء والامتيازات لكنه يشعر دائماً بأنه لا ينتمي إلى هذا العالم، وهو سياسي يجد نفسه في قيادة الحملات السياسية والاضطراب أجل الكشف عن الفساد، لكنه موصوف بالانتماء السياسي وهو أيضا استقراطي جوهل لكنه جريء في الحرب والسياسة.

The Golden Age of Tutankhamun

(عصر توت عنخ آمون الذهبي)
Zahn Hawass
Cairo-Auc Press, 2004, LE 120



مارال توت عنخ آمون الفرعون المصري الصغير يبره العالم منذ اكتشاف هوار كابر البريطاني الشهير لقبرته في وادي الملوك عام ١٩٢٢.

تعد أصبح هذا الفرعون المجهول في التاريخ المصري القديم والذي ليس له أجداد تذكر من أشهر المراتعة في العالم نظراً لأن ملحات الآلاف في ملايين الأشخاص ربما تتلعب في ذاكرتهم صورة

لجبة هاتوك عملت اللجنة عدة شعور واستدعت شهيداً عديدين بينهم رئيس الوزراء البريطاني توني بليز ووزير دفاعه جيف هون.

ثم أصدرت اللجنة تقريراً ضخماً برأت فيه بشك عام الحكومة البريطانية وأدانت عدم التزام هيئة الإذاعة البريطانية بالمعايير المهنية وأكدت أن كيلي توفي منتحراً.

وكانت النتائج التي توصلت إليها اللجنة مفاجئة للرأي العام الذي اتهم لورد هون، وأصررت نسبة كبيرة من الرأي العام على خلال استطلاعات الرأي على أنها تنق بهيئة الإذاعة البريطانية أكثر من حكومة بليز.

المشكلة أن التقرير فجر الوضع داخل بي بي سي، التي شعرت بأنها فقدت كثيراً من مصداقيتها فاستقال مديرها العام ثم رئيسها

وقد صدر تقرير لور هاتون في كتاب ليكون بمثابة سجل لحدث مهم قد يكون له تأثير خطير في مستقبل الحكومة البريطانية ورئيسها توني بليز.

Alexandria: A History and A Guide

(الإسكندرية)
E. M. Forster
Cairo-Auc Press, 2004



مؤلف هذا الكتاب عاش في الإسكندرية خلال الحرب العالمية الثانية أيام كانت المدينة تضم طوائف وفئات وجنسيات شتى وهو في هذا الكتاب يتحدث عن عصر الإسكندرية الذهبي. فقد كانت الإسكندرية مركز العلم والفن والأدب في العصر القديم حيالها الله ومها طغيا ومناخا رائعا وبشرا جعلوها تنمو على كثير من مدن العالم ويوجد المؤلف فورستر في كتاب عن شعراء المدينة وفلاستما وعلمائها حتى القرن السابع الميلادي عندما فتح العرب مصر.

كما يضم الكتاب مجموعة من المقالات عن فراعنة مصر وتاريخ الإسكندرية الفلسفي والديني. والكتاب بذلك يضاف إلى مكتبة كبيرة لمحات عديدة تتناول حياة تلك المدينة وتأثيرها على حضارة العالم ومدى التأثير الذي لحقها عبر الزمن

ترحب «وجهات نظر» بما يرد لها من رسائل تعليقاً على ما ينشر بها من موضوعات ومقالات. وتحرص على نشرها مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلاً مثل المقالات ذاتها، لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها.

العثماني بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

الغريب هو تصور صاحب العرض للدولة العثمانية، وعلاقة الدولة بولاياتها وخاصة الولايات العربية.

فهو يعتقد أن الدولة العثمانية دولة مركزية وأن الولايات العربية كانت

شأنها شأن الوحدات الإدارية في الدولة المركزية، ولكن الأمر لم يكن

كذلك، فالعثمانيون اكتفوا من الولايات العربية بحقوق السيادة بما

يتيحها من علامات كجباية الخراج وتعيين القاضي باعتبار القضاء

واقامة العدل من تلك العلامات، وفيما عدا ذلك لم تتدخل السلطة

العثمانية في استنبول في أمور الناس، فتركهم بحيزون الحياة التي

اعتادوها في مؤسساتهم الاجتماعية (المطوائف) ولم تتدخل في حياتهم

الثقافية من قريب أو بعيد، ولكن ذلك لا يعني أن المراكز الثقافية كانت

لا تتواصل مع بعضها البعض في استنبول وغيرها من المراكز الثقافية

ومشرق وحلب وتونس، ولذلك تضمنت المؤسسات الاجتماعية

والثقافية بقدر كبير من الاستقلالية وحرية الحركة التي لا تتوافر في

الدولة المركزية بالمفهوم الاصطلاحي لها.

وفي مجال التجارة لا شك أن المصالح التجارية كانت أداة وصل

بين مختلف حواضر الدولة وبعضها البعض، مما جعل لتطور

الراسمات التجارية قسماً مشتركة هنا وهناك، وفقر الظروف

الموضوعية لقيام «طبقة وسطى» كانت لها ثقافتها الخاصة بها وكان

لها تأثيرها الكبير على ثقافة «النخبة» من مثله في الطبقة الحاكمة

والعلماء، وتلك اقتراضات بدئية، لكنها تحتاج إلى المزيد من البحث

لواقع الحال في الولايات العثمانية، لعلها تلفت لظواهر الباحثين الجادين

الذين لا يتظنون من فراغ، لكى يثروا الموضوع بالمزيد من الدراسات

الاصيلة.

نللى حنا

على يد النخبة العسكرية الحاكمة، ولم يقع على يد البورجوازية التجارية وحدها ؟ وهذه التساؤلات بعيدة عن موضوع بحثي وعن أهداف الكتاب.

والمأخذ الأخير، لم يخصني صاحب العرض به حدى، ولكنه

جمع فيه كوكبة من المؤرخين الأفاضل الذين يسعدني ويشرفني أن احضر

في زيارتهم، وذلك عندما ذهب إلى أن من يرفضون «المركزية الأوروبية»

وينقضون دعوى ارتباط «الحدائق» بالتأثير الأوروبي، ويرفضون

التسليم بأن مصر كانت غارقة في الجهل حتى شع نور الحملة

الفرنسية فقلها من الظلمات إلى النور، ولفعوا في فخ دعاوى المركزية

الأوروبية. تلك فرية أثبتت الدراسات الحديثة عن العصر العثماني - ومن

بنيها دراسة - انقضاهما على الصواب. إن ادعاء صاحب العرض

أننا باستخدمنا المفاهيم النخبوية الغربية في دراسة تاريخ بلادنا ترى

انفسنا بعيون صاحبه ادعاء باطل وطالب، لأن المنهج العلمي أداة

تستخدم في البحث شأنها شأن غيرها من الأدوات، وعندما

استخدمناها خرجنا بنتائج تناقض ما ذهب إليه دماء «المركزية

الأوروبية». وإذا كان صاحب العرض يعتبر أن المجتمع المدني سمة من

سمات الحضارة الغربية أو الأوروبية فإلى لا أخاركة هذا الرأي، ويعضدني

في ذلك كثير ممن يدرسون تاريخ هذه الفترة.



ويكفي أن اذكر هنا دراسات ناصر أحمد إبراهيم عن الحملة

الفرنسية، وناصر عثمان عن الحياة الثقافية في العصر العثماني،

ومصري العدل عن علم الفلك في مصر العثمانية وعن الطب أيضاً،

وفغيرهم من شباب الباحثين الذين يعملون بجد وفي صمت منذ عشر

سنوات تحت جناح سيمتار التاريخ

النموذج الخاص بعلاقة القاضي والشهود في «عينتاب» بالسلطان في استنبول كمناهج لدراسة التطورات الثقافية.



والمأخذ الثاني يطرح فيه توصيف المنهج لطبيعة الوسطى

وتأثير هذه العوامل على التعليم والثقافة ودرست الظروف لبادية مثل

انتشار تجارة الورق وتأثير ذلك على انتشار الكتاب، وأكدت مراراً على أن

التاريخ الثقافي والتعليمي لا يسير وفق الحدود الجغرافية لتاريخ

السياسي، وقلت أن التطور الراسمالي التجاري الذي لعب دوراً

في تشكيل ثقافة الطبقة الوسطى في القاهرة أيضاً له تأثير في مدن

الشام والأناضول. وقد استغرقت كيف يشول إن

الكتاب لا يشير إلى الأثر الثقافي على السياسة والسياسة والتي صوف

الثقافة في واد والسياسة في واد آخر، هذه العبارات تعكس رؤية ضيقة

للغاية من العمل الأساسي وكأنه لابد أن يكون مرتبطاً بأشكال معينة أو

تصرفات محددة في حين أني اعتبرت من العمل السياسي الذي قام به أفراد

من الطبقة الوسطى أخذ أشكالاً متعددة بالكلمة والكتابة من مقاومة

السلطة وهنا أيضاً اعتبرت أن السلطة ليست هي السلطان فقط

ولكنها تشمل أيضاً هؤلاء الجموعات الذين يرفضون أو حاولوا أن يرفضوا

سيطرتهم على المجتمع. وقد استخدم صاحب العرض

نموذجاً لا يصلح لدعم هذا المأخذ على الكتاب، عندما أشار إلى دراسة

لجزيلى بريس عن «عينتاب»، وهذا النموذج لا يصلح لتبيين أولها؛

أن المقارنة بين القاهرة وتلك المدينة المركزية / التركية التي تقع

على تخوم الأناضول الجنوبية مقارنة فجدة، وثانيتها أن دراسة

الأمور الإدارية عكسها ؟ ولماذا وقع الثقافة ويصعب أن نستخدم

التحول الراسمالي في اليابان - مثلاً

الصفرة والقمة أمة في خطر

الأولى أو بإسمائهم الكاملة. ليسوا بضامنين قطعاً. رغم جهد الصفاية. أن رسائلهم ستدح من بفرض مطالبها أصلاً. هذا إن وجدت سانس البريد. وفق توسع عجز العرب. لأسباب مفهومة عديدة. من تفصيل فضيحة ابوغريب قانونياً أو دولياً. في حين نجحت البات الديمقراطية الغربية. من حرية الصحافة وضمان تتدفق المعلومات في تسجيل الفضيحة وتفعيلها بطريقة تكاد تؤثر على مجرى الأمور في العراق. وكان ذلك لافتاً وندالاً.



حلم المصريون بأن تنجح إليهم أنظار العالم في ٢٠١٠. ولم يكن ذلك بحكم الواقع ممكناً. وحلم العرب بأن لا تنجح إليهم أنظار العالم الذي تجتمع أركان قسمة في جورجيا في العاشر من هذا الشهر. ولن يكون ذلك أيضاً بحكم القوى الحاكمة ممكناً. اعتقد المصريون أن يومهم التطلع بعيداً إلى ٢٠١٠. ولم يكن ذلك. بحكم القصرة والممكن. متاحاً. فكان الاستعداد خاطئاً. وظن عرب تونس أنه يكفيهم النظر إلى ما تحت أقدامهم. ولم يكن ذلك عند الآخرين واداً. فكان الظن خادعاً. ولأن الظن. في الحالتين. لا يفي من الحق شيئاً. بالنتيجة مؤلمة. والأفق ممتعا.

يبقى في هامش. ذي صلة. أن مصر والسعودية تناقشتا يوماً على كرسى مدير الفريسيو. فذهب لليابان. وإن أزع دول عربية لتناقشت على المونديال. فذهب لجنوب إفريقيا.

ويبقى. بالاضبط. كما فعل المصريون العائدون بخس حنين من جنيف. فعل العرب العائدون من تونس. حيث امتدت أصابع الجميع إلى الجميع بالاتهام. ويبدأ ملخص الشهد كله كالآتي. بعد أن تأكل ما كان لبني من مكانة. تدفع وتدافع وتؤثر. كانت تونس. وإليها. أخيراً. ذهب العرب الذين حاولوا من البداية الهرب من قذمتهم. برفع كفوف مبكر. حول مكانها (اقرأ صحف يناير الماضي) ثم بتأجيل مفاصل لا تعاقدها. ثم بمحاولة شتى لإيجاعها. بهدف. دعها تمر. لا أكثر. فهو. ثم عادوا هاربين أو غافلين عن السؤال الأهم: هل ينسلج البعض توقيفاً لسيف الإصلاح فينزلق إلى الأسرطعية. فتصبح تونس واقعياً آخر قعم العرب. أو آخر ممرضا في المنظور على الأفق؟ يبدو السؤال الصدام أول وهلة مستحيلاً. ولكن بعد بغداد. والرئيس الخارج من الحفرة. وصرصر مصر. ثم تعد المثناء ذاتها من مستحيلات الشهد العربي.



دأمة في خطر... ماذا بعد؟

لا بد لمن ينامسون أمريكا (الصاحبة الأصلية للشعار) العدا. أن يرفض إصلاح يأتي عبر الأطلنطس. أو ببساطة تنقش من يتلوها أكثر من يسميها. أن يدركوا أن ذراع أمريكا الطويلة لا تمنع فقط. بل شأناً تدري مصاصتها في شوارع بغداد أو النجف. فواء القوة والذراع الطويلة. علم متقدم وتكنولوجيا متطورة. والهدد الأكبر من جوائز نوبل في الفيزياء والكيمياء والفسيولوجيا. واليات (داخلية) للديمقراطية والساواة واحترام القانون. وعشرات من الجامعات ترسل إليها أبناءنا لتضمن أنهم سيتعلمون علماً حقيقياً. واصحات تفصل الاستثناء فيها. وعلى من يهيم الأمر أن يعرف حق المعرفة أن هذا العلم وتلك الديمقراطية هما المساقان اللذان يشق عليهما سيد العالم. ولا بد قدر ما تتغافل أو تتجاهل تلك الحقيقة الباطنة كالشمس بقدر ما تظفر في أمنا القومي. ليس الآن فقط. بل لعقود قادمة.

أما إذا ما اطمأننا إلى أننا أجدنا صياغة الالتفات فحمة المصطلحات ونمنا في ظلالها. فلن نصحو قبل أن يكون الكلب على باب الكهف قد تحول إلى عظام.

ماذا بعد...
المصريين. والعرب معهم. أن يقرأوا محاضرة محمد حسنين هيكل قبل حوالى العامين المستحيل يبدأ الآن.

وعلى العرب. والمصريين من بينهم. أن يفعلوا (لا أن يقرأوا) مقررات قمتهم الأخيرة.

أيمن الصياد

حين كنت أحياناً انتقد حال الصحافة المصرية أمام استأذنا وإستأذنا. هيكل. كان يرده دائماً بما معناه بأنك تظللهما حين تنظر إليها خارج السياق. فهي في النهاية أبنه شرعية لواقع. محيطة ومجتمعها. تذكرت قول الأستاذ. هذه الأيام مرتين. مرة حين نقلت الألبا. خير الصفرة الذي كان من نصيب مصر في التصويت لاختيار الدولة الأفريقية. المؤهلة. لاستضافة وتنظيم كأس العالم في كرة القدم سنة ٢٠١٠. رغم العجبة الترويجية التي جعلت المصريين. يصدفون. أنهم الفارقون لا محالة. فكان أن جاءت النتيجة. رغم ما بدا فيها من مفاجات. أبنه شرعية لواقعها..
ومرة حين انتهت قمة العرب. التونسية. إلى ما انتهت إليه. رغم أن الأمر. كسابقه. لم يكن فيه كثير من المفاجأة.

والحاصل أنه لا الواقع المصري. الذي تأكل فتراجعت المكانة. كان يهزل لأن يحصل البلد. العريق. على أكثر مما حصل عليه في التصويت الدولي. في جنيف. ولا الواقع العربي الذي تردى بإدنا الكساره في سبعينيات القرن الماضي كان يهز أكثر مما انتهت إليه القمة. الجلول. في تونس.

والاضبط كما كانت نتائج القمة. بنت واقعها. كان الصفرة نتاج الواقع. بداية من تأكل القيمة السياسية الذي أثر بدوره على القيمة التاريخية. ونهاية بان ارتفاع الأرسفة في شوارع القاهرة غير مطابق للمواصفات. مروراً بحال التعليم والديمقراطية والاقتصاد وحقوق الإنسان وإنتاجية العامل ومستوى خريج الجامعة... وكل ما هو معلوم أو مسكوت عنه. أو بالأحرى مختلف خلف رحام الشعارات البراقة واللافتات والمناشآت المتبارية دوماً في المبالغة وإغانة اللغة. والأرقام.



دأمة في خطر... التمبر. وهذه المفارقة الأولى. أمريكي. وضعه الرئيس الأسبق رونالد ريغان قبل عشرين من الزمان على رأس تقرير مهم عكف على إعداد عشرات الباحثين استقصوا عخلوا أشارت إليه دراساتهم الترويجية المقاررة والتي افقدت بهم. بأمانة مع التمسع ومع الحقيقة. إلى أن التاليل في أمريكا أصبح ترويجية متخلفة في بعض الحالات عن قريته الياباني أو الأوروبي وحتى بعد عيشات مجتهدة وجادة من طلاب الهند والصيد.

دأمة في خطر... لا نقصد هنا طبعاً أمريكا التي هي سيدة العالم (سلباً وجرماً). بلا منازع. بل العبد من أولئك الذين لا ينظرون بعيداً فيستشعرون الخطر قبل أن يجموا نتائجهم. عن أمم العرب. ومصر في القلب منها. بالتاريخ والجغرافيا.

كما اطمأن المصريون إلى لافتات وشعارات تتحدث عن جدارة أحفاد الفراعنة. بتنظيم مونديال ٢٠١٠. استخرج المجتمعون في تونس من معجمهم اللغطي الضخم مسمى. العهد والوفاء. ليضعوه على وشية اكتفوا بالتأشير عليها. وزارياً لا رئيسياً. بالأحرى الأولى. بعد نصف قرن من توافيقهم وتماهدهم. على إقامة كيانهم الجماعي هنا. ووقفت صمخية في المؤثر الصحفي العشامي. لا لتسلل كما هو حال تلك المؤثرات. بل لتستحضر بنى تيم في خطبة شرعية حماسية.

واقع الحال أن المصوتين في جنيف قبل أسابيع. لم يابهوا بأجساد الفراعنة. الذين كانوا. كما لن يعبر المجتمعون في جورجيا بعد أسابيع إعتماها ينكر بدويان الحماسة. ولا بدقة ترجمة العنوان الكبير. العهد والوفاء. فالزويد. ونحن بحكم اللغة والدين أول

في نديب جفاء. وأما ما ينبغي الناس فيكت في الأثر. لأسباب يلمد بعضها إلى العجز. وبعضها إلى الفج. بدأت بقمة العرب بثلاثة عشر زعيماً من أصل واحد وعشرين. وانتهت بثمانية. ولأسباب. سيادية. ينهب العرب (أو من ينهب منهم) إلى قمة السادة. في جورجيا. إفراد. بعد أن غابت اليات القنابية التي طالبت بها مصر. وطلبها باب الأميين العام. كما غابت ضمانات لا تدوب جامعة العرب في أمواج المنكوس التي تلوح عالية صاخبة في الأفق.

هل كان هذا مصر. والواقع المتجاوز من جرأته حين تحدث بصدق غير مأثوف وبروتوكولياً عن أبعاد الأزمة العربية. وهل كان. الألع العتيق. رغم كل الخطط. مبالغة حين تسامد عن جدوى ما يجري داخل القاعة متكرراً الموقعين بالأحرف الأولى على وثائق مهمة والوفاء. وفيها وأمام الأمانة الكاملة. وصعدت مؤسساتهم الترويجية قبل سنوات أوتهد على «ميثاق العاطف المشترك. الذي لم ينفذ أبداً.

مربط العرب من الاستحقاقات الصعبة. من منظوم المطالبة بالإصلاح إلى افتهم الزرية. فتحذقوا محمطين خلف إعلان ووثيقتين. لا تختلف واقعياً في معظم الألفظ والمغنى. وهي إن اختلفت في عنوان المرسل إليه. إلا أن الموقعين أو المؤشرين بالأحرف

في مواجهة جميع

الأعداء

من داخل حرب
أمريكا على الإرهاب

وليد شحاتة

في مواجهة جميع الأعداء

من داخل حرب أمريكا على الإرهاب

Against All Enemies

Inside America's War on Terror

ريتشارد أ. كلارك

ترجمة: وليد شحاتة

لقد بدأت إدارة بوش فرصة اجتثاث القاعدة، فقد برزت «القاعدة» جديدة وتشت شركتها وقوتها وكان ذلك في جزء منه بسبب أسلوب عملها أو تقاعسها عن العمل، إنها علو أفرس من التهديد الأول الذي واجهنا قبل 11 أيلول / سبتمبر، وعدم قيامنا بما يجب علينا فعله لتحييد أربابها من التهديد. لأحد تلك صلاحية هذا الأعداء أكثر من يتشاركون كلارك، «الإمبراطور» السابق لمكافحة الإرهاب في إدارتي بل كلنتون وجورج دبليو بوش، والذي يعرف عن أسامة بن لادن وعن القاعدة أكثر من أي شخص في الولايات المتحدة، وكثيري عقدين من حياته المهنية لصحافة الإرهاب. لقد عدم يتشاركون كلارك في إدارات سبعة رؤساء وعمل داخل البيت الأبيض في إدارة جورج بوش (الأب)، وبل كلنتون، وجورج دبليو بوش، حتى استقال في آذار / مارس 2003. إنه خير من يعلم عن السجاح والفشل الخفيين في سنوات كلنتون، وغير من يعلم عن فشل المحاولات دون وقوعه والذين يعرف عن إدارة بوش في القاعدة قبل 11 أيلول / سبتمبر. فمنذ اللحظة الأولى التي تولى فيها فريق بوش الإدارة وقرروا إبقاء كلارك في منصبه «الإمبراطور» لمكافحة الإرهاب، وما برح كلارك يحاول إقناعهم لأخذ القاعدة على عمل الجد كما فعل بل كلنتون من قبل. وقد خرج مشهوراً من فرصة شرح رأيه إلى بوش، واصطدم مع مسؤولين رئيسيين في الإدارة أعطوه انطباعاً أنهم لم يسمعوا قط عن القاعدة من قبل: لقد كانوا يركزون كثيراً على الهندا على العراق، ودمجوا نظرية مؤامرة عربية عن الصلح عن تورط صدام في هجوم سابق على الولايات المتحدة. كان كلارك متحمساً لأزمة الأمن في 11 أيلول / سبتمبر، وأدار مركز الأزمات في البيت الأبيض - إنه مشهد يوصف في هذا الكتاب لأول مرة - ثم راقب بزعج بحري الأحداث. فبعد نجاح جورج بوش للحفظ القائمة لهزيمة القاعدة عند استلامه الإدارة، كانت قرائه كارثة عندما ألقى الأمر اهتمامه فيما بعد. إن الكلام الصادر عن رجل عرف عنه أنه الرجل الصلب في وجه مواجهة الإرهاب والهجمات صارخاً للإدارة القائمة الآن. وتشاركون كلارك: «هذه الرئيس كلنتون كمناسق قومي أول لأمن، وحماية البنية التحتية، ومواجهة الإرهاب في أيار / مايو 1998 وبقي في موقعه تحت إدارة جورج دبليو بوش وبقي حتى آذار / مارس 2003 عاصراً لتأسيسها في الخدمات الأمنية الاتحادية. بدأ عمله سنة 1973 في مكتب وزير الدفاع مختللاً نشاطه في السلاح النووي والأسلحة الأوروبية. وفي إدارة ريكان كان نائب وزير الخارجية المساعد للشؤون العسكرية - السياسة.

مقطع من الكتاب: ... فُتِّبَ ولغو فتر واضطرب ... أنا لا أعرف لماذا بدأنا بالبحث عن هذا الرجل الواحد بن لادن، أحبته قائلاً: «إننا نتحدث عن شبكة إرهابية اسمها القاعدة وقد صافد أن قادها بن لادن، ونحن إنما نتحدث عن الشبكة لأنها هي، وهي وحدها، تشكل تهديداً حقيقياً ومباشراً للولايات المتحدة. التحدث. وتولوفورق إلى وقال: «لقد أعطيني من لادن أهمية كبرى. إنه لا يستطيع أن يفعل كل هذا مثل هجوم سنة 1993 على نيويورك، لا يمكنه أن يفعل ذلك دون دولة تدعمه. إن فشل مكتب التحقيقات الفدرالي ورو كالة الاستخبارات المركزية في إيجاد الصلة لا يعني أنها غير موجودة». ثم أكد أصداقنا وما سمعته، لقد كان وتولوفورق. يطلق نظرية لوري ملروي Laurie Mlyroie في نقول إن العراق كان وراء الشاحنة المتفجعة سنة 1993 في مركز التجارة العالمي، تلك النظرية التي تم تحريكها سنوات طويلة فوجدناها باطله بكاملها.

♦ من النسخة (مجلد)، \$12 ♦ من النسخة (غلاف)، \$12

أثرون

الاحلام الجوفاء



الاحلام الجوفاء
روبرت برايس

أثرون: الاحلام الجوفاء

جسج شركة اثرون وأنايتها ووزلاها

Pipe Dreams

Green, Ego, and the Death of Enron

روبرت برايس

ترجمة: مروان أبو جيب

إثرون Enron كلمة أصبحت مرادفة لإحتيال سوق الأوراق المالية وول ستريت Wall Street ومنعها ورأسخة المذخور تدور أرباحاً وتمتلك أصولاً من أحسن الأصول في عالم الطاقة، لكن التغيير نزل بساحاها في أواخر تسعينات القرن العشرين. بدأ ذلك ألكم مسعتم عن بعض الصفقات الانشائية والممارسات الخاسية الشرة التي طلعت عليها بها شركة اثرون، لكن الذي لم يصل إليه التفسير هو لماذا؟ تدعى اثرون كان من داخلها بصورة مفاجئة بعد أن كانت شركة مزدهرة مبدعة تمتلك سيولة نقدية واسعة؟ راسخة؟ الجواب هو أن الممارسات السيئة في شركات الأعمال تنطلق بمبادرة من الإنسان، كما كشف عن ذلك المهر الضملي القادم من تكساس والمتخصص بشؤون الشركات روبرت برايس في كتابه الواضح والمتعمق. الأعمال الجوفاء كتاب غير تقليدي بل يصيكم بالضحك في بعضه وراء الشركات، فهو ثرثرة تحليلية فكاهية تدور حول السبب الذي أودى بشركة اثرون إلى الهاوية، وتتابع بحري ثغورها ما كان عليه محاولة تعمل في مجال أنابيب الغاز إلى شركة عملاقة متوحشة في مجال الطاقة... ثم تتابع الكتاب مسيرتها عتوة بعد خطوة وقرراً بعد قرار وزيعة، وكيف أن الفساد دسب في أرباب القيادة فيها. بسرد كتاب الاحلام الجوفاء على سامعنا القصة الخبيثة للشمع والجنس والاحتيال التي قتلت على سابع أكبر الشركات في أمريكا من خلال مقابلات مع عدد فاق مئتين من عمال سابق لهم أصلاً لدى شركة اثرون أو ما زالوا يعملون مع دولها، وكذلك مع خلائين من شركة الأوراق المالية وول ستريت Wall Street. ومن خلال عشرات من معلومات الشركة لدى هيئة مراقبة الأوراق المالية، ويتناول بين دفتيه أبعاد الشركة الرئيسية، Andrew Fastow و Ken Lay و Jeff Skilling و Andrew Fastow و Lou Pai الكوم صاحب الرعاة التجارية العظيمة الذي باع أكبر عدد من الأسهم - بلغت قيمتها اثني وسبعين مليون دولار - وتقو بذلك على غره من مديري شركة اثرون الكبرى. هناك أيضاً سرد للفسوة المذرة التي طلعت عليها بها أمريكا مارك Rebecca Mark اللاعبة التي أحاطت بها أجهزة الجاهل في ملحة اثرون البطولية وحسنت المستثمرين تكاليف غلط مديري دولار أمريكي بسبب مفصلاتها السيئة في الهند والأعمال التي قامت بها في غلط المياه. الاحلام الجوفاء كتاب - ملي - بتفسيرات أخلاقية في شركة اثرون والتي لا يسهل فهمها إلا بخبر من الصدامات بضعها بتفسير للطريقة التي دُمرت بها الشركة ذاتها من خلال تجاهل القواعد الأساسية لإدارة الأعمال واتفاق الأموال كما كانت تصفها صكاً (ولقد كانت في بعض الأحيان تغفل تلك). كل علم من علمها أن شركة اثرون ابتاعت قبل أقل من تسعة أشهر على إفلاسها طائرة فائقة من نوع غولفستر Gulfstream جديدة لم يسبق لأحد أن استخدمها ودفعت ثمنها 14.6 مليون دولار أمريكي؟ كما أن أحد مديري الشركة اشترى دراجة نارية بمبلغ ثمان ألف دولار أمريكي فُضعت المبلغ من أموال الشركة لثرون بها مكتبه الجديد. وإذا رعنتم في فهم موجة الفضائح المالية الجديدة التي تدرش مجموعة أسهمكم - ناهيك عن الاقتصاد الأمريكي و حياة الناس وعيشهم - فالحكمة بما دعا الأحداث التي وقعت في شركة اثرون. إن برايس Bryce يتفكر التغيير الخاسم بها مع العلاقة والطرفة التي يحكي لنا الحكاية ويخرج نتيجة هي عدم قدرتم على ترك قراءة الكتاب عند اليه، به إيماناً في ذات الأسلوب الشيق الذي أتم به كتاب البرورة عند Gate at the Barbarians وكتاب الحفلة الرائعة التي ألقاها حيوانات المفترسة The Predators Ball.

♦ من النسخة (مجلد)، \$13.50 ♦ من النسخة (غلاف)، \$10.50

تُطْلَب كتب شركة الحوار الثقافي في جميع البلاد العربية من دار الحوار للنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
E-mail: warak@interculturalbooks.com
كما تُطْلَب في الدول التالية من:
مصر، دار العلوم - القاهرة، حافت، \$761400 وفي المملكة العربية السعودية من دار الورق ومن: مكتبة جدير في جميع فروعها، وباب الكويت، مكتبة جدير ومن: الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات. وفي قطر من: مكتبة جدير. وفي البحرين من: المكتبة الوطنية، الشامة وفي أبو ظبي من: مكتبة الجامعة ومكتبة جدير. وفي لبنان من: دار الفرات للنشر والتوزيع +961-1-750054. وفي الأردن من: الأمانة للنشر والتوزيع +962-6-463668. وفي سورية من: دار التوثيق، دمشق +963-11-2230914. وفي المغرب من: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

شركة الحوار الثقافي خرم

بيروت من: 6750 - 13 لبنان

هاتف: +961-1-802444 - فاكس: +961-1-790718

E-mail: info@interculturalbooks.com

http://www.interculturalbooks.com

ضاعف مدخراتك من خلال

الوثيقة ذات العائد المدفوع مقدماً

الوثيقة ذات العائد المتعدد العملات

وثيقة الأمان

عائد شهري لمدة ٣ سنوات

وثيقة الإخار الذهبية

إدخر وأمن مستقبلك

أعلى عائد مع ضمان صرفه
بالعملات الأجنبية

جنيه ذهب لكل ٢٥ ألف جنيه

وتمتع بإمكانية

إصدار بطاقات البنك العربي

الإقتراض

اتصل الآن على ١٩١٠٠ أو ٣٣١٩٩٢٢

بومياً من ٩ صباحاً حتى ٩ مساءً

www.arabbank.com

البنك العربي

أكبر شبكة مصرفية عربية

